مؤلفة رواية شركاء في السكن

بيث أوليري

# حياة بديلة

"رواية أخّاذة وجميلة ولطيفة للغاية!"
ماريان كييس

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

# الغلاف الأمامي

مؤلفة رواية شركاء في السكن

## بيث أوليري

# حياة بديلة

"رواية أخّاذة وجميلة ولطيفة للغاية!"
ماريان كييس

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
ليست مجرد مكتبة...

# حقوق الطبع والنشر

# حياة بديلة

## بيث أوليري

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
... ليست مجرد مكتبة

**تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان**

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

## حقوق النشر


- لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

- إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

- رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.



**الطبعة الأولى 2025**



حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2025. All rights reserved.

Copyright © 2020 Beth O'Leary Ltd
All rights reserved.



للتعرف على فروعنا نرجو زيارة www.jarir.com
إذا كانت لديكم أي ملاحظات حول الترجمة أو الكتاب، أو اقتراحات لترجمة كتب أخرى، فالرجاء مراسلتنا على:
jbpublications@jarirbookstore.com

# THE SWITCH

## BETH O'LEARY

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

QUERCUS

# إشادات بالرواية

«يشكل عالم الرواية البهيج مهربًا من هموم الحياة».

- الديلي ميل

«قطعة ممتعة من الأدب المبهج. إنها حقًّا بمثابة ترياق».

- صنداي ميرور

«قراءة شائقة تصلح للأوقات العصيبة».

- الإندبندنت

«رواية خفيفة الظل وتشع دفئًا، وستغمرك بسيلٍ من العواطف والمشاعر الجميلة».

- ديلي إكسبريس

«قصة دافئة وممتعة».

- آيرش إندبندنت.

«قراءة ساحرة ومبهجة».

- ديلي ميرور

«هناك عاطفة ودفء في هذه النسخة البريطانية من رواية ***Trading Places*** ».

- صنداي إندبندنت.

«مشرقة ومليئة بالتفاؤل».

- ميل أون صنداي

«ساحرة ورائقة».

- صنداي إكسبريس

«مبهجة... خلطة عجيبة».

- آيرش إكزامينر

«رواية ذكية».

- بريما

«الرواية التي نحتاج إليها جميعًا الآن».

- ستايلست

«لن تتركها من يدك من دون أن تكملها، كما كانت الرواية السابقة لبيث أوليري».

- آيرش تاتلر

«مرحة وحميمية وكلها أمل».

- هيت

«قراءة آسرة ومبهجة بقلب يتسع للجميع».

- كوزموبوليتان

«رواية رومانسية مفعمة بالحياة، بشخصيات تشعر بأنها تعيش بيننا».

- وومن آند هوم

«رواية قادرة على بث الدفء في القلوب»

- هالو!

«قراءة رائعة وممتعة».

- بست

«أحببت الرواية كثيرًا».

- ديلي ريكورد

«القصة الدافئة التي نحن بحاجة إليها الآن».

- بيلا

«أضحكتنا وأبكتنا وأحببناها!».

- فابولس ماجازين

«أتت إلينا أوليري برواية أخرى أشبه بجرعة من المحبة».

- وومنز ويكلي

«رواية كوميدية بارعة تحمل رسالة مميزة».

- صنداي بوست دنيدي

«رواية تبث الأمل في النفس بالدرجة الأولى».

- بيبول

«رواية رائعة وذكية ومبكية».

- فيميل فيرست

«ساحرة لأقصى درجة».

- هوت براندز وكول بلاسيس

«ساحرة وعذبة وجميلة جدًّا!».

- ماريان كيز

«رواية فاتنة وجميلة ومفعمة بالمشاعر... تذكرة حارة بأن نُبقي قلوبنا (وعقولنا) منفتحة دائمًا».

- ليندسي كيلك

«عمل من طراز فريد».

- أنستي هاريس

«ملهمة وجياشة بالعاطفة».

- جيلين مكاليستر

«ذكية ومضحكة وعاطفية».

- ريتشارد روبر

«لقد فعلتها أوليري مجددًا! حكاية مبهرة ومرحة وكلها حيوية».

**- مايك جايل**

**«تشع بالحب والطمأنينة والفكاهة».**

**- لويز أونيل**

**«عذبة وفذة تضم مجموعة من الشخصيات التي أتمنى لو كنت صديقة لها. أحببتها كثيرًا!».**

**- لورا جاين ويليامز**

**«دافئة وملهمة. يجب أن يكون لدى الجميع إيلين في حياتهم!».**

**- هايدي سوين**

تحتل بيث أوليري بكتبها موقعًا ضمن الكتّاب الأكثر مبيعًا، طبقًا لصحيفة ذا صنداي تايمز. تُرجمت رواياتها إلى أكثر من ثلاثين لغة. روايتها الأولى شركاء في السكن، بيع منها أكثر من نصف مليون نسخة، وغيرت حياتها تمامًا. اشترت شركة أمبلين بارتنرز، شركة الإنتاج المملوكة لستيفن سبيلبرج، حقوق تحويل روايتها حياة بديلة إلى فيلم. اعتادت بيث تأليف كتبها في ريف هامبشاير برفقة كلبها المشاكس من سلالة جولدن ريتريفر. إذا لم تكن جالسة إلى مكتبها، فستجدها عادة منزوية في مكان ما مع كتاب وكوب من الشاي والعديد من السترات الصوفية (مهما كانت حالة الطقس).

# أيضًا من تأليف بيث أوليري

شركاء في السكن

# إهداء

**إهداء إلى هيلينا وجنين؛ جدتيّ الشُّجاعتين الذكيتين والملهمتين**

# 1 لينا

قلت لبي وقد نهضت شبه واقفة لأتحدث إليها من فوق شاشة حاسوبي: «أعتقد أن علينا أن نبدل أدوارنا، أنا متوترة، فلتبدئي أنتِ، ولآخذ أنا الجزء الختامي، وبذلك مع حلول دوري أكون أقل... أعني...».

لوحتُ بيدي المرتعشة للتعبير عن حالتي العصبية.

قالت بي بسخرية وهي تميل رأسها إلى الجانب: «هل ستكون يداكِ أقل اهتزازًا؟».

«بي، أرجوكِ».

«لينا، يا صديقتي العزيزة، يا مرشدتي، ويا مُزعجتي المُفضلة، أنت أفضل بكثير مني في بدء العروض التقديمية، كما أننا لا نستطيع تبديل ترتيب أدوارنا الآن، وقد بقي عشر دقائق على عرضنا أمام مجلس إدارة عميلنا الرئيسي. فنحن لم نقم بالتبديل في العرض الأخير، أو العرض الذي سبقه؛ لأن ذلك سيكون جنونًا، وبصراحة تامة ليس لدي أدنى فكرة عن محتوى الشرائح الافتتاحية».

تراجعتُ إلى ظهر الكرسيّ، وقلتُ: «نعم، أنت محققة». ثم اعتدلتُ مرة أخرى واستطردتُ: «هذه المرة فقط أشعر حقًّا بأن .. ».

لكن بي قاطعتني وهي لا تزال تنظر إلى شاشتها: «مممم، أفهم تمامًا. تشعرين بأن هذه المرة هي الأسوأ على الإطلاق.. ترتعشين، وراحتا يديك متعرقتان، أعي كل ما تمرين به، لكن بمجرد أن تبدئي العرض، ستكونين ساحرة ورائعة كما كنتِ دائمًا، ولن يلاحظ أحد أي شيء».

«لكن ماذا لو...».

«لن يحدث».

«بي، أعتقد حقًّا أن...».

«أعرف ذلك».

«ولكن هذه المرة...».

«لم يبق سوى ثماني دقائق يا لينا، جربي تمارين التنفس».

«أي تمارين تنفس؟».

سكتت بي لحظة ثم قالت: «التنفس يا لينا».

«التنفس العادي؟ اعتقدت أنك تقصدين نوعًا من تمارين التأمل».

سخرَت بي من ردي، وساد صمتٌ قصير ثم قالت: «لقد تعاملتِ مئات المرات مع أشياء أسوأ بكثير من هذا يا لينا».

احتضنت راحتا يديَّ فنجان القهوة وأنا أتأوه من خوفٍ قد جثم في تجويف أسفل ضلوعي، خوف حقيقي لدرجة أنه بدا وكأنه تمثل في جوفي في هيئة شيء مادي ملموس؛ حجر، أو عقدة حبل، أو شيء قد أرغب في قطعه بسكين.

قلتُ: «أعلم يا بي، أعلم أنني مررت بما هو أسوأ».

عقبت بي: «أنتِ فقط تحتاجين إلى استعادة ثقتك بنفسك يا لينا، والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي البقاء والمواجهة، حسنًا؟ هيا! أنت لينا كوتن، أصغر استشارية في الشركة، وأكثر استشارية واعدة بسيلماونت الاستشارية لعام 2020 و...». خفضت صوتها، وأكملت: «ستصبحين يومًا ما - قريبًا - شريكة مؤسسة في شركتنا الخاصة، أليس كذلك؟».

لكني لا أشعر بأنني لينا كوتن تلك، الآن.

حدقت بي في وجهي، وحاجباها المرسومان بقلم رصاص مقطبان بقلق. أغلقت عينيَّ وحاولت استجماع قواي لأتخلص من خوفي، ولوهلةٍ نجح الأمر: إذ شعرت بلينا التي كنت عليها قبل عام ونصف العام تحوم حولي، لينا التي كانت تبدع في عرض تقديمي مثل هذا دون أن يترك أي أثر للقلق عليها.

قاطعَنا مساعد الرئيس التنفيذي بينما يشق طريقه عبر مكتب شركة أبجو بقوله: «هل أنتما مستعدتان يا بي ولينا؟».

وقفتُ فترنح رأسي واجتاحني غثيان مفاجئ. أمسكت طرف المكتب، اللعنة.. هذا عرض جديد.

همست بي: «هل أنت بخير؟».

ابتلعت ريقي وضغطت بيديّ على المكتب حتى صار معصماي يؤلمانني. وللحظةٍ تملّكني شعور اليأس وأحسست بأنني لن أستطيع القيام بذلك - لا أشعر في داخلي بالقدرة على القيام بذلك، يا إلهي، أنا متعبة جدًّا - لكن بعد ذلك، أخيرًا، وَجدَت العزيمة طريقها إليّ.

أجبتها: «بالتأكيد، هيا بنا لنفعلها».

مضت نصف ساعة. قد لا يبدو هذا وقتًا طويلًا حقًّا، فنصف ساعة مثلًا لن يكفي لمشاهدة حلقة كاملة من مسلسل *Buffy*، أو حتى شيّ حبة بطاطس كبيرة. ولكنها قد تكفي بالتأكيد لتدمير مسيرتك المهنية تمامًا.

لقد لازمني الخوف من حدوث ذلك لفترة، فلأكثر من عام ظللت أتخبط في عملي، وأرتكب أخطاء سهوًا، أخطاء من النوع الذي لا أقع به عادةً. أشعر كأن حياتي انقلبت رأسًا على عقب منذ وفاة كارلا، وفجأة أصبحت أفعل كل شيء بطُرق عكسية تمامًا. لكنني رغم ذلك

ظللت أحاول جاهدة لأتجاوز الصعوبات التي واجهتها، وصدقًا اعتقدت أنني تجاوزت الأمر تمامًا.

لكن ها قد اتضح أنني لم أفعل.

صدقًا شعرت بأنني سأموت في ذلك الاجتماع. لقد أُصبت بنوبة هلع مرة واحدة من قبل، عندما كنت في الجامعة، لكنها لم تكن سيئة مثل هذه المرة. لم أشعر قط بأنني فقدت السيطرة على نفسي بهذا الشكل من قبل. بدا الأمر كأن الخوف الجاثم أسفل ضلوعي أفلت من عقاله. لم يعد مجرد عقدة معقودة بإحكام، بل نَمَت لها أذرع، وصارت تلك الأذرع تشد معصمي وكاحلي وتخنق حلقي. أما قلبي فراح يخفق بقوة، ونبضاته تتسارع، حتى بدا كأنه لم يعد عضوًا من أعضاء جسدي، بل شعرت بأنه طائر صغير غاضب محبوس داخل ضلوعي، ويطالب بحقه في الانطلاق.

كان من الجائز التسامح إذا كنت قد أخطأت في أحد أرقام الإيرادات، ولكن بمجرد أن ارتكبت هذا الخطأ، بدأ الغثيان يسيطر عليّ، فارتكبت خطأ ثانيًا،ثم ثالثًا، ثم بدأت أنفاسي تتسارع، وامتلأ رأسي بـ... لا.. ليس بالضباب، بل بضوء ساطع، ساطع تمامًا، شديد السطوع بحيث لا أرى شيئًا من خلاله.

لذا عندما تَدَخَلت بي وقالت اسمحوا لي بأن...

ثم عندما قال شخص آخر بالله عليكِ! إنه عرض مُضحك...

وعندما قال الرئيس التنفيذي لشركة أبجو للإدارة المالية أعتقد أننا رأينا ما يكفي هنا، أليس كذلك...

كنت بالفعل قد فقدت السيطرة تمامًا، منحنية للأمام وأمسك بطني وألهث، وعلى يقين تمامًا من أنني على وشك الموت.

«أنت بخير» قالتها بي، ويداها تمسكان يدي بإحكام، بينما قد توارينا عن الجمع في أحد أكشاك المكالمات الهاتفية الموجودة في زاوية إحدى مكاتب أبجو، بعد أن أخذتني إلى هناك، بينما ما زلت أتنفس بإفراط، وأتعرق بشدة.

«أنا هنا معك، أنت بخير».

أتى كل نَفَس لي بشهقة متقطعة.

تمكنت من النطق أخيرًا: «لقد تسببت في أن تخسر سيلماونت عقدها مع أبجو، أليس كذلك؟».

«ريبيكا في مكالمة مع المدير التنفيذي الآن. أنا متأكدة من أن الأمور ستكون على ما يرام. هيا، تابعي تنظيم تنفسك».

نادى أحدهم من الخارج: «لينا.. لينا، هل أنت بخير؟».

أبقيتُ عينيّ مغلقتين، ربما إذا بقيت على هذه الحال، فسيتحول الصوت الذي أسمعه إلى أي شيء عدا صوت مساعِدة مديرتي.

«لينا؟ إنها أنا سيسي، مساعدة ريبيكا؟».

آه.. كيف وَصَلَت إلى هنا بهذه السرعة؟ مقر أبجو يَبعد على الأقل عشرين دقيقة بالمترو عن مقر سيلماونت.

قالت سيسي وقد انضمت إلينا في الكابينة وظلت تفرك كتفي بشكل مزعج: «يا إلهي، لينا أنت في حالة يرثى لها! يا لك من مسكينة. حسنًا، ابكي حتى ترتاحي».

في الواقع، لم أكن أبكي، لكنني كنت أتنفس ببطء وأنظر إلى سيسي، التي ترتدي فستانًا فاخرًا وتبتسم ابتسامة مبتهجة استثنائية، وأُذكِّر نفسي للمرة المائة كم هو مهم دعم

النساء للنساء في مجال الأعمال. أنا أؤمن بذلك تمامًا، إنه مبدأ أعيش به، وهو الطريقة التي أتبعها للوصول إلى القمة.

لكن النساء في النهاية، كما تعلمون، بشر، وبعض البشر ببساطة سيئون. سألت بي وهي تحاول إخفاء ضيقها: «كيف يمكننا مساعدتك يا سيسي؟».

أجابت سيسي موجهة كلامها لي: «ريبيكا أرسلتني لأتأكد من أنك بخير، كما تعلمين. بعد...».

حرَّكَت أصابعها، وأكملت: «أعني بعد تلك الرجفة الصغيرة». اهتز هاتفها الآيفون.

«أوه! وصل بريد إلكتروني منها الآن».

انتظرنا أنا وبي وكتفانا مشدودتان، بينما تقرأ سيسي البريد الإلكتروني ببطء غير طبيعي.

سألتها بي: «حسنًا؟».

أجابتها سيسي: «ماذا؟».

استجمعت قواي وسألتها: «ريبيكا! ماذا قالت؟ هل... هل تسببتُ بخسارة العقد؟».

أمالت سيسي رأسها، وعيناها لا تزالان على هاتفها. انتظرنا، وقد بدأت أشعر بأمواج نوبة هلع تنتظر أيضًا، تتأهب للفتك بي مرة أخرى.

قالت سيسي أخيرًا بابتسامة صغيرة: «ريبيكا حلت المشكلة. أليست مديرة رائعة؟ سيبقون على عقدهم مع سيلماونت في هذا المشروع وكانوا متفهمين جدًّا، بالنظر إلى الظروف. وريبيكا تريد أن تراك الآن، لذا من الأفضل أن تسرعي في عودتك إلى المكتب، ألا تعتقدين ذلك؟».

سألتُ بصعوبة: «أين؟ أين تريد مقابلتي؟».

«ممم، لنرَ. أوه، الغرفة 5 ج، في قسم الموارد البشرية».

بالطبع! أين يمكن أن أقابلها لطردي غير تلك الغرفة؟

جلسنا أنا وريبيكا متواجهتين، وجودي من الموارد البشرية بجانبها. وجود جودي إلى جانبها إلى الطاولة، وليس إلى جانبي، ليس علامة جيدة.

دفعت ريبيكا شعرها بعيدًا عن وجهها ونظرت إليّ بتعاطف مشوب بالألم، وهذا لا يمكن أن يكون سوى علامة سيئة جدًّا. هذه هي ريبيكا، ملكة الحب القاسي، سيدة التعليقات الجارحة في منتصف الاجتماعات. أخبرتني، ذات مرة، أن توقع المستحيل هو السبيل الوحيدة لتحقيق أفضل النتائج. بعبارة أخرى، إذا كانت تتصرف بلُطف معي، فهذا يعني أنها فقدت الأمل.

بدأت ريبيكا: «لينا، هل أنت بخير؟».

أجبتها: «نعم، بالطبع، أنا بخير تمامًا. من فضلك يا ريبيكا، دعيني أشرح. ما حدث في ذلك الاجتماع كان...».

ثم توقفت عن الكلام عندما لوحت ريبيكا بيدها وعبست.

«حسنًا يا لينا، أعلم أنك تلعبين دورك جيدًا، والله يعلم أنني أحبك لذلك». نظرت إلى جودي، وأكملت: «أعني، سيلماونت يقدرون شخصيتك الشُّجاعة والإيجابية، لكن دعينا نتحل بالصراحة. تبدين في حالة مروعة».

تنحنحت جودي بهدوء.

أكملت ريبيكا دون تردد: «لهذا نتساءل عما إذا كنت تشعرين ببعض الإرهاق، لقد فحصنا سجلاتك و... هل تعرفين متى كانت آخر مرة أخذت فيها عطلة؟».

«هل هذا سؤال استدراجيٌّ مفخخ؟».

«نعم، نعم هو كذلك يا لينا، لأن رصيد إجازاتك السنوية خلال السنة الماضية لم ينقص يومًا واحدًا». حدقت ريبيكا في جودي، وأكملت: «وهو، بالمناسبة، شيء غير ممكن».

همست جودي: «قلت لكِ لا أعرف كيف فشلنا في إقناعها بأخذ إجازاتها السنوية!».

أنا أعرف كيف! دائمًا ما يتحدث قسم الموارد البشرية عن التأكد من أن الموظفين يأخذون إجازاتهم السنوية المخصصة، لكن كل ما يفعلونه فعلًا هو إرسال بريد إلكتروني لك مرتين في السنة يخبرونك فيه بعدد الأيام المتبقية لك مع كلمات مشجعة عن «العافية» و«نهجنا الشامل» و«أخذ فسحة بعيدًا عن الإنترنت لإفساح المجال لنموك الشخصي».

«حقًّا، ريبيكا، أنا بخير تمامًا. أنا آسفة جدًّا لأنني... لأنني أفسدت الاجتماع، هذا الصباح، لكن إذا سمحتِ لي ...».

المزيد من العبوس والتلويح باليد.

«لينا، أنا آسفة. أعلم أنها كانت فترة صعبة عليك، صعبة بشكل لا يمكن تخيله. هذا المشروع يشكل ضغطًا كبيرًا جدًّا، وأشعر منذ فترة بأننا لم نتصرف بشكل صحيح عندما قمنا بإسناده إليكِ. أعلم أنني عادةً ما أمزح عندما أقول مثل هذا الكلام، لكن صحتك تهمني حقًّا، حسنًا؟ لقد تحدثت مع الشركاء، وقررنا أن نخرجك من مشروع أبجو».

ارتجفتُ فجأة، ارتجافة عنيفة، وكأن جسدي يريد أن يذكِّرني بأنه لا يزال خارج سيطرتي. فتحت فمي لأتحدث، لكن ريبيكا سبقتني بالكلام.

وتابعت: «كما قررنا عدم تكليفك بأي مشاريع خلال الشهرين المقبلين. اعتبريها إجازة طويلة، عطلة لمدة شهرين. ولن يُسمح لك بالعودة إلى مقر شركة سيلماونت حتى تكوني قد استرحتِ واسترخيت وأصبحت أقل إرهاقًا من حال جنديٍّ قضى عامًا في منطقة حرب. اتفقنا؟».

عقبت: «هذا ليس ضروريًّا. ريبيكا، من فضلك أعطني فرصة لأثبت أنني... ».

قالت ريبيكا غاضبةً: «هذه هدية يا لينا! إجازة مدفوعة! شهرين!».

«لا أريدها، أريد أن أعمل».

«حقًّا؟ لأن وجهك يقول إنك تريدين النوم. هل تظنين أنني لا أعرف أنك ظللت تعملين حتى الثانية صباحًا على مدار هذا الأسبوع؟».

«أنا آسفة. أعلم أنه ينبغي عليَّ أن ألتزم بساعات العمل المعتادة... فقط كان هناك بع...».

«أنا لا أنتقدك بسبب الكيفية التي تديرين بها عملك، أنا أسألك بحقك متى ترتاحين يا امرأة!».

راحت جودي تسعل سعالًا هادئًا عند ذلك، فرمقتها ريبيكا بنظرة غاضبة.

قلت بيأس: «أسبوع، سآخذ أسبوعًا من الراحة، ثم عندما أعود سأ...».

«شهرين إجازة! انتهى الأمر. هذا ليس تفاوضًا يا لينا، أنت بحاجة إلى تلك العطلة. لا تجبريني على استدعاء قسم الموارد البشرية لإثبات ذلك».

قالت ذلك مع حركة رأس مستهجنة باتجاه جودي.

انكمشت جودي في مقعدها، كما لو أن أحدهم صفق بصوت عالٍ في وجهها، ربما، أو نكزها في جبهتها.

شعرت بتنفسّي يتسارع مرة أخرى. نعم، كنت أواجه بعض الصعوبات، لكن لا أستطيع أن آخذ إجازة لمدة شهرين. لا أستطيع. شركة سيلماونت تعتمد على السمعة، فإذا اختفيت من المشهد لمدة ثمانية أسابيع كاملة بعد ذلك الاجتماع الخاص بأبجو، سأصبح أضحوكة.

قالت ريبيكا: «لن يتغير شيء خلال ثمانية أسابيع، حسنًا؟ سنكون هنا عندما تعودين. وستظلّين لينا كوتون، الأصغر سنًّا بين كبار موظفينا، والأكثر اجتهادًا، والأذكى». نظرت ريبيكا إليّ بتركيز، وأكملت: «كلنا بحاجة إلى استراحة في بعض الأحيان، حتى أنت».

خرجت من الاجتماع وأنا أشعر بالغثيان. اعتقدت أنهم سيحاولون طردي، لذا كنت قد أعددت كل الجمل الشهيرة للرد على الفصل غير العادل من العمل. لكن... إجازة طويلة؟

«ماذا حدث؟».

قالتها بي، التي ظهرت أمامي فجأة لدرجة أنني كدتُ أتعثر في أثناء توقفي.

فَسَّرت لي: «كنت أتربص بكُنَّ. ماذا قالت ريبيكا؟»

«قالت إنني يجب أن آخذ إجازة».

رمشت بي بعينيها للحظة، وعلقت: «هيا، تعالي معي، لنأخذ غداء مبكرًا».

بينما سرنا نتجنب السياح ورجال الأعمال في طريقنا إلى الشارع التجاري، رن هاتفي في يدي. نظرت إلى الشاشة وترددت، وكدت أصطدم برجل يحمل سيجارة إلكترونية في فمه كأنها غليون.

نظرت بي إلى شاشة الهاتف من فوق كتفي، وقالت:

«لستِ مضطرة إلى الرد الآن، يمكنك تركه يرن».

حام إصبعي فوق الأيقونة الخضراء على الشاشة.

اصطدمت برجل مار يرتدي بذلة؛ تأفف وارتطمت أنا بالرصيف، فاضطرت بي إلى أن تسندني.

حاولت بي تهدئتي: «ماذا كنت ستقولين لي لو كنت أنا في هذا الموقف الآن؟».

أجبت على المكالمة.

تنهدت بي وفتحت باب مقهى واتسون؛ وجهتنا المعتادة للمناسبات النادرة والخاصة عندما نغادر مكاتب سيلماونت لتناول وجبة.

قلت: «مرحبًا يا أمي».

«لينا، مرحبًا!»

أجفلتُ عندما أتاني صوتها وهي تحدثني بعفوية مصطنعة، كأنها تدربت على الأمر قبل إجراء المكالمة.

قالت: «أريد التحدث معك عن التنويم المغناطيسي».

جلستُ مقابل بي، وصحتُ: «ماذا؟».

كررت أمي، بثقة أقل هذه المرة: «التنويم المغناطيسي. هل سمعتِ عنه من قبل؟ هناك شخص يقوم بذلك في ليدز، وأعتقد أنه يمكن أن يفيد كلينا يا لينا. وفكرت أنه ربما يمكننا الذهاب معًا في المرة المقبلة التي تزورينني فيها؟».

«لا أحتاج إلى التنويم المغناطيسي يا أمي».

«ليس الأمر مثلما يفعل ديرين براون أو شيء من هذا القبيل، إنه...».

خرجت كلماتي بحدة: «لا أحتاج إلى التنويم المغناطيسي يا أمي».

شعرت بها تتألم خلال الصمت الذي أعقب ذلك.

أغلقت عيني، أهدئ تنفسي مرة أخرى.

فاستدركت: «يمكنكِ تجربة ذلك إذا أردتِ، لكنني لا أحتاج إليه».

«أعتقد فقط - ربما، ربما سيكون من الجيد لنا أن نقوم بشيء معًا، ليس بالضرورة أن يكون علاجًا، ولكن...».

لاحظت أنها توقفت عن ذكر «التنويم».

مسّدتُ شعري إلى الوراء، فأحسست بملمس رذاذ الشعر القاسي تحت أصابعي، وتجنبت النظر إلى بي عبر الطاولة.

«أعتقد أنه يجب علينا أن نحاول التحدث ربما في مكان لا يمكن أن تُقال فيه أشياء مؤذية، حوار إيجابي فقط».

خلف حديثها، بدأت أشعر بتأثير أحدث كتب المساعدة الذاتية التي تقرؤها أمي. تجلى ذلك في استخدام الكلمات السلبية بحذر، والنبرة الهادئة، والحوار الإيجابي والأشياء المؤذية. لكن عندما جعلني ذلك أتردد، وعندما جعلني أريد أن أقول، حسنًا يا أمي، أي شيء يجعلك تشعرين بتحسن افعليه، تبادر إلى ذهني مباشرة الخيار، الذي ساعدت أمي كارلا على اتخاذه، وكيف أنها سمحت لأختي بأن تختار الإقلاع عن جلسات علاجها، وأن... أن تستسلم.

لستُ متأكدة حتى مما إذا كان نوع التنويم المغناطيسي، الذي يقوم به ديرين براون، يمكن أن يساعدني في التعامل مع ذلك.

قلت: «سأفكر في الأمر، وداعًا يا أمي».

«وداعًا يا لينا.»

ظلت بي تتأملني عبر الطاولة، تتيح لي الفرصة لأستجمع أفكاري».

سألتني أخيرًا: «هل أنتِ بخير؟».

كانت بي معي في مشروع أبجو خلال العام الماضي، ولقد شَهِدَت كل يوم عِشته منذ وفاة كارلا. تعرف بي بشأن علاقتي مع أمي بقدر ما يعرف حبيبي، إن لم يكن أكثر. أرى إيثان فقط في عطلات نهاية الأسبوع، وأحيانًا في أحد أيام منتصف الأسبوع، إذا استطاع كلانا أن ينهي عمله في الوقت المحدد، بينما نقضي أنا وبي معًا حوالي ست عشرة ساعة في اليوم.

فركت عينيَّ بقوة، فخرجت يدي ملطخة بالماسكرة، لا بد أنني بدوت في حالة مزرية تمامًا.

«كنتِ على حق، لم يكن ينبغي لي أن أجيب على المكالمة، لقد تعاملتُ مع الأمر بشكل خاطئ تمامًا».

قالت بي: «بدا لي أنكِ تعاملتِ بشكل جيد جدًّا».

«من فضلك، تحدثي معي عن شيء آخر. شيء ليست له علاقة بعائلتي، أو عملي، أو أي شيء آخر محبط بالقدر نفسه. مثلا احكي لي عن موعدكِ الغرامي في الليلة الماضية».

قالت بي وهي تتكئ على كرسيها: «إذا كنتِ تريدين الحديث عن شيء غير محبط، فستحتاجين إلى اختيار موضوع آخر».

سألت: «أوه لا، لم يكن على ما يرام؟».

رحت أرمش بقوة لأمنع دموعي من الانسياب، لكن بي استمرت في الحديث متظاهرةً بأنها لم تلاحظ، وكان هذا لطيفًا منها.

«لا، كان قذرًا. عرفت أنني لا أريده في اللحظة التي اقترب فيها ليقبِّلني على خدي، وكل ما استطعت أن أشمه كان رائحة منشفة عَفنة، وهي التي في الأغلب استخدمها لتنظيف وجهه».

حسنًا لقد نجحت بي في تشتيتي، كان هذا مقززًا بما فيه الكفاية ليعيدني إلى الحاضر.

قلت: «أوه، يا إلهي، هذا مقزز».

«كانت لديه أيضًا كتلة ضخمة من رمص النوم في آماق عينيه، كأن عينيه تفرزان مخاطًا».

«أوه، بي ...».

حاولت أن أجد الطريقة الصحيحة لأخبرها بأن تتوقف عن إخراج الرجال من حياتها بسرعة هكذا ولأسباب بسيطة، لكن قدرتي على تقديم النصائح والحديث الإيجابي تبدو أنها خانتني، وعلى أي حال، أمر المنشفة هذا مثير للاشمئزاز حقًّا.

قالت بي بينما تتلفت للبحث عن النادل: «أنا على وشك الاستسلام وعيش بقية حياتي أمًّا عزباء، لقد توصلت إلى أن المواعدة أسوأ حقًّا من الوحدة. على الأقل عندما تكونين وحدك، لا يوجد أمل، أليس كذلك؟».

«لا أمل؟».

«نعم، لا أمل. الوحدة رائعة لأننا في الوحدة لا نحتار بشأن مصيرنا؛ فوحدنا جئنا إلى هذا العالم، ووحدنا سنغادره، وهكذا دواليك... بينما المواعدة مليئة بالأمل. في الواقع، المواعدة

حقًّا تمرين طويل ومؤلم تمارسينه لتكتشفي في النهاية كم أن البشر محبِطون ولا أمل فيهم. كل مرة تبدئين تصديق أنك وجدت رجلًا طيبًا ومناسبًا...» حركت أصابعها، وأكملت: «تجدين مشكلات متعلقة بعلاقته بأمه، وتجدين الغرور الهش، وصور متطرفة للهوس بالجبن» .

أخيرًا، نظر النادل نحونا.

نادى عبر المقهى: «طلبكما المعتاد؟».

صاحت بي مشيرة إليّ: «نعم! وأضف شراب السكر على فطائرها».

سألت: «هل قلتِ صور متطرفة للهوس بالجبن؟».

«لنقل فقط إنني رأيت بعض الصور التي جعلتني أكره جبن البري».

قلت مصدومة: «البري؟ لكن - يا إلهي، جبن البري لذيذ جدًّا! كيف يمكن لأحد أن يهين جبن البري بهذا الشكل؟».

ربتت بي على يدي: «أظن أنكِ لن تضطري أبدًا لاكتشاف ذلك يا صديقتي. في الواقع... نعم، إذا كان من المفترض بي الآن أن أبهجك، فلماذا لا نتحدث عن حياتك العاطفية الرائعة؟ من المؤكد أن العد التنازلي بدأ ليطلب إيثان يدكِ للزواج».

لاحَظَت تعبير وجهي، وسألتني: «لا؟ لا تريدين التحدث عن ذلك أيضًا؟».

لوحت بيدي وبدأت عيناي تدمعان مرة أخرى، وأجبتها: «أنا فقط شعرت فجأة بـ... موجة كبيرة من الذعر. آه يا إلهي، آه يا إلهي، يا إلهي».

سألت بي: «ما الذي أثار ذعرك الآن، فقط لكي أعلم؟».

ضغطت بمفاصل أصابعي على عينيّ حتى آلمتني، وأنا أقول: «العمل... لا أستطيع تصديق أنهم لن يخصصوا لي أي مهام لمدة شهرين كاملين. إنه كـ... كالفصل المؤقت من العمل».

قالت بي، وقد جعلتني نبرتها أزيل يديّ وأفتح عينيّ: «في الواقع، إنها عطلة لمدة شهرين».

«نعم، لكن... ».

«لينا، أنا أحبكِ، وأعلم أن لديكِ الكثير من المشكلات الآن، لكن هلا حاولت، من فضلك، أن تري الأمر من منظور إيجابي؟ لأنه سيكون من الصعب عليَّ الاستمرار في محبتك، إذا كنتِ ستقضين الأسابيع الثمانية المقبلة تشتكين من حصولك على إجازة مدفوعة الأجر لمدة شهرين».

«أوه، أنا...».

رفعت حاجبيها وقاطعتني قائلة: «يمكنكِ الذهاب إلى بالي، أو استكشاف غابات الأمازون، أو الإبحار حول العالم.. هل تعرفين بم قد أضحِّي لأحظى بهذا النوع من الحرية؟».

ابتلعت ريقي: «نعم، صحيح. آسفة يا بي».

«لا بأس. أعلم أن الأمر في نظرك ليس مجرد عطلة، لكن فقط تذكرينا ونحن نقضي عطلاتنا القصيرة في متاحف الديناصورات المليئة بالأطفال في سن التاسعة، اتفقنا؟».

تنفست ببطء، محاولة أن أستوعب ذلك.

قلت، بينما اقترب النادل من طاولتنا: «شكرًا لكِ، كنت بحاجة لسماع ذلك».

ابتسمت بي، ثم نظرت إلى طبقها.

ثم قالت بشكل غير مبالٍ: «أتعلمين؟! يمكنكِ استغلال وقت الإجازة للعودة إلى خطة عملنا».

تجهمت. بدأنا أنا وبي نخطط لإنشاء شركتنا الاستشارية الخاصة منذ بضع سنوات - وكنا على وشك إطلاقها عندما مرضت كارلا. الآن، الأمور نوعًا ما... توقفت قليلًا.

قلت بأكبر قدر من الحماسة المصطنعة: «نعم! بالطبع».

رفعت بي حاجبًا متسائلة.

خبت حماستي وبدا عليّ الإحباط مرة أخرى.

«أنا آسفة جدًّا يا بي. أريد أن أفعل ذلك، حقًّا، لكن يبدو أن الأمر... مستحيل الآن. كيف سنطلق شركتنا بينما أجد صعوبة حتى في الاحتفاظ بوظيفتي في سيلماونت؟!».

أخذت بي قضمة من الفطائر وبدت تفكر بما قلت.

قالت: «حسنًا، أفهم أن ثقتكِ بنفسك تلقت ضربة قاصمة مؤخرًا. يمكنني الانتظار. لكن حتى لو لم تستثمري هذا الوقت في العكوف على خطة العمل، فيجب أن تستغلية للعمل على نفسكِ. لينا كوتون التي أعرفها لا تتحدث عن الاحتفاظ بوظيفة وكأنه أقصى ما يمكنها فعله، ولا تستخدم كلمة مستحيل. وأريد أن أستعيد لينا كوتون التي أعرفها: لذا» أشارت إلى نفسها بشوكتها، «لديكِ شهران لتعيديها لي».

«وكيف أفعل ذلك؟».

هزت بي كتفيها، وقالت: «خطوات إيجاد نفسكِ ليست حقًّا من اختصاصي. أنا هنا من أجل وضع الإستراتيجية - وأنتِ المسئولة عن التنفيذ».

أضحكني ذلك.

قلت فجأة وأنا أمد يدي لأمسك يدها: «شكرًا لكِ يا بي، أنتِ رائعة جدًّا. حقًّا، أنتِ مذهلة».

«اممم، حسنًا. قولي ذلك للرجال العُزاب في لندن يا صديقتي»، ثم التقطت شوكتها مرة أخرى.

# 2 إيلين

لقد مرت أربعة أشهر طويلة وجميلة، منذ أن هرب زوجي مع مدربة الرقص من الصف الذي كنا نرتاده، وحتى هذه اللحظة لم أفتقده ولو مرة واحدة.

حدقت في الوعاء الزجاجي على الطاولة وقد ضيقت عينى. معصمي لا يزال يؤلمني بعد مرور ربع ساعة منذ أن حاولت نزع غطاءه، لكنني لن أستسلم. بعض النساء يعشن وحدهن طوال حياتهن ويأكلن الطعام من تلك الأوعية الزجاجية.

نظرت إلى الوعاء بحدة وتحدثت مع نفسي بجدية. أنا امرأة تبلغ من العمر تسعة وسبعين عامًا. أنجبت أطفالًا، وقد ربطت نفسي بجرافة لإنقاذ غابة، كما أنني وقفت في وجه بيتسي بشأن قواعد وقوف السيارات الجديدة في شارع لين السفلي.

إذن يمكنني فتح وعاء صلصة المكرونة الزجاجي اللعين هذا.

وقف القط ديك يراقبني من حافة النافذة، بينما أفتش في درج أدوات المطبخ بحثًا عن شيء يقوم بعمل أصابعي التي يزداد انعدام فائدتها مع الوقت.

قلت للقط: «تعتقد أنني امرأة عجوز حمقاء، أليس كذلك؟».

هز ديك ذيله في سخرية. جميع البشر حمقى، ينبغي عليكِ أن تتعلمي مني، لديَّ من يهتم لأمري ويفتح لي أوعية طعامي! هذا ما يعنيه هز ذيله!

قلت له، ملوحة بملعقة السباجيتي نحوه: «حسنًا، أنت محظوظ لأن عشاءك الليلة في كيس».

أنا لا أحب القطط حتى. لقد كانت فكرة ويد اقتناء قطط صغيرة، العام الماضي، لكنه فقد الاهتمام بـ آنت وديك، عندما وجد الآنسة تشا-تشا-تشا، وقرر أن هاملي صغيرة جدًّا على أن يكمل حياته بها، وأن القطط يحتفظ بها فقط الأشخاص المسنون.

أخبرني حينها بلهجة تنضح بالكرم: «يمكنك الاحتفاظ بكليهما، فهما يناسبان أسلوب حياتكِ أكثر من أسلوب حياتي».

كم كان متغطرسًا! إنه أكبر مني، على أي حال، إذ سيبلغ الحادية والثمانين في سبتمبر. وبالنسبة لأسلوب حياتي... حسنًا، فقط انتظر وسترى يا ويد كوتون. فقط انتظر وسترى.

قلت للقط وأصابعي تلتف حول سكين الخبز في الجزء الخلفي من الدرج: «هناك أمور سوف تتغير هنا يا ديكلان».رمش ديك ببطء في لا مبالاة، ثم اتسعت عيناه وانزلق بعيدًا عن النافذة، عندما رفعت السكين بكلتا يديَّ لأطعن غطاء الوعاء.

أطلقت صيحة صغيرة، حيث إنني نجحت في اختراق الغطاء؛ استغرق الأمر بضع طعنات أخرى، مثل قاتل هاوٍ في مسرحية لأجاثا كريستي، ولكن هذه المرة عندما أدرت الغطاء، انفتح بسهولة. غمغمت لنفسي بينما وقفت أفرغ المحتويات في المقلاة، والشعور بالانتصار يغمرني.

بمجرد أن سخنت الصلصة ونضجت المكرونة، جلست مجددًا إلى طاولة غرفة الطعام مع كوب شاي ورحت أتفحص قائمتي.

باسيل والينجهام

الإيجابيات:

- يعيش على بُعد خطوات قليلة، ومن غير الصعب المشي إلى منزله.

- أسنانه طبيعية.

- لا يزال يتمتع بقدر من الطاقة والحيوية لإبعاد السناجب عن طعام الطيور.

السلبيات:

- ممل جدًّا.

- دائمًا يرتدي ملابس من قماش التويد العتيق.

- قد يكون فاشيًّا

السيد روجرز

الإيجابيات:

- عمره 67 عامًا فقط.

- شعره كامل (مثير للإعجاب جدًّا).

- يرقص مثل باشا من برنامج «ستريكتلي» (أكثر إثارة للإعجاب).

- مهذب مع الجميع، حتي مع باسيل (الأكثر إثارة للإعجاب).

السلبيات:

- رجل متدين جدًّا، ورع جدًّا. أيمكن أن يكون هذا مؤشرًا على أنه ممل في العلاقة الحميمة؟

- يزور هاملي مرة واحدة في الشهر فقط.

- لم يُظهر أي اهتمام بأي شخص سوى الرموز الدينية.

الدكتور بيوتر نواك

الإيجابيات:

- بولندي. كم هذا مثير!

- طبيب. سيفيدني في أمراضي.

- الحديث معه ممتع، ويبرع في لعبة سكرابل.

السلبيات:

- أصغر مني بكثير (59 عامًا)

- على الأغلب أنه لا يزال يحب زوجته السابقة.

- يشبه ويد قليلًا (ليس ذنبه لكن الأمر مزعج).

مضغتُ ببطء والتقطت قلمي. قاومت هذه الفكرة طوال اليوم، لكن... ها أنا ذا أدرج جميع الرجال غير المتزوجين ممن هم في العمر المناسب، ولا سيما بعد أن... بعد أن أدرجت باسيل في القائمة.

أرنولد ماكنتاير

الإيجابيات:

- يعيش في المنزل المجاور

- العمر مناسب (72 عامًا)

السلبيات:

- إنسان بغيض.

- سمم أرنبي (لم يثبت ذلك بعد، لكنه من فعلها. أعلم هذا).

- قطع شجرتي التي احتوت على الكثير من أعشاش الطيور.

- عدو للسعادة.

- ربما يأكل القطط الصغيرة على الفطور.

- من المحتمل أن يكون من نسل العمالقة.

- يكرهني بقدر ما أكرهه.

بعد لحظة، شطبت الجزء المتعلق بكونه من نسل العمالقة، لأنني شعرت أنه ينبغي لي ألا أتحدث عن والديه؛ لقد كانا دومًا لطيفين بقدر ما أعلم. لكنني سأترك الجزء المتعلق بالقطط الصغيرة.

ها قد أصبحت القائمة كاملة.

ملت برأسي، فبدت القائمة قاتمة من هذه الزاوية كما تبدو من الزاوية المباشرة. يجب أن أواجه الحقيقة: الخيارات ضئيلة جدًّا في «هاملي إن هاركسديل»، بسكانها المائة والثمانية والستين. إذا أردت أن أجد الحب في هذه المرحلة من حياتي، فأحتاج إلى النظر إلى ما هو أبعد من ذلك. على سبيل المثال، إلى تونتينجهام. هناك ما لا يقل عن مائتي شخص في تونتينجهام، والتي تبعد ثلاثين دقيقة فقط بالحافلة.

رن الهاتف، فقمت ووصلت إلى غرفة المعيشة في الوقت المناسب.

«مرحبًا».

«أهلًا جدتي؟ أنا لينا». ابتسمت، وأجبتها: «انتظري، دعيني أجلس بشكل مريح».

جلست على الكرسي المفضل لديَّ، الأخضر ذى النقوش الوردية. هذه المكالمة الهاتفية خاصة هي أفضل شيء في أي يوم. حتى عندما كان الحزن مخيمًا على حياتنا، ولا نتحدث إلا عن وفاة كارلا - أو أي شيء سوى ذلك؛ لأن الحديث عنها كان مؤلمًا جدًّا - حتى في تلك اللحظات، كانت هذه المكالمات مع لينا تمنحني القوة.

سألتُ لينا: «كيف حالكِ يا حبيبة قلبي؟».

«أنا بخير، كيف حالك أنت؟».

ضيقت عينيّ وقلت: «لستِ بخير».

«أعلم أنني لست بخير، آسفة لم أقصد الكذب، لقد خرجت الكلمة تلقائيًّا. مثلما يحدث عندما يعطس أحدهم وتقولين له بوركت». سمعتها تبتلع ريقها بصعوبة.«جدتي، لقد أصبت بنوبة هلع في العمل، وقد أرسلوني في إجازة لمدة شهرين».

وضعت يدي على قلبي: «أوه، يا لينا العزيزة»، ثم استطردت بسرعة: «لكن ليس من السيئ أن تأخذي بعض الوقت للاستراحة، فقليل من الراحة من كل ذلك سيفيدك، بالتأكيد».

«إنهم يهمشونني، لقد تراجع أدائي يا جدتي».

«حسنًا، هذا مفهوم، نظرًا لـ...».

قالت وصوتها يتقطع: «لا، ليس كذلك. يا إلهي، لقد - لقد وعدت كارلا، أخبرتها أنني لن أدع فقدانها يعوقني، وكانت دائمًا تقول - كانت تقول إنها فخورة جدًّا بي، لكن الآن ...».

سمعتها تبكي، تشبثت بيدي في كنزتي كما تتشبث آنت أو ديك عندما يجلسان في حجري. حتى عندما كانت طفلة، نادرًا ما كانت لينا تبكي، على العكس من كارلا. عندما كانت كارلا

تحزن، كانت ترفع ذراعيها إلى السماء، وكأنها ترسم بجسدها لوحة تعبر عن حدث مأساوي، مثل ممثلة في مسرحية ميلودرامية - كان من الصعب عليك ألا تضحك على طريقتها. لكن لينا كانت تعبس فقط وتخفض رأسها، وتنظر إليك مؤنبة من بين رموشها الداكنة الطويلة.

أخبرتها: «اهدئي يا حبيبتي، كارلا كانت ستريدك أن تأخذي عطلة».

«أعلم أنه يجب أن أنظر إلى الأمر على أنه عطلة، لكنني لا أستطيع. إنه فقط... أكره فكرة أنني أخفقت».خرجت تلك الكلمات مكتومة، وكأنها تضع يدها على فمها وهي تتكلم.

خلعت نظارتي وفركت أنفي، وأجبتها: «لا يا حبيبتي لم تخفقي، أنتِ فقط تحت ضغط، وهذا هو السبب. لماذا لا تأتين وتقضين نهاية الأسبوع هنا؟ كل شيء يصبح أفضل بتناول كوب من الشيكولاتة الساخنة، وحينها سيتسنى لنا التحدث. يمكنكِ أن تأخذي استراحة صغيرة من كل شيء وتصفِّي ذهنك هنا في هاملي...».

ساد صمت طويل.

قلت بتردد: «لم تزوريني منذ فترة طويلة جدًّا».

«أعرف. أنا آسفة جدًّا يا جدتي».

«أوه، لا بأس. لقد جئتِ لزيارتي عندما رحل ويد، كنتُ ممتنة جدًّا لذلك. وأنا محظوظة جدًّا أن لدي حفيدة تطمئن عليّ بين الحين والآخر».

«لكنني أعلم أن الحديث عبر الهاتف ليس كالزيارات. وليس لأنني... أنتِ تعرفين أنني أحب رؤيتكِ».

لا ذكر لأمها طوال المكالمة. قبل وفاة كارلا، كانت لينا تأتي لرؤية ماريان مرة في الشهر على الأقل. متى سينتهي هذا الصراع البائس بينهما؟ أحرص دائمًا على عدم الإتيان على ذكره، فلا أريد أن أتدخل، فهذا ليس من شأني. لكن...

«هل اتصلت بك والدتك؟».

صمت طويل آخر. «نعم».

«هل حدثتك عن...»، ماذا كان اسمه. عن العلاج بالنوم؟».

«التنويم المغناطيسي».

«آه، نعم».

سكتت لينا مرة أخرى. إنها عنيدة جدًّا، عزيزتنا لينا هذه.كيف يمكن لامرأتين عنيدتين بهذا الشكل أن تتجاوزا خلافاتهما

قلت لأكسر الصمت: «حسنًا، سأبقى بعيدة عن الأمر».

«أنا آسفة يا جدتي، أعلم أنه صعب عليكِ».

«لا، لا، لا تهتمي لأمري. لكن هل ستفكرين في المجيء إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع؟ من الصعب المساعدة من بعيد يا عزيزتي».

سمعتها تهمس: «أتعلمين يا جدتي، سأجيء. كنت أفكر في ذلك، و... وحقًّا أود رؤيتكِ».

ابتهجت قائلة: «ها نحن ذا! سأجعلها تجربة رائعة. سأعد لك أحد أطباقك المفضلة على العشاء وأحدثك عن كل شائعات القرية. رولاند يتبع حمية غذائية، تعرفين؟ وبيتسي حاولت صبغ شعرها، لكن الأمر لم يسر كما كان مخططًا، واضطررتُ لأخذها إلى مصفف الشعر بمنشفة مطبخ على رأسها».

ضحكت لينا بصوت خافت، وقالت: «شكرًا يا جدتي، أنت دائمًا تعرفين كيف تحسنين مزاجي».

قلت: «هذا ما تفعله الإيلينات، يعتنين ببعضهن البعض».اعتدت أن أخبرها بذلك عندما كانت طفلة، فـ «لينا» صيغة مختصرة من اسم «إيلين». سمتها ماريان لينا تيمنًا باسمي عندما ظننا جميعًا أنني على وشك الموت بعد التهاب رئوي شديد في أوائل التسعينيات، وعندما أدركنا أنني لم أكن معرضة للموت أصلًا في نهاية المطاف، أصبحت الأمور مربكة، وهكذا أصبحت لينا هي لينا».

قالت: «أحبك يا جدتي».

«وأنا أيضًا يا حبيبة قلبي».

بعد أن أنهت المحادثة، أدركت أنني لم أخبرها بخطتي الجديدة. شعرت بوخزة من الأسف. ووعدت نفسي بأن أخبرها في المرة المقبلة التي تتصل فيها. الأمر ليس أنني أشعر بالخجل من رغبتي في البحث عن الحب، أبدًا، ولكن الشباب يميلون إلى النظر إلى كبار السن، الذين يسعون للعثور على الحب، على أنهم مضحكون ومتصابون. الهدف ليس السخرية، بل يشبه أن تضحك على الأطفال الذين يتصرفون كالكبار، أو الأزواج وهم يحاولون القيام بالتسوق الأسبوعي.

عدت إلى غرفة الطعام، وعندما وصلت إلى هناك، نظرت إلى قائمتي الحزينة من الرجال المؤهلين في هاملي. صغر كل هذا فجأة في عينيَّ الآن، إذ أصبحت كارلا تهيمن على أفكاري. حاولت جاهدة التفكير في أشياء أخرى - في سترات باسيل من قماش التويد، أو في زوجة بيوتر السابقة - لكن دون جدوى، لذا جلست وسمحت للذكريات بأن تتداعى.

سرحت بي الذكريات، فتمثلت صورة كارلا أمامي وهي طفلة صغيرة، بشعرها المجعد وركبتيها الممتلئتين بالكدمات، ويدها في يد شقيقتها. ثم راودتني صورتها وهي شابة ترتدي قميصًا باهتًا من منظمة السلام الأخضر، نحيلة جدًّا ولكنها بشوشة، مفعمة بالحماسة والطاقة، قبل أن تباغتني صورتها وهي ممددة في غرفة الجلوس بمنزل ماريان، هزيلة ومرهقة، تقاوم السرطان بكل ما تبقى لها من قوة.

ما كان ينبغي لي أن أتذكرها على هذا النحو، وهي ضعيفة. ورغم مرضها، كانت كارلا لا تزال كارلا، مفعمة بالحيوية والحماسة. حتى في آخر زيارة من لينا لرؤيتها، قبل أيام فقط من وفاتها، لم تسكت كارلا على أي هراء سمعته من شقيقتها الكبرى.

كانت كارلا مستلقية في سريرها الطبي الذي جلبه لها مجموعة من موظفي مصلحة الخدمات الصحية الوطنية اللطفاء إلى غرفة معيشة ماريان ذات مساء، وثبتوه في مكانه بكفاءة مدهشة، ثم انصرفوا قبل أن أتمكن حتى من تقديم الشاي لهم. كنا أنا وماريان واقفتين عند عتبة الباب، ولينا بجانب السرير، عند الكرسي المريح الذي نقلناه إلى هناك ذات مرة ولم نعده إلى مكانه منذ ذلك الحين. لم تكن غرفة المعيشة وقتها تتمحور حول التلفاز، بل حول ذلك السرير، بأعمدته ذات اللون الكِريمي، وجهاز التحكم الرمادي الذي كان دائمًا يضيع تحت البطانيات، والمخصص لضبط ارتفاع السرير وتحريك كارلا عندما تريد الجلوس.

كانت لينا تقول لأختها، وعيونها لامعة بالدموع: «أنتِ مذهلة،أرى أنكِ مذهلة وشجاعة جدًّا، و...».

مدت كارلا يدها، أسرع مما كنتُ أظن أنها قد تَقدِر، ولمست ذراع أختها.قالت كارلا: «توقفي، لم تكوني لتقولي هذه الأشياء لو لم أكن طريحة فراش الموت».حتى بصوتها الرفيع والجاف، كان يمكننا سماع حسها الفكاهي في كلماتها.

«أصبحتِ أكثر لطفًا تجاهي، هذه الأيام، ويا لغرابة هذا. أفتقدكِ وأنتِ توبخينني على إهمالي مستقبلي».

جفلت لينا وقالت: «لم أقصد...».

«لينا، لا بأس، أنا أمزح معكِ».

اعتدلت لينا في جلستها بالكرسي ذي الذراعين في توتر، بينما رفعت كارلا عينيها للأعلى، كما لو كانت تريد أن تقول: يا للهول.

كنت قد اعتدت وجهها الخالي من الحواجب بحلول ذلك الوقت، لكنني أتذكر كم كان يبدو غريبًا في البداية، حتى أغرب من فقدان شعرها البني المجعد.

قالت: «حسنًا، حسنًا. سأكون جادة».

نظرت إليَّ وإلى ماريان، ثم مدت يدها لتأخذ يد لينا. كانت أصابعها شاحبة جدًّا إزاء بشرة لينا السمراء.

«حسنًا؟ تم تفعيل وضع الجدية». أغلقت كارلا عينيها للحظة. «هناك بعض الأشياء التي أردت أن أقولها، كما تعلمين. أشياء جادة». ثم فتحت عينيها، مثبتة نظرتها على لينا. «هل تتذكرين عندما ذهبنا للتخييم معًا في ذلك الصيف عندما عدت من الجامعة، وأخبرتني أنك تعتقدين أن العمل بالاستشارات الإدارية هي الطريقة المثلى لتغيير العالم، وضحكت ساخرة منك حينها؟ ثم تشاجرنا حول الرأسمالية؟».

قالت لينا: «نعم، أتذكر».

بلعت كارلا ريقها وأكملت: «لم يكن يجب أن أضحك».بدا عليها أنها تتألم، فضاقت عيناها، وارتعشت شفتاها الجافتان.أكملت: «كان يجب أن أستمع إليك وأخبرك أنني فخورة بك. أنتِ تُشكّلين العالم، بطريقة ما، أنتِ تجعلينه أفضل، والعالم بحاجة إلى أشخاص مثلك. أريدك أن تطيحي بجميع الرجال العجائز المتعجرفين من كراسيهم، وأريدك أن تديري المشهد وتتصدريه. أطلقي شركتك، وساعدي الناس، وعِدِيني بأنك لن تدَعي فقداني يوقفك».

كانت لينا تبكي حينها، وأكتافها منحنيّة للأمام وتهتز بسبب بكائها.

هزت كارلا رأسها، وقالت: «لينا، توقفي من فضلك. يا إلهي، هذا ما يجنيه المرء عندما يتحلى بالجدية! هل يجب أن أسخر منك مرة أخرى؟».

قالت لينا، ضاحكة بين دموعها: « لا، لا، أرجوكِ لا تفعلي. لقد كان ذلك مؤلمًا نوعًا ما».

«حسنًا. اعلمي فقط أنه متى تركتِ فرصة تفلت منك، ومتى شككتِ في قدراتك، ومتى فكرتِ في الاستسلام، وتخليتِ عن شيء تريدينه.. سوف ألكزك من السماء، من عالم الآخرة وأنبهكِ».

وهذه كانت كارلا كوتون طوال حياتها!. كانت شُجاعة، ومرحة، وكانت تعلم أننا لا نستطيع العيش دونها.

# 3 لينا

استيقظت في السادسة واثنتين وعشرين دقيقة، أي بعد اثنتين وعشرين دقيقة من ميعاد منبهي المعتاد، وجلست في سريري منتصبة وأنا ألهث. أعتقد أن السبب في ذعري هو الصمت الغريب، وغياب صوت منبه هاتفي المزعج. استغرق الأمر بعض الوقت لأتذكر أنني لست متأخرة، لا حاجة للنهوض والذهاب إلى المكتب، بل لا يُسمح لي بالعودة إلى المكتب من الأساس.

ألقيت رأسي مرة أخرى على الوسادة مع انحسار مشاعر الهلع والعار. كانت نومة مروعة، إذ قضيت الليلة عالقة في حلقة لا تنتهي من مشاهد من هذا الاجتماع. لم أنم بشكل كامل. ثم، عندما غفوت، حلمت بكارلا، بمشاهد من إحدى الليالي الأخيرة التي قضيتها معها في منزل أمي. تذكرت كيف زحفتُ إلى السرير واحتضنت كارلا، وأحطت بجسدها الهزيل مثل جسد طفل. لكنها لكزتني بكوعها لتدفعني بعيدًا، وقالت توقفي عن جعل وسادتي تبتل، لكنها قبلتني على خدي وأرسلتني إلى المطبخ لتحضير الشيكولاتة الساخنة في منتصف الليل، وتحدثنا لفترة، وظللنا نضحك في الظلام كما كنا نفعل عندما كنا أطفالًا.

إنها الليلة الأولى التي أحلم فيها بكارلا منذ بضعة أشهر. الآن، وأنا مستيقظة، أعيش ذلك الحلم من جديد. أفتقد أختي بشدة لدرجة أنني ظللت أصرخ بصوت مختنق، يا إلهي يا إلهي، وتذكرت نوبات الحزن الشديدة التي انتابتني في تلك الأشهر الأولى، والتي انتابتني إحداها مرة أخرى للحظة جعلت قلبي ينفطر، فتساءلت كيف نجوت في ذلك الوقت.

حسنًا، هذا شعور سيئ. أحتاج إلى الحركة! الجري مثلًا، هذا سيحل المشكلة. ارتديت البنطال الرياضي ماركة لولوليمون الذي اشتراه لي إيثان في عيد ميلادي، وقميصًا قديمًا، وخرجت. ركضت عبر شوارع شورديتش بمبانيها ذات الطوب الداكن والرسوم التي تغطي جدرانها، حتى دلفت إلى شارع كليركينويل بمستودعاته التي أعيد استخدامها في أغراض

أخرى، قبل أن أصل إلى شارع أبر بحاناته ومطاعمه، لينتهي بي الأمر في حي إسلنجتون بثرائه الفاحش، حتى غمرني العرق وكل تركيزي منصب على تلك النقطة البعيدة في نهاية الأفق من الرصيف الطويل الذي أركض فوقه. رحت أقترب منها الخطوة تلو الخطوة.

عندما عدت، وجدت مارثا في المطبخ، تحاول إيصال جسدها المنتفخ جدًّا بفعل الحمل إلى واحد من كراسي الإفطار العالية ذات الطراز السخيف التي اختارتها للشقة.لطالما بدت مارثا شابة، بشعرها البني الداكن المضفر. كانت صاحبة وجه طفولي بريء، وبالأخذ في الاعتبار الضفائر أيضًا، فإن حملها سيبدو غير قانوني بالمرة.

مددت لها ذراعي لتستند إليها بينما تتسلق، لكنها أشارت لي بيدها ألا أقترب منها.

قالت: «هذه بادرة لطيفة جدًّا منك، لكنك تتصببين عرقًا من كل ناحية، ولا يجدر بك في تلك الحالة أن تلمسي الآخرين، يا عزيزتي».

مسحت وجهي بأسفل قميصي وتوجهت إلى الحوض لأحصل على كوب من الماء.التفتُّ لأخبرها: «نحتاج إلى كراسي طبيعية».

قالت مارثا، وهي تحاول تحريك جسدها للخلف لتستوي فوق مقعدها: «لا، نحن لا نحتاج! هذه مثالية».

أدرت عيني متعجبة.

مارثا مصممة ديكور متخصصة في ديكور الأماكن الفاخرة. فلسفتها في الديكور تقوم على البهرجة، واختيار كل ما هو غير عادي وغير مألوف. عملها مرهق ويستنزف طاقتها، وهي دائمًا تحت الطلب. وعملاؤها مهووسون بالدقة لدرجة مرهقة، لدرجة أنهم يتصلون بها دائمًا خارج ساعات العمل ليشكوا إليها لساعات طويلة بشأن أقمشة الستائر. لكن الجانب الإيجابي في ذلك أنها تحصل على خصومات على الأثاث الفاخر، وهكذا فقد زينت شقتنا بمجموعة من الأشياء الأنيقة التي إما لا تخدم أي غرض - مثل المزهرية على شكل حرف

دابليو عند حافة النافذة، والمصباح الحديدي الذي ينبعث منه علي استحياء وهج خافت عندما يتم تشغيله، أو لا تؤدي وظيفتها الأساسية كما ينبغي: مثل كراسي الإفطار التي يمكنك بصعوبة الجلوس عليها، وطاولة القهوة ذات السطح المقعر.

ومع ذلك، يبدو أن ذلك يجعلها سعيدة، وأنا نادرًا ما أكون في الشقة، لذا لا يزعجني ذلك كثيرًا. ما كان يجب عليّ أن أدع مارثا تقنعني باستئجار هذا المكان معها، حقًّا، لكن جاذبية العيش في مطبعة قديمة كانت شديدة جدًّا لدرجة أنه كان من الصعب عليّ مقاومتها، عندما كنت مستجدة في لندن. لكن الآن أصبحت هذه الشقة، في نظري، مجرد شقة باهظة الثمن أنام فيها. لم ألاحظ من قبل أن ما نقوم به هنا هو، على ما يبدو، العيش في مستودع حِرَفي. عندما تغادر مارثا، يجب عليّ حقًّا التحدث مع فيتز حول الانتقال إلى مكان أكثر منطقية. باستثناء السيدة العجوز الغريبة التي تربي القطط في الشقة المجاورة، يبدو أن كل من يعيش في هذا المبنى لديه لحية هيبستر أو يمتلك شركة ناشئة، لذا لست متأكدة من أن شورديتش هي المكان المناسب لنا.

سألتها وأنا أُحضر لنفسي كوبًا آخر من الماء: «هل تمكنت من التحدث إلى ياز، الليلة الماضية؟».

ياز صديقة من صديقات مارثا المقربات، وهي حاليًّا في جولة مسرحية بأمريكا لمدة ستة أشهر. علاقتها مع مارثا تسبّب لي مستويات عالية من التوتر، فكل شيء بينهما يبدو معقدًا جدًّا، فيكفي أن كلتيهما تعيش في منطقة زمنية مختلفة، وترسل كل منهما للأخرى مستندات مهمة عبر المحيط الأطلسي، وتساعدان بعضهما بعضًا على اتخاذ قرارات حياتية حاسمة، عبر مكالمات تطبيق واتس آب في ظل إشارة إنترنت سيئة. الوضع الحالي مثال ممتاز على طبيعة نمط حياتهما.. ستعود ياز بعد ثمانية أسابيع، وستتسلم بيتًا (الذي لم يُشترَ بعد) وتنتقل للعيش فيه مع صديقتها الحامل قبل الموعد المحدد لولادة الطفل بأيام قليلة. يغمرني العرق من مجرد التفكير في كل هذا.

قالت مارثا وهي تداعب بطنها بكسل: «نعم، ياز بخير. تتحدث بسرعة ستمائة متر في الساعة عن تشيخوف ومباريات البيسبول. كما تعلمين، ياز المعتادة». اتسعت ابتسامتها الحنونة وهي تتثاءب بشكل واسع، وأكملت: «لكنها نحفت كثيرًا، تحتاج إلى وجبة دسمة».

أخفيت ابتسامتي. قد لا تكون مارثا أمًّا بعد، لكنها دائمة العناية بجميع من حولها كأنها أمهم منذ أن عرفتها. إطعام الناس هو أحد أساليبها المفضلة في الرعاية. كما أنها تستمر في إحضار أصدقائها من صف البيلاتس إلى البيت لتناول الشاي، على أمل أن يصبح فيتز، زميلنا الثالث في السكن، أكثر شعورًا بالمسئولية.

وبالحديث عن فيتز، تحققت من الوقت في ساعتي الذكية. إنه في وظيفته الرابعة لهذا العام؛ و ينبغي له ألا يتأخر عن العمل حتى ذلك الوقت.

سألت: «هل استيقظ فيتز؟».

ظهر فيتز في هذه اللحظة تحديدًا، وهو يرفع ياقة قميصه ليضع رابطة عنقه. كما هي الحال دائمًا، كانت لحيته مهذبة بإتقان كما لو أنه استخدم مسطرة لتهذيبها. لقد عشت معه لثلاث سنوات وما زلت غير قادرة على فهم كيف يحقق هذا المظهر.إن مظهر فيتز يخدع الآخرين، فرغم أن حياته مثال حي للفوضي، لكن مظهره مرتب جدًّا لدرجة أن جواربه مُرتبة ومكوية. (ولكن دفاعًا عنه، جواربه دائمًا ما تكون ظاهرة - يرتدي سرواله قصيرًا حوالي ثلاثة سنتيمترات - وهي أكثر إثارة للاهتمام من جوارب الشخص العادي. مثلًا لديه زوج مغطى برسوم لسبونجبوب سكوير بانتس، وآخر مرقط مثل لوحة فان جوخ، والزوج المفضل لديه هو الجوارب السياسية التي كتب عليها «عار على البريكست» عند الكاحل)

سأل فيتز، وهو ينهي عقد ربطة عنقه الرفيعة: «أنا مستيقظ. السؤال هو: لماذا أنتِ مستيقظة، يا من مُنحتِ إجازة؟!».

قالت مارثا: «آه يا لينا، أنا آسفة، لقد نسيت تمامًا أنكِ لن تذهبي إلى العمل، هذا الصباح».اتسعت عيناها بتعاطف، وسألت: «كيف تشعرين؟».

اعترفت: «أشعر بأنني بائسة، ثم أغضب من نفسي لكوني بائسة، لأنه من ذا الذي يشعر بالبؤس عندما يحصل على عطلة مدفوعة الأجر لمدة شهرين؟ لكنني أستمر في تذكر تلك اللحظة في الاجتماع، فيصبح كل ما أريده هو أن أتكور في وضع الجنين».

علقت مارثا وهي تربت على جانب بطنها: «وضع الجنين ليس وضعية يبقى فيها الطفل ثابتًا وهادئًا، كما يعتقد الناس». ثم أردفت: «لكن هذا طبيعي جدًّا يا عزيزتي. تحتاجين إلى الراحة، وهذا ما يحاول جسدك إخبارك به. ويجب أن تسامحي نفسك، فالخطأ الذي ارتكبتِه ليس إلا خطأ بسيطًا».

قال فيتز وهو يتجه إلى الخلاط: «إن لينا لم تعهد ارتكاب الأخطاء. امنحيها الوقت حتى تتكيف مع ما حدث».

علقت على كلامه بوجه مكفهر: «ارتكبت أخطاء من قبل».

رد فيتز وهو يغمز لي: «أوه، بالله عليك أيتها المثالية. اذكري لي واحدًا من تلك الأخطاء».

رأت مارثا التعبير الحانق المرتسم على وجهي، فمدت يدها وضغطت على ذراعي ضغطة لطيفة؛ من باب المواساة، ثم تذكرت كم أنا غارقة في العرق، فراحت تربت على كتفي برفق عوضًا عن ذراعي.

سألتني: «هل لديكِ خطط لعطلة نهاية الأسبوع؟».

أجبتها: «سأذهب إلى هاملي». ثم أردفت وأنا أتفقد هاتفي: «في الواقع، أنتظر رسالة نصية من إيثان، إذ اضطر إلى أن يعمل حتى وقت متأخر، الليلة الماضية، لكنني آمل أن يكون

متفرغًا هذا المساء. أحتاج إلى أحد عناقاته، تلك العناقات الطويلة الدافئة حيث أضع وجهي على عنقه ويحضنني بشدة».

قال فيتز والدهشة تعلو وجهه: «حقًّا! العودة إلى الشمال لرؤية والدتك. هل هذا ما تريدين فعله الآن؟».

وبخته مارثا قائلةً: «فيتز! أعتقد أن هذه فكرة رائعة يا لينا. رؤية جدتك ستجعلك تشعرين بتحسن كبير، ولست مضطرة إلى قضاء وقت مع والدتك إذا لم تكوني راغبة في ذلك. هل سيذهب إيثان معكِ؟».

«على الأرجح لا؛ فهو مشغول بمشروع سويندون. الموعد النهائي للتسليم هو الخميس المقبل، لذا يبقى في المكتب طوال الوقت».

وهنا، نكز فيتز آلة العصير بعصبية ملحوظة. لم يكن يحتاج إلى قول شيء: كنت أعلم أنه يرى أنني وإيثان لا نولي علاقتنا الاهتمام الكافي. صحيح أننا لا نرى بعضنا بقدر ما نرغب؛ فعلى الرغم من أننا نعمل في الشركة نفسها، لكننا دومًا نُكلَّف بمشاريع مختلفة، عادة في مناطق صناعية نائية. لكن ظل هذا جزءًا من أسباب حبي لإيثان، إذ إنه يفهم مدى أهمية العمل. عندما توفيت كارلا وكنت أواجه صعوبة كبيرة في التأقلم، كان إيثان هو من ساعدني على التركيز على عملي، ظل يذكّرني بما أحببته فيه، ويدفعني للتقدم حتى لا يكون لدي أي فرصة للانهيار.

والآن ليس لدي أي عمل يشغل بالي ويبعدني عن التركيز على الأمر، للشهرين المقبلين. أمامي شهران من الفراغ الهائل، بلا أي عمل ولا أي خطط. عندما فكرت في كل تلك الساعات من السكون والهدوء والوقت للتفكير، شعرت بأنني سأصاب بنوبة هلع. كنت بحاجة إلى هدف، مشروع، شيء ما. إذا لم أستمر في العمل، فستغمرني مشاعر الاكتئاب وأغرق فيها، ومجرد تصور الأمر جعلني أرتجف ذعرًا.

تحققت من الوقت على هاتفي، فوجدت إيثان متأخرًا أكثر من ساعة ونصف الساعة، وقلت في نفسي: ربما عطله أحد زملائه عندما هَمَّ ليغادر العمل. عكفت على تنظيف الشقة طوال فترة ما بعد الظهر، وانتهيت باكرًا حتى يصل والشقة نظيفة، لكن الآن مرت ساعتان إضافيتان، عكفت فيهما على سحب الأثاث وغسل أرجل الكراسي والقيام بنوع من التنظيف العميق، جدير بحجز مكان لي في القناة الرابعة الوثائقية.

عندما سمعت أخيرًا مفتاحه في الباب، خرجت من تحت الأريكة، وخلعت عني سترة التنظيف العملاقة. كانت سترة مستوحاة من مسلسل *Buffy*: على مقدمتها صورة كبيرة لوجه بافي في أكثر تعبيراته قوة وحدة وشراسة (معظم ملابسي غير الرسمية عبارة عن سترات ضخمة تحمل رسومًا من مسلسلات الخيال العلمي، ربما لا يكون لدي الكثير من الوقت للاستمتاع بالمسلسلات التليفزيونية هذه الأيام، لكنني على الأقل أملك القدرة على أن أُظهر ولائي تجاه المسلسلات التي شاهدتها وأحببتها، وبصراحة، هذا هو النوع الوحيد من الموضة الذي أعدُّه يستحق إنفاق المال عليه).

تنهد إيثان تنهيدة مسرحية وهو يدخل الغرفة، ليُفاجأ بالتغيير... تبدو الشقة رائعة، عادة ما نحرص على الحفاظ على المكان نظيفًا، لكنه الآن يبدو كأنه يلمع.

قال إيثان: «كان يجب أن أتوقع أنك لن تتمكني حتى من قضاء يوم واحد دون أي نشاط يستنزف طاقتك». اتجه ناحيتي ليعانقني، فغمر أنفي رائحة تفوح بعطر غني وحمضي. أكمل: «المكان يبدو رائعًا، هل تودين تنظيف شقتي بعد ذلك؟».

لكزته في ذراعه فضحك، ثم أزاح خصلات شعره الداكنة الواقعة على جبهته جانبًا، ثم مال للأمام حتى يعانقني مرة أخرى. أصابتني الغيرة عندما لاحظت مدى حماسته وهو عائد من العمل. أفتقد ذلك الشعور.

قال بينما يبتعد ويتجه نحو المطبخ: «آسف على التأخير، لقد جلس لي معي لنتحدث عن أرقام البحث والتطوير لعرض ويبستر، وأنت تعرفين لي، لا يمكنه أن يفهم تلميحًا أيًّا كان».

ثم التفت إليّ وسألني: «كيف حالك يا ملاكي؟».

اشتد التوتر في معدتي. كيف حالك، يا ملاكي؟ اعتاد إيثان أن يقول لي ذلك كل، ليلة، عبر الهاتف في تلك الفترة عندما كانت كارلا تتداعى، وكان يقولها وهو واقف على عتبة بابي، ويظهر دائمًا في اللحظة التي أكون فيها بحاجة إليه، بزجاجة شراب وعناق دافئ. وقالها عندما كنت أتقدم مترنحة في الصفوف الأمامية بجنازة كارلا، ضاغطةً على يده بشدة لدرجة أنه من المؤكد آلمته. ما كنت لأتجاوز كل ذلك دونه. لست متأكدة كيف يمكنك أن تعبر عن امتنانك بما فيه الكفاية لشخص اعتنى بك خلال أحلك فترة في حياتك.

قلت: «أنا بخير».

عاد إيثان، وهو يرتدي جوارب تبدو غير متناسقة مع بدلة العمل.قال: «أعتقد أن هذا شيء جيد؛ أن تأخذي وقتًا للراحة».

سألته: «حقًّا؟».غصت في الأريكة، فجلس بجانبي، وسحب ساقي ووضعها فوق ساقيه.

«بالتأكيد، ويمكنك البقاء مُطلِعة على الأمور على أي حال، وأنت دائمًا مرحَّب بك للمساهمة في مشاريعي، تعرفين ذلك، ويمكنني أن أخبر ريبيكا أنك تساعدينني، حتى تعرف أنك لم تفقدي مهاراتك في أثناء إجازتك».

اعتدلت أكثر في جلستي، وسألته: «حقًّا؟».

طبع قبلة على خدي، وقال: «بالطبع، تعرفين أنني دائمًا هنا من أجلك».

تحركت قليلًا على الأريكة لأتمكن من النظر إليه بشكل أفضل... فمه الرقيق والمعبر، شعره الداكن الحريري، وسلسلة النمش الصغيرة فوق عظام وجنتيه البارزتين... إنه جميل جدًّا، وهو هنا، الآن، في الوقت الذي أحتاج إلية فيه أكثر من أي وقت مضى، أنا محظوظة جدًّا لأنني وجدت هذا الرجل.

انحني فوق الأريكة عند الجانب، ليمسك حقيبة حاسوبه المحمول، التي ألقاها هنا عندما جاء، وسألني: «هل تريدين مراجعة عرض الغد معي؟ عرض أرقام ويبستر؟».

ترددت قليلًا، لكنه بدأ بالفعل فتح الحاسوب، ووضعه على ساقي. أرخيت ظهري على الأريكة، وأصغيت إليه عندما بدأ الحديث، وأدركت أنه مُحق: هذا مفيد. جلوسي هكذا، مع إيثان، وسماع صوته الهادئ والمنخفض وهو يتحدث عن الإيرادات والتوقعات، أشعراني بالاستقرار، وشعرت بأنني استعدت ذاتي التي افتقدتها.

# 4 إيلين

مرت الأحداث سريعة بعد ظهر يوم الجمعة. ترك ديك بقايا فئران على عتبة الباب، قد يبدو ذلك بادرة لطف ومحبة، من وجهة نظر القطط، لكنه أمر مزعج أن أمسح بقاياها أسفل حذائي المفضل. وصلت إلى باحة القرية في الوقت المناسب تمامًا لحضور اجتماع لجنة مراقبة الحي، برئتين تصارعان للحصول على الهواء.

لجنة مراقبة الحي في «هاملي إن هاركسديل» هي جمعية غير رسمية، لكنها ناجحة. الجريمة مسألة تهم سكان «هاملي إن هاركسديل» كثيرًا، رغم أنه في السنوات الخمس الماضية، أذكر أن جريمة واحدة فقط حدثت، وهي سرقة جَزَازة العشب الخاصة بباسيل، والتي تبين لاحقًا أن بيتسي هي التي استعارتها، وقد أقسمت بأنها طلبت إذن باسيل أولًا. أيًا كان من صدقناه، فهذا لا يرتقي إلى حد أن يُعد مؤشرًا على تفشي الأنشطة غير القانونية، ومن ثم فإن لقاء أسبوعيًا لمدة ساعتين تقريبًا هو بلا شك شيء مُبالغ فيه.

لحسن الحظ، أصبحت الآن أنا المسؤولة عن لجنة مراقبة الحي، مع بيتسي بصفتها نائبة للمراقب الرئيسي (تم الإجماع على أن بيتسي لا يمكن أن تكون المراقب الرئيسي، نظرًا لتاريخها الجنائي المذكور سابقًا). لقد جعلنا الاجتماعات أكثر إثارة، بما أننا لسنا لجنة مراقبة أحياء حقيقية، بل مجرد مجموعة تحب مراقبة جيرانها، فلا حاجة لنا للالتزام بأي قواعد أو لوائح. لذا توقفنا عن التظاهر بالتحدث عن الجريمة، وركزنا بدلًا من ذلك على النميمة، وفضائح القرية، وشكاوى عن القرى المجاورة.فيما بعد، أضفنا الكثير من البسكويت المجاني للاجتماعات، وزودنا المقاعد بوسائد، وأصبحنا نضع لافتة تقول «للأعضاء فقط» على باب قاعة اجتماعات القرية في أثناء اجتماعاتنا، وهو ما جعل كل من ليس عضوًا في لجنة مراقبة الحي يشعر بالغيرة، وجعل كل عضو في اللجنة يشعر بالفخر لكونه «عضوًا في الجمعية»، كما يُقال.

بدأت بيتسي الاجتماع بالدق على الطاولة الخشبية في الباحة باستخدام المطرقة. (الله وحده يعلم من أين حصلت بيتسي على تلك المطرقة، لكنها ستستغل أي فرصة متاحة لتدق بها. في يوم سابق، أظهر باسيل عدوانية شديدة في أثناء لعب البينجو، دقت بها على جبينه. هذا الأمر أوقفه عند حده، على الرغم من أن الدكتور بيوتر أخذ بيتسي جانبًا في وقت لاحق ليشرح لها أنه من الأفضل تجنب الإصابات في الرأس، بالنظر إلى السكتة الدماغية الأخيرة التي أصيب بها باسيل).

سألَت بيتسي: «ما أول موضوع لنناقشه؟»،

فسلمتها جدول الأعمال.

اجتماع مراقبة الحي بتاريخ 20 مارس

1. الترحيب بالحضور.

2. توزيع الشاي والبسكويت.

3. الدكتور بيوتر: موضوع وقوف السيارات خارج عيادة الجراح العام.

4. رولاند: هل ما زلنا نقاطع مطعم جوليز؟ اقتراح بإعادة تقييم الموقف، حيث لا توجد أماكن أخرى جيدة لشراء ساندويتشات اللحم المقدد.

5. بيتسي: توضيح ما إذا كانت السراويل الواسعة من طراز الكولوتيس قد عادت وأصبحت صيحة العصر.

6. تناول البسكويت والشاي.

7. إيلين: ليلة لمشاهدة الأفلام الكلاسيكية، أفلام العصر الذهبي، مع اقتراح بحظر جميع الأفلام التي يظهر فيها جاك نيكلسون. لم يعد من الممكن تحمله أكثر من ذلك، وبالتأكيد

هناك آخرون كبار في السن يستطيعون التمثيل.

8. باسيل: تحديث عن الحرب ضد السناجب.

9. هل هناك أي جرائم؟

10. تناول البسكويت والشاي.

11. أعمال أخرى.

أَعَدَّ باسيل الشاي، مما يعني أن جميع الأكواب خفيفة بشكل كبير، ونصفها يطفو بها أكياس الشاي؛ ذلك لأن نظره ضعيف جدًّا لدرجة أنه لا يمكنه تمييز أي الأكياس أزال وأيها لا يزال داخل الأكواب. لكن بيتسي جلبت بسكويتًا لذيذًا جدًّا. قضمت قطعة من بسكويت الزنجبيل بينما تحدث بيوتر بجدية قائلًا «إن بيننا أُناسًا يصفّون دراجاتهم البخارية بشكل يخالف القواعد (يقصد رولاند) وهذا يؤذي الزبائن الآخرين (يقصد باسيل، الذي كان دائمًا يشكو من ذلك)».

فكرت في القائمة التي تركتها على طاولة غرفة الطعام الخاصة بي، وحاولت بشكل عابر أن أتخيل نفسي وأنا أتزوج الدكتور بيوتر، مما أدى إلى دخول قطعة من بسكويت الزنجبيل في المسار الخطأ، فاجتاح الذعر اجتماع مراقبة الحي لفترة وجيزة، وراح الجميع يخبطني على ظهري. كانت بيتسي على وشك القيام بمناورة هيمليك عندما استعدت صوتي وأخبرتهم أنني بخير تمامًا، وأنه في حال اختناقي مرة أخرى، فأنا أُفَضل أن يقوم بيوتر بالمناورة. تبادلنا أنا وهو نظرات من فوق رأس بيتسي عندما قلت ذلك. راودني بريق أمل مع هذه النظرات، فتساءلت عما إذا كانت النظرة تحمل ربما القليل من الغزل، على الرغم من أنه مضى وقت طويل منذ آخر مرة كنت فيها في موقف مشابه، ولم أكن متأكدة تمامًا من كيفية معرفة ذلك.

وكما توقعت، غضبت بيتسي من تعليقي، لكن سرعان ما تشتت انتباهها بالنقاش حول ما إذا كانت الكولوتيس قد عادت لتصبح صيحة العصر. وُضع هذا الموضوع على جدول الأعمال لأن كاثلين أخبرت بيتسي، الأسبوع الماضي، أنها عادت بقوة، فاشترت بيتسي ستة من قناة التسوق. (خفضت كاثلين، البالغة من العمر خمسة وثلاثين عامًا، متوسط عمر مجموعة مراقبة الحي بشكل كبير. ورغم أن لديها ثلاثة أطفال تحت سن السادسة، فإنها دائمًا متلهفة جدًّا للخروج من المنزل لدرجة أنها سجلت في كل نشاط قروي متاح). شعرت بيتسي بأزمة ثقة بشأن مشترياتها الجديدة، ومن ثم كانت بحاجة إلى إجراء استطلاع. هذه هي طريقتها المفضلة لضمان ألا يحكم عليها أحد لفعلها شيئًا، لأنه إذا اتخذ الجميع القرار، فإن الخطأ يقع على الجميع.

قررت مجموعة مراقبة الحي في النهاية أن الكولوتيس بالفعل عادت لتكون صيحة العصر، وعلى الرغم من أنني أعتقد أن باسيل ظنها نوعًا من الخضراوات الفرنسية، فإنه كان الصوت الحاسم.

بعد الجولة الثانية من البسكويت، طرحت قضيتي بشأن أفلام جاك نيكلسون، لكنني هُزِمت: فقد فوجئت بأن بينيلوبي من معجبيه المخلصين. بعد ذلك، بدأ باسيل يتحدث عن السناجب لبعض الوقت، وفقرة السناجب دائمًا ما كانت فقرة رائعة من فقرات الاجتماع لأنها تسمح لك بأخذ فسحة من الراحة إذا كنت بحاجة إليها، ثم حان الوقت لمزيد من البسكويت قبل تناول أهم موضوع على جدول الأعمال: «هل هناك أي جرائم؟»، والمعروف أيضًا باسم «النميمة الجديدة».

قالت بينيلوبي، وهي تحدق بي كالبومة عبر الطاولة المستديرة: «إيلين، تقول بيتسي إنك بعتِ سيارتك، أهذا صحيح؟». كانت بنية بينيلوبي الجسمانية مثل بنية طائر صغير في هشاشتها، لدرجة أنني طالما خشيت أن ينكسر بها شيء، لكنها في الواقع كانت أقوى مما تبدو عليه. رأيتها ذات مرة تطارد قطة بمسدس ماء عندما وجدتها تترصد عش طيورها الزرقاء، وقد أصابتها في عينها تمامًا.

قالت بيتسي: «أرى أنه قرار حكيم جدًّا أن تتوقفي عن القيادة يا إيلين».

قلت وأنا أعتدل في جلستي: «ما زلت أقود السيارات، وأستعير سيارة ماريان، هذه الأيام».

علقت بيتسي قائلة: «أوه، أما زلت تقودين؟ يا إلهي. أنت شجاعة جدًّا إذا كنت تقودين بعد حادثة طريق سنيدل!».

بيتسي طيبة وصديقة عزيزة جدًّا، لكنها أيضًا تعرف كيف تقول أشياء وقحة بنبرة تجعل من الصعب عليك الاعتراض عليها.أما بالنسبة لـ «حادثة» طريق سنيدل، فهي بالكاد تستحق الذكر. أعترف بأنها لم تكن أفضل محاولة لي في الركن، لكن من كان يظن أن سيارة الدفع الرباعي لذلك الرجل ستتأثر بسهولة؟ بدت كأنها دبابة.

سأل باسيل وهو يمسح فتات البسكويت من شاربه: «هل تخليت عن مشروعك الأخير إذن؟ ألم تكوني تنقلين الكلاب الضائعة باستخدام تلك السيارة؟».

قلت بشموخ: «كنت أساعد الأشخاص الطيبين في مركز إنقاذ الكلاب في ديريديل، لكن لديهم وسائل النقل الخاصة بهم الآن».

قال باسيل وهو يضحك: «أنا متأكد أنك ستنشغلين بشيء آخر قريبًا جدًّا!»

ضيقت عينيّ،

فأكمل: «هل استسلمت بخصوص إيجاد راعٍ لعيد مايو؟ ألا توجد شركات كبيرة مستعدة لإعارة اسمها لمهرجان القرية الصغير؟».

كززت على أسناني. في الواقع، عانيت الأمرَّين للعثور على راعٍ لمهرجان عيد مايو. فقد كنت آمل أن نتمكن من استخدام أي أموال يتم جمعها لصالح جمعية السرطان التي قامت بالكثير من أجل كارلا، بدلًا من مجرد تغطية التكاليف، كما نفعل عادة. لكن في هذه الأيام، من الصعب حتى الوصول إلى شخص يمكن التحدث معه بشأن الأمر في الشركات الكبيرة

في ليدز، والشركات المحلية التي حاولت معها كلها تشد الأحزمة وليس لديها أي أموال للتبرع بها.

قال باسيل ضاحكًا: «إنه أمر مضحك!».

قلت ببرود: «لست آسفة على رغبتي في إحداث فرق في هذا العالم يا باسيل».

قال باسيل: «صحيح تمامًا، معك حق. وإنها شجاعة كبيرة منك أن تواصلي ذلك رغم الصعاب».

تغيرت المحادثة، لحسن الحظ، تحولت بينيلوبي إلى بيوتر تتحدث عن مرض رولاند الأخير، واستغللت أنا الفرصة لأتحدث مع بيتسي.

سألتها بصوت منخفض: «هل تحدثتِ إلى ابنتك مرة أخرى، يا عزيزتي؟ عن الزيارة؟»

زمّت بيتسي شفتيها وقالت: «حاولت لكن لم أوفق».

المشكلة في زوج بيتسي، فابنتها لن تجتمع معه في غرفة واحدة مرة أخرى. أنا أفهم ذلك، فكليف شخص بغيض، ولا أعرف كيف تحملته بيتسي طوال تلك السنوات. حتى ويد لم يتحمل الرجل. لكن إبعاد بيتسي عن عائلتها لن يجعل الأمور أفضل بالتأكيد. ومع ذلك، فليس من شأني التدخل. أمسكت يدها بيدي في هدوء

وقلت لها: «ستأتي عندما تكون مستعدة».

عقبت بيتسي: «حسنًا، يجب ألا تنتظر طويلًا، فأنا في الثمانين!».

ابتسمت. بيتسي في الخامسة والثمانين. وحتى عندما تحتاج إلى أن تتعلل بكونها مسنّة، تستطيع أن تكذب أيضًا بشأن عمرها.

قال باسيل لرولاند بجانبي: «حافلات مدينة كنارجيل أصبحت حافلة واحدة فقط في اليوم، لا أستطيع إلا أن أعتقد أن هذا جزء من المشكلة».

كانت الأشياء المفضلة لدى باسيل للشكوى بشأنها، بهذا الترتيب: السناجب، وسائل النقل، الأحوال الجوية، وحالة الأمة. ينبغي ألا تثيري أيًّا من هذه الموضوعات معه، لكن من الأفضل تجنب الموضوع الأخير؛ لأنه يصبح من الصعب جدًّا أن تحبي باسيل عندما يبدأ الحديث عن الهجرة.

قال باسيل: «وجدوها غارقة في شوربة الكرَّاث والبطاطس! منظر مرعب. المسكينة التي وجدتها كانت قد ذهبت إليها لتفقُّد ما إذا كانت تحتاج إلى زجاج عازل جديد، فوجدت الباب مفتوحًا، وهناك وجدتها ميتة منذ أسبوع ولم يعرف أحد بذلك!».

سألته: «ما هذا يا باسيل؟ هل تروي قصص رعب مرة أخرى؟».

قال باسيل وهو يرتشف الشاي بارتياح: «سيدة في كنارجيل، غرقت في وعاء الحساء الذي كانت تعده».

قالت بيتسي: «هذا فظيع!».

سألت بينيلوبي: «هل كان هناك ذباب وديدان عندما وجدوها؟».

رد الجميع بصوت واحد: «بينيلوبي!».

ثم تحول انتباهنا جميعًا إلى باسيل للحصول على الإجابة.

رد باسيل وهو يومئ بحكمة: «من المرجح هذا، نعم، من المرجح جدًّا. المسكينة كانت في التاسعة والسبعين فقط، وقد توفي زوجها في العام السابق ولم يكن لديها أحد في العالم ليهتم بها. قال الجيران إنه في الفترة السابقة لوفاتها كان من الممكن أن تمر شهور دون أن تتحدث إلى أحد سوى الطيور».

شعرت فجأة بشيء غريب، ربما دوار خفيف، وعندما مددت يدي لأخذ قطعة من بسكويت الزنجبيل لاحظت أن يدي ترتجف أكثر من المعتاد.

أعتقد أن ما أثار هذا الشعور الغريب هو أن هذه السيدة المسكينة ماتت في مثل سني. لكن هذا هو التشابه الوحيد بيننا، قلت لنفسي بحزم: مبدئيًّا، لن أعد أبدًا شوربة الكراث والبطاطس، فهي مملة جدًّا.

ابتلعت ريقي. كان ما حدث بالأمس مع الوعاء الزجاجي تذكيرًا غير سار بالسهولة التي يمكن أن يتوقف بها المرء عن التأقلم. وعدم التأقلم يمكن أن يتحول إلى أزمة بسرعة عندما تكون وحيدًا.

قلت فجأة: «يجب علينا أن نفعل شيئًا لمساعدة أناس مثل هؤلاء، بإمكاننا أن نفعل ذلك بتقليص جداول الحافلات ومشاكل التمويل، التي تواجهها مجموعة النقل لكبار السن في ديلز، من الصعب عليهم أن يذهبوا إلى أي مكان، حتى لو أرادوا».

بدت الدهشة على وجوه الجميع. فعادةً إذا تم ذكر سكان كنارجيل في اجتماع مراقبة الحي، يتبع ذلك ضحكة ماكرة من بيتسي، التي تصرح بعد ذلك: «إنهم يستحقون ما يحدث لهم بسبب عيشهم في كنارجيل».

قالت بينيلوبي لتقطع الصمت: «نعم، أظن ذلك أيضًا».

علقت: «لنضعه على جدول أعمال الاجتماع المقبل».

كتبت ملاحظة على نسختي المطبوعة من جدول الأعمال، ثم تبع ذلك صمت محرج بعض الشيء.

قال باسيل، وهو ينظر إليّ بذكاء وكأنه يختبر ولائي: «تعرفين، في فِيرس بلاندون كانوا يتحدثون عن تنظيم احتفال منافس لعيد مايو».

قلت متفاجئة: «بالتأكيد تمزح!» معبرة عن استنكاري. كان ينبغي لباسيل أن يعرف أنني لن أؤيد فِيرس بلاندون. قبل عقد أو عقدين من الزمن، عندما فقدت هاملي قوتها لثلاثة أيام بعد عاصفة كبيرة، قدمت جميع القرى الأخرى الأموال والغرف الفارغة لمساعدة أولئك الذين عجزوا عن تدبر أمورهم دون مدفأتهم، بينما لم يتحرك أي شخص في فِيرس بلاندون لمساعدة أحد منا. قلت بحزم: «احتفال بعيد مايو في فِيرس بلَاندون لن يكون أبدًا بقدر جودة احتفالنا».

أعلنت بيتسي: «طبعًا لن يكون كذلك!». وارتاح الجميع الآن بعدما ذابت الخلافات وعمَّ الوفاق. «أيريد أحدكم مزيدًا من البسكويت؟».

سار بقية الاجتماع بشكل طبيعي، لكن ما لبث هذا الشعور بعدم الارتياح ينغص عليّ يومي. أنا سعيدة لأن لينا ستأتي غدًا، وأنا منهكة تمامًا. وفي الحقيقة، من الأسهل كثيرًا أن تكوني مستقلة وتعتمدي على نفسك عندما يكون هناك من يدعمك.

# 5 لينا

كانت «هاملي إن هاركسديل» جميلة مثل اسمها، قرية مخبأة بين تلال في جنوب منطقة يوركشاير ديلز، كنت أستطيع أن أرى أسطحها ومداخنها المائلة بين الصخور الكستنائيّة بينما ترتج الحافلة على طريق الوادي.

لم تكن نشأتي في هاملي، إذ انتقلت أمي إلى هناك فقط عندما مرضت كارلا. علقت نسختان من القرية في ذهني: نصف ذكرياتي تحمل حنينًا حلوًا للحظات من الطفولة، والنصف الآخر مؤلم ومليء بالفقد. بدأت معدتي تنقبض، فحاولت أن أتذكر كيف كنت أشعر هنا في طفولتي، والفرح الذي كان يملؤني عند الانعطاف في هذا الطريق لرؤية أسطح هاملي أمامنا.

طوال مراهقتنا، ورغم أننا كنا دائمًا نتشاجر، لكنني أنا وكارلا كنا نتصالح خلال زيارتنا منزل جدتي وجدي، ونظل نشتكي من الحفلات التي ستفوتنا طوال رحلتنا وأمي تقلنا من ليدز، لكن بمجرد أن نصل إلى هاملي، كنا نتذكر من نحن ونعود لطبيعتنا، وتصير حينها المشروبات غير القانونية ومشاكسة الأولاد من الصف السادس أشياء غير مثيرة للاهتمام، كأنها جزء من حياة شخص آخر. كنا نقضي اليوم كله في الخارج، نجمع التوت الأسود معًا في حاويات قديمة بها شقوق في الأغطية، دون أن نهتم بالجروح على سيقاننا الحليقة حديثًا، حتى نعود إلى بيتنا ونكشفها تحت تنانير المدرسة المرفوعة عند الخصر.

اعتدت أن أراقب ألوان التلال ديلز تمر أمامي عبر نافذة الحافلة المتسخة: درجات اللون البني، الأخضر، والرمادي الرملي مثل جدران الحجارة الجافة. كانت الأغنام ترفع أعينها النعسانة نحونا ونحن نمر بجانبها. بينما المطر ينزل برفق، وتتسرب رائحته إلى أنفي، كما جعل المطر الأرض تبعث برائحة نضرة، كأنها استيقظت لتوها. وجدت الهواء هنا أكثر إنعاشًا.

ليس هنا فى الحافلة، بالطبع. فالهواء في الحافلة امتلأ برائحة النوم وشطيرة دجاج تكا مع أحدهم. لكن بمجرد أن أخرج، كنت أعلم أن أول نفس سآخذه سيكون جميلًا منعشًا.

تتألف هاملي من ثلاثة شوارع فقط: لين السفلي، لين الأوسط، وشارع بيويت، الذي كان من المفترض أن يسمى لين العلوي ليتماشى مع اسمي الشارعين الآخرين، لكن هكذا هي القرى البعيدة، وهكذا هي شوارعها ومنطقها. أغلب البيوت صممت كأكواخ من الحجر الجيري بأسطح مائلة مصنوعة من الألواح، ولكن في أقصى طرف لين الأوسط كان هناك مبنى جديد - يبرز بين الأكواخ ذات الطراز العتيق كما تبرز بثور الحمى على وجه المرء، وهو مبنيٌّ من الطوب البرتقالي الفاقع والنوافذ ذات الحواف السوداء. كرهت جدتي هذا المبنى، وكلما أشرت إليها أن بريطانيا في حاجة ماسة إلى مساكن جديدة ميسورة التكلفة، كانت تقول: «ما كنا لنحتاج إليها ما لم ينفق أمثالك الكثير من الأموال على شقق صغيرة في حجم صناديق الأحذية في لندن»، ولن أنكر، أتفق معها تمام الاتفاق في هذا. أتمنى لو كنت أحد الحمقى الذين اشتروا مساكن صغيرة بمبالغ باهظة، لكنني في الواقع حمقاء من نوع آخر، فأنا أدفع مبالغ باهظة لإيجار مسكن عصري فحسب، لم أشتر شيئًا.

توجهت مباشرة من موقف الحافلات إلى منزل جدتي. وجدت نفسي أتجنب النظر وأنا أمر بالناصية المؤدية إلى الشارع حيث تسكن والدتي، مثلما تفعل عندما تمر بحادث مروري على الطريق السريع، فتستحثُّ الخطى متحاشيًا النظر قدر الإمكان حتى لا تلتقط عيناك شيئًا من المشهد.

كان منزل جدتي هو الأجمل في القرية: كوخ كليرووتر، رقم 5 في شارع لين الأوسط. سقف مائل قديم من الألواح، ونبات الوستارية يتسلق الجدار الأمامي، وباب أحمر ياقوتي... وكأنه منزل من قصة فلكلورية. بدأ القلق الكامن بين ضلوعي يخبو رويدًا رويدًا بينما أقطع الممر الذي يخترق الحديقة من المنتصف.

رفعت دقاقة الباب.

«لينا؟».جاء صوت جدتي،

فنظرت إلى اليمين، ثم اليسار، ثم إلى الأعلى، وصرخت: «جدتي!».

كانت جدتي فوق شجرة التفاح إلى يسار الباب الأمامي. كانت تقريبًا بإزاء نوافذ الطابق العلوي، حيث كل قدم من قدميها مثبتة فوق فرع، مرتدية بنطلونًا كاكي اللون وقميصًا بنيًّا، وكلاهما اندمج وسط الخضرة، ولولا شعرها الأبيض، ربما لم أكن لألاحظها.

«ماذا تفعلين، بحق السماء، فوق تلك الشجرة؟».

صاحت: «أقوم بتقليمها!»،، ولوحت بأداة كبيرة وحادة نحوي. جفلت على مرأى هذا، إذ هالني المشهد!

قلت محاولة أن ألتزم باللباقة: «أنتِ... في موضع مرتفع جدًّا!».لم أرد أن أقول إنها كبيرة في السن للقيام بذلك، لكن كل ما كنت أفكر فيه لحظتها هو تلك الحلقة من برنامج « أربع وعشرون ساعة في قسم الطوارئ» حيث تناول حالة سيدة مسنة سقطت من فوق كرسي وكسرت ست عظام، وكما هو واضح فإن الشجرة أعلى بكثير من الكرسي.

بدأت جدتي النزول، منزلقة بهدوء.

ناديتها، وأظافري تنغرس في راحتي: «ببطء! لا تتعجلي من أجلي!»

«ها قد فعلتها!». قفزت جدتي إلى الأرض، وهي تمسح يديها بفخذيها.قالت لي: «إذا أردت أن يتم العمل بشكل جيد، فقم به بنفسك، لقد بقيت أنتظر الرجل الذي يقوم بتقليم الأشجار لأشهر».

نظرت إليها، بدت سليمة. في الواقع، بدت بحالة جيدة، لكنها متعبة قليلًا، ووجنتاها بهما بعض الحمرة، وعيناها البنيتان تلمعان خلف نظارتها ذات الإطار الأخضر. مددت يدي لأزيل ورقة شجر من شعرها، وأعيده إلى تموجاته المعتادة. أمسكت يدي وضغطت عليها.

قالت وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة واسعة: «مرحبًا يا عزيزتي، هل تريدين شيكولاتة ساخنة؟».

تعد جدتي الشيكولاتة الساخنة بالطريقة الصحيحة: على الموقد، مع الكريمة والشيكولاتة الحقيقية، إنه رغد العيش في كوب واحد. كانت كارلا تقول إنك إذا تناولت أكثر من واحدة، فلن تكون لديك مساحة لتناول أي وجبات طوال اليوم، وهذا ما يجعله شرابي المفضل.

حاولت أن أساعدها بجلب الأطباق من المصفاة بجانب الحوض ووضعها في مكانها، بينما وقفت جدتي تقلِّب الشيكولاتة على النار. لقد مرت شهور منذ أن كنت هنا - آخر مرة جئت كانت عندما غادر جدي ويد في نهاية العام الماضي - لكن كل شيء ما زال يبدو كما هو تمامًا. اللون البرتقالي الذي يميز وزرة الحائط ووحدات المطبخ، والسجاد الباهت المزخرف، وصور العائلة في الإطارات المائلة على الجدران.

لا تشعر هنا بأن الجد ويد رحل، أو بالأحرى، لا تشعر بأنه كان هنا في يوم من الأيام، ولا أعتقد أنه أخذ معه أي شيء سوى الملابس. لطالما شعرت في الحقيقة أن كوخ كليرو وتر هو بيت جدتي، وليس بيته، إذ اعتاد جدي أن يشغل كرسيًا في زاوية غرفة المعيشة، يستمع إلى الراديو متجاهلًا الجميع. كان هروبه مع معلمة الرقص صدمة كبيرة، ليس لأنني اعتقدت أنه يحب جدتي، ولكن لأنني لم أتصور قط أن لديه القدرة على الهروب مع أي شخص. إنه من ذلك النوع من الأشخاص دائمي الشكوى، لكنه لا يفعل أي شيء حيال شكواه. كان استنتاجي الوحيد أن معلمة الرقص قامت بمعظم التدريبات على هيئة إغواء.

قالت جدتي وهي تدير وجهها إليّ بينما تخلط الشيكولاتة الساخنة في مقلاتها المميزة: «يسرني أنك هنا، يا حبيبتي».

أجبتها بينما كنت أعبث بالمغناطيس على الثلاجة: «أنا آسفة. كان يجب أن أعود إليكِ هنا في وقت أقرب».

قالت جدتي: «لا ألومك على البقاء في لندن، كنت سأفعل الشيء نفسه في عمرك، إذا أتيحت لي الفرصة».

رفعت عينيّ تجاهها مستغربة؛ فجدتي لا تتحدث عن الماضي كثيرًا، وتقول دائمًا إنها تفضل النظر إلى الأمام، بدلًا من التطلع إلى الخلف. أعلم أنه كانت لديها فرصة لوظيفة في لندن قبل أن تلتقي جدي، عندما كانت في العشرينيات من عمرها، لكنهما تزوجا واستقرا هنا، وهذا ما حدث.وقد اعتادت أن تصف الأمر هكذا: وهذا ما حدث.

لكن خطر ببالي الآن أنه لم يكن يجب يحدث ما حدث.

خاطبتها قائلة: «يمكنك الذهاب إلى لندن الآن، يمكنك حتى الانتقال إلى هناك، إذا أردت، الآن بعد أن أصبح جدي بعيدًا وليس هنا ليعترض طريقك».

صبت جدتي الشيكولاتة الساخنة في الأكواب: «أوه، لا تكوني سخيفة، لا أستطيع السفر إلى لندن، ووالدتك ليست بحاجة إلي».

جفلت قليلًا، وقلت: «ستتدبر أمورها، يا جدتي. هي ليست ضعيفة كما تعتقدين».

نظرت إلي جدتي نظرة تعني: وهل تعرفين أنت شيئًا؟.

أدرت وجهي فلاحظت دفتر اليوميات الخاص بجدتي مفتوحًا على الطاولة. هذا الدفتر يرافقها في كل مكان، إذ تتعامل معه كما أتعامل أنا مع هاتفي، ودائمًا ما تصاب بالذعر إذا اكتشفت أنه ليس في حقيبتها، حتى لو كانت قد خرجت فقط لشراء الحليب من المتجر.

سألتها ويدي تمتد إلى دفتر اليوميات: «ماذا على قائمة المهام اليوم، إذن؟» عبست وأنا أقرأ: «أسنانه طبيعية؟ قد يكون مملًا في العلاقة الحميمية؟ ما هذا؟!».

خطفت جدتي الدفتر بسرعة من يدي، وهي تقول: «لا شيء!».

«هل وجنتاك متوردتان؟». لا أعتقد أنني رأيت جدتي خجلة من قبل.

وضعت يدها على خدها، وقالت: «لا تكوني سخيفة، لم يعد ثمة مكان للخجل في حياتنا منذ الستينيات».

ضحكت ومددت يدي لأزيل يدها عن خدها: «لا، وجنتاك متوردتان، هذا واضح. هل ستخبرينني بما يحدث؟ هل هذا مشروع جديد؟ عادة لا تكون مشاريعك غريبة إلى هذا الحد».

ضغطت شفتيها معًا، فتجمع أحمر شفاهها الخوخي في الثنايا.

قدتها للجلوس إلى الطاولة وأنا أقول: «يا إلهي، آسفة يا جدتي، هل الأمر جادٌّ، وأنا أتصرف بحماقة؟».

ردت جدتي بشكل غير مقنع: «لا، لا، ليس كذلك».

حاولت أن أنتزع دفتر اليوميات من يدها؛ وبعد شيء من المقاومة، أفلتته من يديها.

تصفحت القائمة التي كتبتها، واتضح لي الغرض من المكتوب. شعرت بدفء حلو ومر في قلبي بمجرد قراءتها؛ لأنها بالإضافة إلى كونها جميلة، ولأنها تشبه جدتي تمامًا، فإن هذه القائمة كانت أيضًا نوعًا ما تبعث على الأسى.

بدا التوتر الشديد على جدتي، ووقفت تراقبني بحذر، وأنا ألوم نفسي على تدخلي في شئونها الخاصة.

علقت: «حسنًا، هذا لن يجدي نفعًا على الإطلاق». نظرت إلى القائمة مرة أخرى، وقلت: «باسيل المذكور هنا هو نفسه الشخص ذو الشارب وصاحب ملصق ’بريطانيا أولًا‘ على سيارته، أليس كذلك؟»

أجابت جدتي والحذر لا يزال يلازمها: «بلى».

«هل يعجبك؟».

«حسنًا، أنا...» توقفت جدتي عن الكلام، ثم أردفت: «...ليس حقًّا... إنه متعصب نوعًا ما».

مددت يدي لآخذ قلمًا وشطبت باسيل من القائمة.

صاحت جدتي: «انتظري! ربما يمكنني... أن أُعجب به مستقبلًا».

نبرتها جعلتني أجفل. بدت قلقة جدًّا، وكأن باسيل هذا أفضل ما يمكنها أن تتطلع إليه. لم تكن تتصرف على طبيعتها؛ فإيلين كوتون لم تكن لتقبل برجل مثل باسيل. حسنًا، لقد رضيت بجدي ويد أعتقد، لكنني دائمًا ما كنت أشعر بأنها تعرف أن اختيارها ذاك كان خطأ، واستمرت معه فقط بدافع الولاء أولًا والعناد ثانيًا. كان زواجهما أشبه بشراكة كيَّفا نفسيهما عليها أكثر من كونه زواجًا. وعندما تركها، بدت كأنها تَعدُّ ما حدث ليس خيانة بقدر عدَّته فعلًا شديد الوقاحة.

قلت لها بنبرة الصوت التي أستخدمها عندما تضعف بي وتفكر في العودة إلى أحد هؤلاء الرجال البشعين الذين قابلتهم في لقاء عاطفي قبل أسبوع: «القاعدة الأولى في: لا يمكنك تغيير طباع الرجل، حتى لو كان لديه أسنان طبيعية. والآن إلى التالي: السيد روجرز. أليس هو والد رجل الدين؟».

قالت جدتي بنبرة مفعمة بالأمل: «إنه رجل لطيف». سررت لرؤية كتفيها ترتخيان قليلًا.

راجعت إيجابيات وسلبيات كل شخص على القائمة. لم أستطع منع نفسي من إطلاق ضحكة صغيرة عندما قرأت تعليقاتها عن السيد روجرز، ثم نظرت إلى تعبير وجهها وهززت كتفي، وقلت: «حسنًا، من الواضح أنك تبحثين عن مقومات جسدية أكثر مما قد يستطيع السيد روجرز تقديمه».

علقت جدتي: «يا إلهي، كم هو غريب أن أُجري محادثة مثل تلك مع حفيدتي!».

«ورؤية شخص مرة واحدة في الشهر ليست كافية مطلقًا. سيستغرق الأمر دهرًا كاملًا للتعرف عليه إذا كنت تلتقين به مرة واحدة فقط كل أربعة أسابيع».شطبت اسم السيد روجرز من القائمة، وأكملت: «التالي: أوه، أتذكر الدكتور بيوتر! لكنك تخالفين القاعدة الثانية أيضًا، إياكِ يا جدتي أن تسعي وراء رجل غير متاح عاطفيًا. إذا كان الدكتور بيوتر ما زال يحب زوجته السابقة، فإنك بذلك تكتبين لقلبك مصيرًا مؤلمًا».

فركت جدتي ذقنها وقالت: «حسنًا، يمكن للرجل أن ...».

رفعت إصبعي قائلة: «آمل بصدق أنك لا تعتزمين قول أن يتغير».

ردت جدتي مترددة: «إممم» بينما أشطب اسم بيوتر من القائمة.

تابعت القراءة: «وأخيرًا... أوه، جدتي، لا، لا، لا. أرنولد من المنزل المجاور؟ زوج أم جاكسون جرينوود؟».

قالت جدتي: «أصبح زوج أم سابقًا الآن»، مع حركة حاجبها الماكرة التي تستخدمها عندما تنخرط في النميمة.

تابعت بحزم، غير راغبة في الانحراف عن الموضوع: «الرجل الأكثر عبوسًا في العالم؟ أنت تستحقين من هو أفضل بكثير».

شرحت جدتي بينما كنت أشطب اسم أرنولد: «كان يجب أن أكون عادلة وأكتب أسماء الجميع. إنه الرجل الوحيد العزب الذي تبقى في هاملي ممن يتجاوزون السبعين».

نظرنا معًا إلى قائمة الأسماء المشطوبة. قلت: «حسنًا، من الجيد دائمًا البدء بورقة نظيفة».

تدلت أكتاف جدتي مرة أخرى، فأمسكت يديها

وقلت: «جدتي، أنا سعيدة جدًّا لأنك تبحثين عن شخص جديد. لقد عانيتِ كثيرًا خلال زواجك من جدي وتستحقين أن تلتقي شخص لطيفًا. سأفعل كل ما بوسعي لمساعدتك».

قالت جدتي، وهي تمد يدها إلى المنديل في كمها وتمسح أنفها: «هذا لطف منك، لكن ليس هناك الكثير مما يمكنك فعله. الحقيقة أنني لا أعرف أي رجال مؤهلين. فكرت ربما... يمكنني الذهاب إلى تاونتينجهام لأرى ما إذا كان هناك أي شخص...».

تخيلت جدتي وهي تجوب شوارع تاونتينجهام الهادئة بمذكراتها، تدون الملاحظات في أثناء بحثها عن رجال مسنين.

قلت بحذر: «لست متأكدة من أن هذه هي الطريقة الأكثر فعالية. هل فكرت في لقاء أحد عبر الإنترنت؟».

عبست جدتي، وقالت: «لن أعرف من أين أبدأ».

وقفت بثقة، والشعور الذي انتابني هو أفضل شعور راودني منذ فترة طويلة. قلت لها وأنا أتجه بالفعل نحو الباب: «سأحضر حاسوبي المحمول».

قمت ببحث سريع لمدة نصف ساعة قبل أن أبدأ إعداد ملف تعارف لجدتي. وفق علمي، فإن ما يجعل الملف الشخصي ملفًّا ناجحًا هو الصدق، والتحديد، والحس الفكاهي، وأكثر من كل هذه الأشياء صورة شخصية جيدة. لكن بمجرد أن انتهيت من إعداده، أدركت أن لدينا مشكلة.

لا يوجد شخص واحد في عمرها مسجل في الموقع يسكن ضمن نطاق مسافة ساعة بالسيارة من هاملي. إذن، المشكلة ليست في أن جدتي لا تعرف أي رجال مؤهلين بالمنطقة فقط، بل إن هناك نقصًا عامًّا في أعداد الرجال في المطلَق. بي أيضًا تشتكي من قلة الرجال المناسبين في لندن، لكنها لا تعرف كم هي محظوظة؛ فعندما يكون هناك ثمانية ملايين شخص في مدينتك، سيكون هناك شخص واحد على الأقل عزب.

استدرت ببطء في كرسيّ لأنظر إلى جدتي.

عندما أفكر في جدتي، دائمًا ما أتصورها من القوى الطبيعية، القادرة على تطويع العالم لإرادتها. ولم أستطع أن أتخيل وجود سيدة مسنة أكثر حيوية وشبابًا منها، ولم تظهر أي مؤشرات على أن طاقتها اللامحدودة قد نفدت أو على وشك النفاد وهي في أواخر السبعينيات من عمرها، ما يجعلها حقًّا استثنائية بالنسبة لعمرها.

لكنها لم تبد الآن جدتي التي طالما عهدتها.

لقد مرت بسَنَة فظيعة حقًّا: وفاة إحدى حفيدتيها الوحيدتين، دعم أمي في فقدان ابنتها، ثم رحيل جدي ويد عنها... أدركت فجأة أنني طالما أَعدُّ جدتي امرأة قوية لا تُقهر، لكن هذا سخيف جدًّا؛ فلا يمكن لأحد أن يمر بما مرت به دون أن يتأثر، لكن ها هي ذي جالسة أمامي وتفكر في لقاء باسيل العنصري المتعصب. لا تسير الأمور على ما يرام في كوخ كليرووتر.

وهو ما كنت سأعرفه قبل ذلك لو كنت أتردد على المنزل بين الحين والآخر.

مددت يدي لآخذ حاسوبي المحمول مرة أخرى. في كل مرة أتذكر فيها أنني لا أستطيع الذهاب إلى العمل يوم الاثنين، أشعر بالبؤس والعجز والخوف. أحتاج إلى شيء أفعله، مساعدة أقدمها، لأتوقف عن التفكير في إخفاقاتي العديدة.

غيرت الموقع الجغرافي داخل موقع التعارف، وفجأة: ظهر أربعمائة رجل تتراوح أعمارهم بين السبعين، والخامسة والثمانين، يبحثون عن الحب.

أخبرتها: «لديَّ فكرة، استمعي لي، حسنًا؟ هناك مئات الرجال المؤهلين في لندن».

عبثت جدتي بكوبها الفارغ بين يديها، وأجابت: «قلت لك يا لينا: أمك بحاجة إليَّ هنا في الوقت الحالي. لا يمكنني الذهاب إلى لندن».

«أمي ستكون بخير».

سألتني جدتي: «هل ستكون بخير، حقًا؟».

«أنتِ بحاجة إلى استراحة يا جدتي. تستحقين استراحة. قولي لي: لماذا أردت الذهاب إلى لندن عندما كنتِ بعمر أصغر؟»

أجابت جدتي بابتسامة صغيرة: «كنت أريد تغيير العالم، كنت أعتقد أن لندن هي المكان الذي تحدث فيه... الأشياء الكبيرة. وكنت أريد خوض مغامرة. أردت أن ...» لوحت بيديها في خيلاء ثم تابعت: «أستدعي سيارة أجرة مع شخص وسيم وأدعوه على العشاء، وأن أقطع جسر لندن وأنا عازمة على إنجاز شيء مهم والرياح تداعب شعري. كنت أريد أن أكون شخصًا مهمًّا».

«جدتي! أنت مهمة! هاملي ستنهار من دونك، أولًا. كم مرة أنقذت فيها متجر القرية إلى الآن؟ خمس مرات؟».

ابتسمت، وقالت: «لا أقول إنني لم أفعل شيئًا مفيدًا. أنجبت أمك، وهي بدورها أنجبتك أنت وأختك كارلا، وهذا يكفيني».

ضغطت على يدها، وسألتها: «ماذا كانت تلك الوظيفة؟ الوظيفة التي رفضتها من أجل جدي؟».

نظرت جدتي إلى الطاولة، وقالت: «وظيفة في جمعية خيرية. كانوا يقيمون مراكز مجتمعية للشباب في المناطق المحرومة. ودوري كان سيتمثل في الكتابة وجلب القهوة، على الأرجح. لكنني حلمت بها كبداية. كنت قد اخترت شقة أيضًا، ليست بعيدة عن المكان الذي تعيشين فيه الآن، رغم أن المنطقة كانت مختلفة تمامًا في ذلك الوقت».

سألتها مندهشة: «كنتِ ستعيشين في شورديتش؟ إن هذا ...».لا أستطيع تخيل كيف كانت ستصبح جدتي لو أنها قبلت تلك الوظيفة. إن التفكير في هذا السيناريو يثير شعوري بالغرابة.

سألتني بنبرة ساخرة: «لا تصدقين؟».

«لا! كان هذا سيكون جميلًا يا جدتي. يجب أن تأتي وتعيشي معي! يمكننا أن نعيش مغامرة في شورديتش، تمامًا كما أردت».

ردت جدتي بحزم: «لن أترك أمك، ليس الآن، ولدي الكثير من الأمور التي يجب أن أحلها هنا لدرجة أنني لا أستطيع السفر. هذا هو الأمر يا لينا»

ها هي ذي تنهي الحديث بالطريقة نفسها والحزم نفسه كل مرة. سَرَت في جسدي دفقة من الطاقة كتلك التي اعتدت أن تسري في جسدي عندما أكون في العمل، لم أشعر بهذه الدفقة منذ فترة طويلة. أعلم أن هذا هو الشيء المناسب لجدتي؛ إنه بالضبط ما تحتاج إليه.

فجأة، تذكرت ما قالته بي بشأن العثور على نفسي واستعادة ذاتي. كنت أختبئ في لندن، غارقة في العمل، أتجنب والدتي، كنت أتجنب كل شيء، في الحقيقة. لكن ها أنا الآن لدي شهران لترتيب أموري ولملمة شتاتي. وبما أنني لا أستطيع حتى النظر إلى المنزل الذي توفيت فيه كارلا...

شعرت بأن هذا قد يكون المكان الذي قد أبدأ منه.

قلت: «جدتي... ماذا لو تبادلنا الأماكن؟ ماذا لو جئت أنا إلى هنا وتوليت جميع مشاريعك، وانتقلتِ أنتِ إلى شقتي في لندن؟».

نظرت جدتي إلي بدهشة، وسألتني: «تبادل الأماكن؟»

«نعم، نتبادل الأماكن. أنت تجربين الحياة في لندن، وتحاولين التعرف على أشخاص جدد، وتعيشين مغامرتك التي حلمت بها قبل جدي ويد، وسأبقى أنا هنا، لأرتاح قليلًا في الريف، وأحاول أن أفهم كل ما حدث، وسأعتني بمشاريعك الصغيرة، وأساعد والدتي إذا احتاجت

إليَّ. سأقوم بكل ما كنت تقومين به من أجلها؛ من مهام وإجراءات وكل شيء».فجأة شعرت بالدوار. هل هذه فكرة جيدة؟ إنها خطوة ثورية حتى بمعاييري.

تحولت عينا جدتي إلى وضع التدبر. وقالت: «ستبقين هنا؟ وستكونين بجانب ماريان عندما تحتاج إليك؟».

كنت أرى ما تفكر فيه. لم تقل هذا بشكل صريح قط، لكنني أعلم أنها تتوق لإعادة الود بين أمي وبيني منذ وفاة كارلا. في الحقيقة، أعتقد أن أمي تتدبر أمرها منذ وفاة كارلا بشكل أفضل بكثير مما تظن جدتي ـ فهي بالتأكيد لا تحتاج إلى من يخدمها ويقوم على رعايتها - لكن إذا كانت جدتي بحاجة إلى الشعور بأنني سأقوم بكل ما تقوم به من أجل أمي، فإن...

أدرت شاشة حاسوبي نحوها وقلت: «نعم، بالطبع، بالتأكيد. انظري يا جدتي. هناك أربعمائة رجل ينتظرون لقاءك في لندن».

ارتدت جدتي نظارتها مرة أخرى، وقالت وهي تنظر إلى الصور على الشاشة: «يا إلهي»، ثم نزعت النظارة مرة أخرى ونزلت عيناها إلى الطاولة، وهي تقول: «لكن لدي مسئوليات أخرى هنا أيضًا. هناك برنامج مراقبة الحي، ومشاهدة برنامج آنت آند ديك مع المجتمع، واصطحاب أفراد الحي إلى قاعة لعبة البينجو... لا أستطيع أن أطلب منك أن تأخذي كل هذا على عاتقك».

كتمت ابتسامة عندما سردت جدتي قائمة مسؤولياتها الكبيرة، وقلت لها: «لستِ أنتِ من تطلبين، بل أنا من أعرض».

سادت فترة صمت طويلة.

قالت جدتي بعد حين: «يبدو هذا جنونيًا قليلًا».

ابتسمت وأجبتها: «أعرف... إنه كذلك، بعض الشيء. لكنني أعتقد أيضًا أنه عبقري. لن أقبل بغير ذلك، وتعرفين أنني عندما أقول ذلك، فأنا أعنيه بنسبة مائة في المائة».

نظرت جدتي إليّ بمرح وقالت: «هذا صحيح»، ثم راحت تتنفس ببطء وقالت بلهجة حذرة: «يا إلهي. هل تظنين أنني يمكنني التكيف في لندن؟».

«جدتي العزيزة، السؤال الصحيح هو: هل لندن هي التي يمكنها التكيف معك؟».

# 6 إيلين

سافرت لينا عائدة إلى لندن في اليوم التالي. وهناك حزمت حقائبها، ثم عادت إلى هاملي. لا أتصور أنها بقيت هناك لأكثر من ساعة، فرحت أتساءل عما إذا كانت تخشى إن بقيت هناك أكثر من ساعة، ستعود إلى رشدها وتغير رأيها. لأن هذا التبادل فكرة مجنونة، بالطبع، وطائشة.

لكنها أيضًا فكرة رائعة، وهي من النوع الذي كنت سأفكر فيه، وأنا في مثل عمرها، قبل أن أعتاد الجلوس في مقعدي المفضل باجتماعات مراقبة الحي، والكرسي الأخضر في غرفة المعيشة، والراحة التي أجدها في رؤية الأشخاص أنفسهم، يومًا بعد يوم، قبل أن يقضي ويد على كل الأفكار الطائشة والجامحة في داخلي.

كلما تحدثت لينا عن التجول في هايد بارك، وزيارة مقاهيها المفضلة في شورديتش، زادت حماستي. ومعرفتي بأن لينا هنا، في هاملي، مع والدتها، تجعلني أفكر في أن أذهب إلى ما هو أبعد من لندن بكثير، إذا كان ذلك يعني أنهما سيقضيان بعض الوقت معًا أخيرًا.

فتحت صفحة جديدة في دفتر مهامي، مسترخية في جلستي. إن السبيل لنجاح كل هذا هو التأكد من بقاء لينا مشغولة في أثناء وجودها هنا طوال الوقت. قد تعتقد رئيستها في العمل أنها بحاجة إلى أن تصفي ذهنها وتبطئ إيقاع حياتها لبعض الوقت، لكن آخر مرة قامت فيها لينا بأي شيء ببطء كان في عام 1995 (حيث كانت بطيئة جدًّا في تعلم ركوب الدراجة). وإذا تركناها هكذا دون أي شيء تفعله، فهناك خطر أن تنهار. لذا سأترك لها قائمة ببعض مهامي، ويمكنها الاعتناء بها في غيابي.

**مشروعات:**

1) تمشية كلب جاكسون جرينوود أيام الأربعاء الساعة 7 صباحًا.

2) قيادة الشاحنة إلى قاعة لعبة البينجو يوم الاثنين، التالي على عيد الربيع، الساعة 5مساءً. المزيد من التفاصيل في الصفحة 2.

3) حضور اجتماعات مراقبة الحي أيام الجمعة الساعة 5 مساءً (دوِّني الملاحظات، وإلا فلن يتذكر أحد ما ناقشتموه بحلول الأسبوع التالي. وأيضًا، أحضري بسكويتًا إضافيًّا إذا كان الدور على باسيل في إحضار البسكويت؛ فهو دائمًا يجلب أكياس البسكويت المكسور ومنتهي الصلاحية من متجر باوند، وهي لا تصلح للغمس في الشاي).

4) المساعدة في التخطيط لمهرجان مايو. (أنا رئيسة اللجنة، لكن من الأفضل التحدث إلى بيتسي بشأن الانضمام إلى اللجنة، فهي تحب التعامل مع هذا النوع من الأمور).

5) تنظيف الحديقة في الربيع (يرجى البدء بالسقيفة، إنها تحت اللبلاب في مكان ما).

ها نحن ذا. هذا يكفي مبدئيًا.

ألقيت نظرة على الساعة في غرفة الطعام: إنها السادسة صباحًا، واليوم سأذهب إلى لندن. لا فائدة من الانتظار والتفكير في الأمر، كما تقول لينا، من الأفضل أن أقفز إليه مباشرة.

امتزجت حماستي بدفقة من التوتر. عرفت الكثير من الخوف في العام الماضي، لكنني لم أختبر من قبل مشاعر إثارة عدم يقيني بما هو آت منذ وقت طويل.

ابتلعت ريقي، ويداي ترتعشان فوق صدري. آمل أن تفهم ماريان أن قضاء بعض الوقت وحدها مع لينا هو الشيء الصحيح لكلتيهما. وإذا مرت بوقت صعب آخر، فإنني أعلم أن لينا ستعتني بها. عليّ أن أثق بأنها ستفعل ذلك.

قالت لينا، وهي تظهر عند المدخل بملابس نومها: «هل حزمت أمتعتك؟».

بدت مرهقة جدًا عندما وصلت يوم السبت: بشرتها التي كانت عادة دافئة وذهبية أصبحت شاحبة ودهنية، وفقدت بعض الوزن. لكن اليوم، خفتت البقع الداكنة تحت عينيها، ولأول

مرة أرى شعرها منسدلًا، مما جعلها تبدو أكثر استرخاء. شعرها كستنائي طويل وجميل، لكنها دائمًا ما ترسله للخلف وتربطه وتغطيه بالكِريمات. وهذا لإخفاء تجاعيد شعرها التي طالما اشتكت منها، لكنني أراها جميلة أشد الجمال. كان شعرها يحيط بوجهها الصغير بأنفها المستدير وتلك الحواجب الداكنة الجادة، وهي الشيء الوحيد الجيد الذي ورثته من والدها.

أعلم أنني متحيزة، لكنني أعتقد أنها جميلة بشكل مبهر.

أجبتها وصوتي يهتز قليلًا: «نعم، لقد حزمت أمتعتي».

اجتازت لينا غرفة الطعام لتجلس بجانبي، وتعطيني عناقًا بذراع واحدة. سألتني مبتسمة وهي تفحص الورقة أمامي: «هل هذه قائمة المهام الخاصة بي؟ جدتي، هل هناك... كم عدد صفحات هذه القائمة؟».

شرحت: «إنها مجرد معلومات إضافية».

«أهذا رسم تفصيلي لكيفية استخدام جهاز التحكم عن بُعد للتلفاز؟».

«نعم، إنه معقد».

«و... جدتي، هل هذه كل كلمات المرور الخاصة بك؟ وهل هذا الرقم السرى لبطاقة الائتمان الخاصة بك؟».

«إذا احتجت إلى بطاقة المال الطارئة، فهي في الخزانة. يمكنني كتابة ذلك أيضًا، إذا أردت».

قالت لينا وهي تسحب هاتفها من جيب بنطالها وتنظر إلى الشاشة: «لا، لا، أعتقد أنك وثَّقت ما يكفي من بياناتك الشخصية. شكرًا يا جدتي».

«هناك شيء آخر، أحتاج إلى ذلك».

«عذرًا؟».

قالتها، ثم تتبعت إصبعي الذي كان يشير إلى...«هاتفي؟ هل تحتاجين إلى استعارته؟».

«أريده لمدة شهرين، ويمكنك أخذ هاتفي. وسآخذ حاسوبك المحمول الصغير أيضًا. وأنت يمكنك استخدام حاسوبي. هذا التبديل ليس من أجلي أنا فحسب، كما تعلمين. أنت أيضًا تحتاجين إلى ترك حياتك في لندن خلفك، وهذا يعني التخلص من تلك الأجهزة التي لا تفارقك».

حدقت بي، ثم قالت: «أعطيك حاسوبي المحمول وهاتفي لمدة شهرين؟ لكن... لا أستطيع...».

«ألا تستطيعين فعل ذلك؟ ألا تستطيعين التكيف من دونهما؟».

ردت بسرعة: «بل أستطيع، لا مشكلة لدي مع أخذ استراحة، لكن لا أريد أن أفصل نفسي عن كل البشر يا جدتي».

«من قد ترغبين في التحدث إليه؟ بمقدورك إرسال رسالة نصية إليهم، وإخبارهم أن لديك رقم هاتف مختلفًا لمدة شهرين. هيا، يمكننا الآن اختيار الأشخاص الذين تريدين إخبارهم».

«لكن... ماذا عن... البريد الإلكتروني؟ العمل...».

رفعت حاجبي، فراحت تتنفس ببطء، وبخدين منتفخين.

أجبتها: «إنه مجرد هاتف يا لينا، وليس طرفًا من أطرافك، هيا. أعطنيه».

شددته قليلًا، فتمسكت به بإحكام، ثم... ربما أدركت كم هي سخيفة، فتركته.لم ترفع عينيها عنه وأنا أخرج هاتفي المحمول من درج الخزانة وأشغله.

«هذا يبدو كأنه من العصر الحجري».

«إنه يتصل ويرسل رسائل نصية، وهذا كل ما تحتاجين إليه».

نظرت إلى الساعة مجددًا بينما بدأ الهاتف العمل. تبقت فقط ثلاث ساعات على موعد قطاري. ماذا سأرتدي؟ تمنيت لو أنني فكرت بجدية أكثر في مسألة ما إذا كانت الكولوتيس عادت للموضة الآن أم لا. أحببت السروال الجديد الذي أعارتني إياه بيتسي، لكن لا أريد أن أبدو كأنني قادمة من القرن الفائت.

سألتني لينا متفاجئة: «هل هناك من يطرق الباب؟».

جلسنا في صمت للحظة، والهواتف المحمولة على الطاولة بيننا. كان هناك صوت طَرْق متواصل قادم من مكان ما، لكنه ليس من الباب الأمامي.

زفرت مغتاظة وقلت: «لا بد أنه أرنولد. إنه دائمًا يطرق على نافذة المطبخ».

جعدت لينا أنفها مستغربة، وسألتني: «لماذا؟!».

وقفت وقلت بحدة: «لا أعلم، هناك بوابة في السور بين حديقتي وحديقته، ويبدو أنه يعتقد أن ذلك يمنحه الحق في التسلل متى شاء».

قالت لينا بطريقة غير مبالية ونحن نتوجه إلى المطبخ: «يا له من وقح!».

«ششششششش».

«ياه، ألم تخبريني أن أرنولد في طريقه للإصابة بالصمم؟».

«لا، ذلك رولاند، زوج بينيلوبي».

كررت لينا بصوت خافت، وبطريقة أضحكتني: «آه، حسنًا، في هذه الحالة: يا له من وقح!».

عندما انعطفنا عند الزاوية نحو المطبخ، ظهر وجه أرنولد كبيرًا جدًّا من وراء النافذة. كان الزجاج غائمًا من أنفاسه، لكنني كنت لا أزال أرى أنفه الشبيه بأنف الصقر، وشعره المتناثر، ونظاراته السميكة كزجاجة.

قلت، رافضة بشكل واضح فتح النافذة: «نعم يا أرنولد؟».كل محادثة مع أرنولد كانت بمثابة معركة إرادة. عليكِ أن تتشبثي بموقفك في كل مرة، حتى في الموضوعات التافهة التي قد لا تهتمين بها فعلًا.

صاح بصوت عالٍ: «قططك تلك!».

قلت ببرود: «أستطيع سماعك بشكل جيد بمستوى الصوت العادي، شكرًا لك، أنت تعلم جيدًا أن نوافذ هذا المنزل ليست مزدوجة الزجاج». كان دائمًا يعاتبني على ذلك أيضًا.

«قططك تلك أكلت كل زهور البنفسج!».

أخبرته: «هذا سخيف، القطط لا تأكل زهور البنفسج».

قال أرنولد بغضب: «لكن قططك تفعل! هل ستفتحين النافذة أو تدعينني للدخول، لكي نتحدث بشكل مناسب مثل البالغين المتحضرين؟».

قلت بابتسامة مهذبة: «بالطبع، تعال إلى الباب الأمامي واطرق، وسنرى إن كنت أنا بالمنزل وبإمكاني إدخالك أم أنني لست هنا، مثل البالغين المتحضرين».

رأيت من زاوية عيني لينا تحدق بي بفم مفتوح قليلًا.

قال أرنولد: «أستطيع أن أرى أنك بالفعل في المنزل»، وقد تجعد حاجباه في عبوس مما يعنى أنني أثرت غضبه حقًّا. أكمل: «فقط دعيني أدخل من الباب الخلفي، حسنًا؟».

أجبته وابتسامتي المهذبة ما زالت في مكانها: «إنه معطل».

«رأيتك تدخلين وتخرجين منه، هذا الصباح، لإخراج القمامة!».

رفعت حاجبي: «هل تراقبني، هذه الأيام، يا أرنولد؟».

تلعثم، وأجاب: «لا، بالطبع لا. فقط... الأرض تكون زلقة عندما تبتل بالأمطار. ينبغي عليك أن تركبي درابزينًا بجانب هذا الباب».

انزعجت.. الدرابزين مخصص للنساء المسنات اللاتي لا يمكنهن الحفاظ على توازنهن. عندما أصل إلى هذه المرحلة، آمل أن أتمكن من تقبل مخاوف استخدام درابزين السلم وأدوات الدعم بصبر، لكن بما أنني حاليًّا قادرة على السباحة عشرين لفة في حوض سباحة ديريديل، وأستطيع حتى الجري إذا تأخرت على الحافلة، فإنني لا أحب الإيحاء بأن حالتي وصلت لدرجة الاحتياج إلى درابزين.

هذا، بالطبع، هو السبب وراء اقتراح أرنولد، ذلك الرجل العجوز البغيض.

قالت لينا بمرح: «حسنًا، كانت هذه محادثة بناءة حتى الآن، لكن لدينا الكثير لنفعله اليوم، لذا ربما يمكننا المضي قدمًا. هل رأيت القطط تأكل الزهور يا أرنولد؟».

فكر أرنولد في الكذب، لكنه كاذب فاشل؛ إذ لا يستطيع اختلاق كذبة دون صمت طويل قبلها. اعترف في النهاية: «لا، لكنني متأكد أنها هي. دائمًا ما تكون في حديقتي، تأكل زهورها عندما تتفتح».

هزت لينا رأسها بحكمة، وقالت: «حسنًا يا أرنولد، بمجرد أن تحصل على دليل على ذلك أخبرنا. سأكون أنا من يجلس في منزل إيلين خلال الشهرين المقبلين، لذا ستتعامل معي».

رمش أرنولد عدة مرات.حاولت ألا أبتسم بينما أستمع إلى لينا وهي تستخدم صوتها العملي وتتحدث برسمية، وتبدو مهيبة تمامًا.

قالت لينا: «حسنًا؟».

قال أرنولد وهو يغادر: «راقبي فقط تلك القطط»، ثم اتجه نحو البوابة الفاصلة بين حديقتينا مرة أخرى.

قالت لينا وهي ترفع عينيها بغيظ تجاه ظهر أرنولد: «تحتاجين إلى استبدال سياج كبير بتلك البوابة. كنت مضحكة يا جدتي، لم أرك لئيمة من قبل».

فتحت فمي للاعتراض لكنني وجدت نفسي أبتسم، بدلًا من ذلك.

قالت لينا، وضغطت على كتفي بلطف: «ستكونين بخير في لندن. حسنًا، دعينا نجد لك الزي المثالي لإطلالتك الأولى بصفتك سيدة تعيش في لندن، اتفقنا؟».

وقفت في رواق منزل ابنتي أحتضنها بشدة. كان باستطاعتي رؤية غرفة المعيشة من فوق كتفها، كان سرير كارلا الطبي قد اختفى، لكن الكراسي ما زالت تحيط بالمساحة التي كان يشغلها. لم تعد الغرفة قط إلى شكلها القديم.

قالت لي ماريان بحزم ونحن نبتعد عن بعضنا: «سأكون بخير تمامًا، لا تقلقي، هذه فكرة رائعة. تستحقين استراحة، يا أمي».

لكنها دمعت مرة أخرى. لقد مر وقت طويل منذ أن رأيت تلك العيون البنية واضحة، هناك بقع داكنة تحتها الآن، مثل الكدمات الصغيرة. كانت دائمًا جميلة، ماريان - كان الصبية يطاردونها في الشارع، والفتيات يقلدن تسريحتها، والآباء ينظرون إليّ وإلى ويد ويتساءلون من أين جئنا بها. بشرتها ذهبية اللون تمامًا كبشرة لينا، وشعرها المموج مملوء بخصلات عسلية، ما كان يثير غيرة مصففي الشعر في كل مكان. لكن هناك خطوطًا جديدة

على وجهها، تشد زوايا فمها نحو الأسفل، ومن خلال سروال اليوجا الضيق الذي كانت ترتديه، استطعت أن أرى كم أصبحت نحيفة. لا أريد أن أتركها لمدة شهرين. لماذا اتخذت قرارًا مثل هذا أصلًا؟

قالت ماريان وهي تهز إصبعها نحوي: «لا، لا تفكري في ذلك، أنا بخير. سأكون بخير. ولينا ستكون هنا!» أعطتني ابتسامة ساخرة وجدت فيها لمحة من ماريان القديمة، شقية واندفاعية. أكملت: «عليّ أن أقول: لم أعتقد أنك تستطيعين إقناع لينا بالبقاء في نطاق خمسمائة متر من والدتها الشريرة لمدة شهرين كاملين يا أمي».

«هي لا تعتقد أنك أم شريرة، كما أنها كانت فكرتها».

«أوه، حقًّا كانت كذلك؟».

«أجل. أعتقد أن ذلك سيكون في صالح كلتيكما».

ابتسمت ماريان ابتسامة أضعف، هذه المرة. «إنه أمر رائع يا أمي. أنا متأكدة أنه بحلول الوقت الذي تعودين فيه، ستكون هي وأنا قد حللنا أمورنا مرة أخرى، وكل شيء سيكون أفضل».

ماريان، المتفائلة دائمًا، حتى في أشد لحظات الحزن. ضغطت على ذراعيها برفق وقبَّلتها على خدها. هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب القيام به. نحن عائلة كوتون قدرنا أن نكون معًا، وإذا كنا نريد حل مشكلاتنا، فعلينا أن نتحرك ونفعل شيئًا.

لدهشتي، وجدت معظم أعضاء فريق مراقبة الحي ينتظرون على الرصيف عندما وصلنا إلى محطة ديريديل، إذ أحضرهم الدكتور بيوتر في الحافلة الصغيرة الخاصة بالمدرسة، ياله من فعل طيب منه!. الطريق من هاملي إلى هنا طويل، فلا بد أن الرحلة كانت مرهقة للجميع، لذا شعرت بالامتنان. عندما وضعت بيتسي، وهي تبكي قليلًا، رقم هاتفها المنزلي في يدي وهي تقول: «في حال لم يكن لديك رقمي مكتوبًا في أي مكان» - وجدت نفسي

أتساءل: لماذا أنا تاركة «هاملي إن هاركسديل». ثم نظرت إلى الدكتور بيوتر، وباسيل بشارة العَلم البريطاني على طية سترته المصنوعة من التويد، ولينا الواقفة وحدها نحيفة ومتعبة، استجمعت رباطة جأشي.

فهذا هو الشيء الصحيح لعائلتي. وبالإضافة إلى ذلك، سأكمل الثمانين، هذا العام. إذا كنت سأخوض مغامرة، فلا بد أن تكون الآن.

ساعدتني لينا على الصعود إلى القطار وحملت أمتعتي إلى الرف، وطلبت من المسافرين الآخرين أن يساعدوني في إنزالها عندما نصل إلى لندن. احتضنا كل منا الآخر وداعًا، وانسلت خارجة من أبواب القطار في الوقت المناسب.

لوحت لأصدقائي من النافذة، وأنا أشاهد يوركشاير تتلاشى في الأفق، ومع اندفاعنا بسرعة عبر الحقول نحو لندن، شعرت بدفقة من الحياة تسري في جسدي، بموجة من الحيوية تغمرني، وأمل جديد، حالي حال كلب صيد خرج لتوه من البوابة إلى البرية.

# 7 لينا

يقع منزل والدتي في شارع لين السفلي، وهو منزل شبه منعزل، بباب لونه رمادي وناقوس نحاسي. انتظرت على عتبة الباب للحظة، ثم أخرجت المفتاح الذي أعطتنيه جدتي، لأنني تركت نسختي في لندن. لا بد أن عقلي اللا واعي هو ما جعلني أنساه حتى أتجنب لقاءها.

كان من الغريب أن أدخل منزل والدتي بنفسي، لكن الأغرب أن أطرق الباب. قبل سنة ونصف السنة كنت لأدخل دون أن أتردد لحظة واحدة.

وقفت على العتبة، أحاول أن أنظم أنفاسي. كانت الردهة بشعة في رتابة تفاصيلها: رائحة المنظفات الخفيفة، الطاولة الخشبية القديمة، السجادة السميكة التي تجعلك تشعر كأنك تمشي على أريكة. لطالما أحبت أمي البيوت - هي وكيلة عقارات - لكنني أدركت الآن أن هذا المكان يبدو قديم الطراز قليلًا: لم تغير ديكورَ المالكين السابقين، والجدران المطلية باللون الكِريمي المائل إلى الأصفر لا تشبه على الإطلاق ورق الجدران الجامح في المنزل الذي نشأت فيه. لكننا تملكنا هذا المنزل من أجل راحتنا، من أجل كارلا، وليس أمي.

من الفظيع أن أكون هنا مرة أخرى. أشعر بالاضطراب الذي تشعر به عندما تصادف حبيبًا سابقًا في حفلة، وكأن حياتك السابقة وحياتك الحالية تداخلتا في تصادم مروع في الحاضر.

وهناك، في نهاية الردهة، باب غرفة المعيشة، ابتلعت ريقي... لم أستطع النظر نحوها، بدلًا من ذلك ركزت على الصورة الكبيرة المؤطرة لكارلا على الطاولة في أسفل السلالم. وضعتها أمي هناك عندما توفيت كارلا، وأنا أكرهها، تجعل زيارة منزل أمي تشعرني كأنني وصلت إلى مكان عزاء. لم تعكس هذه الصورة كارلا بحق: ترتدي فستانها لحضور حفل التخرج، وشعرها مرفوع إلى الوراء مع خصلتين مفرودتين تتدليان إلى الأمام مثل كيرا نايتلي في فيلم *Love Actually*. وقد نزعت حلق أنفها، وكانت الصورة قد أُخذت قبل أن تقوم بعمل

ثقب حاجبها، تبدو غريبة دون هذا. كانت دائمًا تقول إن وجهها لا يبدو صحيحًا دون بعض الحلقان هنا وهناك. كانت تقول لي مازحة وهي تشد شعري المعقود على شكل ذيل حصان: «لا يمكنني الخروج دون حلقان وجهي، الأمر يشبه عدم قدرتك على الخروج قبل وضع خمس طبقات من مثبت الشعر على شعرك».

ظهرت أمي في أعلى السلم، ترتدي سترة فضفاضة وجينز، وعندما نزلت عبر السلالم، بدا عليها بعض الاضطراب، وكأنني فاجأتها في وسط تحضير وجبة متعددة الأطباق أو كأنها في عجلة من أمرها للخروج لملاقاة شخص مهم.

قالت متوقفة عند أسفل السلم: «لينا، مرحبًا».بدت أضعف بكثير مما كانت عليه من قبل، كل شيء فيها بدا وكأنه عبارة عن عظام وأطراف بارزة. ابتلعت ريقي، موجهة نظري بعيدًا.

«مرحبًا، ماما».

لم أتحرك عن عتبة الباب. اقتربت مني بحذر، كأنني قد أهرب فجأة إذا اقتربت بسرعة. شعرت بأنني أرى نسختين من أمي في الوقت نفسه. هنا هذه النسخة؛ المتوترة والهشة، على حافة الانهيار؛ المرأة التي ساعدت أختي على الموت ولم تصغ عندما أخبرتها أن لدينا خيارًا، وبدائل، وتجارب دوائية وعلاجات خاصة، وهناك تلك النسخة الأخرى؛ الأم التي ربتني، صاحبة الشعر العسلي والأفكار العظيمة. المرأة الجامحة المشرقة التي لا يمكن إيقافها، والتي دائمًا ما تقف في صفي.

أثار قلقي مدى الغضب الذي أشعر به لمجرد النظر إليها. أكره هذا الشعور، كيف ينتشر في معدتي مثل الحبر في الماء، وأدرك الآن كم كانت فكرة غبية أن أعود إلى هنا وأمكث لمدة ثمانية أسابيع كاملة. أريد أن أوقف شعور الغضب، أريد أن أسامحها، لكن عندما أراها أتذكر، وتتدفق المشاعر كلها دفعة واحدة.

كان فيتز على حق، كانت هذه أسوأ فكرة يمكن أن تخطر على بالي بعد نوبة الذعر التي هاجمتني، الأسبوع الماضي.

قالت أمي: «لا أعرف بصراحة حقًّا كيف سنتأقلم على هذا الوضع» رفعت فمها بابتسامة اعتذارية، ثم أكملت: «لكنني سعيدة جدًّا أنكِ هنا، إنها بداية جيدة».

«نعم، أردت فقط أن أقول، كما أخبرتك جدتي، إنني سأساعدك في أي شيء تحتاجين إلية. في شئون الحياة اليومية أو أي شيء آخر».

نظرت إليّ أمي نظرة غريبة بعض الشيء عند ذلك. «هل قالت أمي إنني بحاجة إلى مساعدة في شؤون الحياة اليومية؟».

في الحقيقة، لم تكن جدتي واضحة بشأن الكيفية التي يجب أن أساعد بها أمي، رغم أنها دائمًا ما تجعل الأمر يبدو معقدًا جدًّا.

قلت، وأنا أشعر بالضيق والقلق مرة أخرى بين ضلوعي: «فقط أي شيء تحتاجين إلية».

أمالت أمي رأسها: «ألن تدخلى؟».

لم أكن أعرف بعدما إذا كنت سأدخل. ظننت أنني سأقدر على ذلك، لكن الآن، لست متأكدة إذا كنت أستطيع. بحثت عن شيء ألهي نفسي به، فانحرفت عيناي إلى صورة أمي المفضلة على الجدار، معبد إندونيسي مع شخص يمارس اليوجا، واقفًا في وضعية الشجرة فى مقدمة الصورة. أعتقد أنها غيرت الإطار، ومن المثير للاهتمام أنها قامت بتجديد هذا فقط دون أي شيء آخر. اعتادت أن تشير إلى تلك الصورة عندما تمر بيوم سيئ في العمل، أو عندما كنا أنا وكارلا نسبب لها الإزعاج، وكانت تقول: «حسنًا، يا فتيات: لعشر أنفاس، سأذهب إلى هناك». وتغلق عينيها وتتخيل المكان، وعندما تفتح عينيها مجددًا، كانت تقول: «ها أنا هنا. أصبحت أفضل الآن».

انتقلت عيناي إلى سطح الطاولة. إنه مغطى بالكامل بحصى صغيرة؟ أهذه بلورات؟.

أشرت نحوها: «ما شأن كل هذه الحجارة؟».

قالت أمي: «أوه، بلوراتي! لقد أعجبتني كثيرًا فاشتريتها من الإنترنت. هذه هنا بلورات زجاج بركانى مرقط بأنماط رقائق الثلج، تساعد على التعامل مع الحزن، وتطهر الروح، وتلك هناك، هي بلورات زمرد أزرق، تمنح الشجاعة، و... ».

«ماما، أنت...».

ابتلعت جملتي. لا يجب ألا أخبرها أن هذا هراء، لكن يا إلهي كم هو محبط أن أراها تمر بهذه المراحل. في البداية تكون هكذا، مفعمة بالحماس، متأكدة من أن هذه الأشياء ستصلح كل شيء. ثم عندما يخفق الزجاج البركانى في مداواة ألمها - وتتفاجأ هي في حين أنه أمر متوقع - تنهار مجددًا. قالت جدتي إنه لا ضرر من الأمر، لكنني أعتقد أن هذا قاسٍ، أن تجعلها تأمل وتفاجأ مرارًا. لا يوجد إكسير للحزن، كل ما يمكنك فعله هو الاستمرار في المضي قدمًا، حتى عندما يكون الألم شديدًا.

قالت: «في الحقيقة، جلبت لك هذا»، ثم مدت يدها نحو حجر في مؤخرة الكومة، وأكملت: «حجر القمر. يعزز الحدس ويحرر المشاعر المدفونة، إنه من أجل البدايات الجديدة».

«لست متأكدة أن أحدًا يريد أن يحرر مشاعري في الوقت الحالي».كان من المفترض أن تبدو تلك الجملة كأنها دعابة، لكنها لم تخرج مني على نحو صحيح.

«سيبدو لكِ في البداية أنها ستهزمك وتطرحك أرضًا عندما تخرج من مكمنها، لكن هذا لن يحدث. لقد ساعدني هذا بطريقة ما مع كل النوبات التي مررت بها. أؤمن بفاعليتها بصدق».

نظرت إليها بذهول: «أي نوبات؟».

تجعد جبينها قليلًا، وانتقلت عيناها إلى عينيّ واقتربت مني، وقالت: «آسفة، لقد ظننت أن جدتكِ ذكرت لك شيئًا عن ذلك. لا بأس. خذي حجر القمر يا لينا، من فضلك».

«لا أريد حجر القمر، ما أمر النوبات؟».

قالت وهي تمدّ حجر القمر نحوي: «ها هو، خذيه».

«لا أريده. ماذا أفعل به؟».

«ضعيه بجانب سريرك».

«لن آخذه».

«خذيه، من فضلك! لا تكوني ضيقة الأفق هكذا».

دست الحجر في يدي، لكنني أفلته، فسقط على سجادة المدخل مصدرًا صوتًا خافتًا. وقفنا هناك لحظة، نتأمل الحجر السخيف بين أقدامنا.

تنحنحت أمي ثم انحنت لتلتقط الحجر من جديد، وقالت بلطف أكبر: «لنبدأ من جديد، ادخلي لنشرب كوب شاي».

أشارت نحو غرفة المعيشة فترددت.

«لا، يجب أن أذهب. لقد تركت لي جدّتي قائمة طويلة من المهام، و... يجب أن أبدأ بها».

ساد صمت طويل.

سألتني أمي في النهاية: «حسنًا، هل يمكنني على الأقل أن أحصل على عناق وداع؟».

ترددت لحظة، ثم فتحت ذراعيّ. شعرت بأنها هشة ونحيلة، إذ كانت عظام كتفيها بارزة جدًّا. العناق لم يكن حقيقيًا تمامًا - لم يكن عناقًا صادقًا، أخذ من العناق شكله فقط.

في الخارج، وجدت نفسي أتنفس بقوة، كما لو كنت قد حبست أنفاسي داخل المنزل. مشيت بسرعة إلى منزل جدتي، أسرع وأسرع، ثم بدأت أركض، متجاوزةً بابها الأمامي ومواصلة السير على طول الطريق الرئيسي. أخيرًا شعرت بأن الغضب يتلاشى، وكذلك حزني وبؤسي.

وبمجرد أن عدت إلى المنزل أدركت أن أمي وضعت حجر القمر في جيب سترتي. لا بد من الإشادة بها، فعندما تقرر شيئًا، وعندما تظن أنه الشيء الصحيح، لا تتراجع أبدًا. وقد ورثت ذلك منها، وأعتقد أن هذا جزء من المشكلة.

عادةً، عندما تغمرني مشاعر قوية على هذا النحو، أحاول أن أنشغل بالعمل قليلًا. والخيار الأمثل هو الانشغال بمشروع يحتوي على الكثير من البيانات: فالأرقام لديها القدرة على تصفية الذهن على نحو أفضل من الكلمات، بسبب صرامتها وحدتها، مثلما هو الفارق بين قلم رصاص دقيق وقلم فحمي غليظ السن.

وبما أنني في عطلة، لجأت إلى قائمة جدتي، وبدأت، بالفعل، بالاهتمام بالزرع والحديقة.

حتى الآن لست مستمتعة.

إنها... لا تنتهي أبدًا، فقد ملأت حقيبتين بقصاصات اللبلاب ثم أدركت أنه ما زال هناك المزيد منه حول الجانب الآخر من سقيفة جدتي أيضًا، وعلى الأشجار، ويمتد بأغصانه الخضراء الداكنة تحت السقيفة، والآن اكتشفت أن حجم اللبلاب أكبر من السقيفة، لذا إذا أزلته كله، فماذا سيبقى؟

فركت كتفي، وأنا أنظر إلى التلال خلف الجدار الحجري القديم في نهاية الحديقة، بدت السحب بلون رمادي مشئوم. يا له من عذر ممتاز للتملص من إنجاز هذه المهمة الهائلة!.

اتجهت إلى الداخل. بدا من الغريب أن أقيم في كوخ كليرووتر دون جدتي، أعد الشاي في أكوابها المزخرفة، أتحرك في المكان وكأنه ملكي. لكن إيثان سيأتي للبقاء في عطلات نهاية الأسبوع، لذا لن تنفرد الوحدة بي طويلًا. أعتقد بالفعل أن هذه الرحلة ستكون الشيء المثالي لنا بعد عام صعب، أن نقضي عطلات نهاية الأسبوع معًا، متجاذبين أطراف الحديث أمام النار، نتحدث عن أشياء لطيفة، ولا نذكر أبدًا سيلماونت...

آه، سيلماونت. كلمة ممنوعة هنا. يجب ترك كل الأفكار المتعلقة بسيلماونت عند باب كوخ كليرووتر، وألا تتجاوز العتبة أبدًا، مثل مصاصي الدماء، وأرنولد، حسبما قالت جدتي.

سمعت طرقًا، على الباب الأمامي هذه المرة، وليس نافذة المطبخ. نظرت إلى ثيابى، فوجدت سترتي المفضلة التي تحمل صورة بافي مغطاة بالتراب وقطع من... أيًا كان هذا، بقايا أوراق ميتة. لست حقًّا في حالة تسمح لي باستقبال الزوار. فكرت في التظاهر بعدم وجودي في المنزل، لكن نحن في هاملي، ومن المحتمل أن من على الباب تلقى اتصالًا من أرنولد يؤكد له أنني في الحديقة. نفضت التراب وأوراق الأشجار عن شعري وتوجهت نحو الباب.

على الجانب الآخر من الباب، وقفت سيدة مسنة تشبه السيدات المسنات في مسلسل *Doctor who* ممن سيتضح في النهاية أنها كائن فضائي. سيدة مسنة حقًّا، بشعرها المجعد الرمادي المائل للأبيض، ووشاحها الصغير الأنيق حول عنقها، ونظارتها المعلقة بسلسلة، وحقيبة يد تحملها أمامها بكلتا يديها. تذكرتها، كانت إحدى أفراد جماعة العجائز الذين جاءوا لتوديع جدتي في محطة ديريديل، وأنا متأكدة من أنني رأيتها مع جدتي وجدي عندما كنت صغيرة. أعتقد أن اسمها بيتسي؟

«مرحبًا يا عزيزتي، كيف حالك هنا دون إيلين؟».

رمشت بعيني .. وقلت: «حسنًا، إممم، لقد مر يوم واحد فقط، لذا... أنا بخير، شكرًا».

«هل تديرين جميع مهامها؟».

«نعم، نعم، أعتقد أن كل شيء على ما يرام. إذا كانت جدتي تستطيع فعل ذلك، فأنا متأكدة من أنني أستطيع التعامل معه».

نظرت إلي بيتسي بجدية بالغة، وقالت: «لا يوجد أحد مثل إيلين».

«لا، بالطبع لا. أعني فقط... أوه!».

وبطريقة ما، دون أن أتنحى أنا جانبًا، وجدت بيتسي بالداخل في الردهة وتتوجه بتصميم واضح نحو غرفة المعيشة. راقبتها لبرهة، مندهشة، قبل أن أتذكر إتيكيت استقبال الضيوف، وأنه عليّ دعوتها للدخول.

سألتها وأنا أغلق الباب خلفنا: «هل تودين كوبًا من الشاي؟».

أجابتني بيتسي، وهي تجلس على أحد الكراسي: «شاي أحمر، مع ملعقتين من السكر!».

هززت رأسى وأنا أتوجه إلى المطبخ. تخيلوا أن يدعو أحد جيراني نفسه إلى شقتي في لندن بهذه الطريقة، قد أتصل بالشرطة حينها.

جلست أنا وبيتسي نحتسي الشاي وسط صمت مطبق. نظرت إلى بيتسي منتظرة منها أن تتحدث، لكن لم يكن لدي أي فكرة عن الموضوع الذي من المفترض أن نتحدث عنه. كان من السهل التحدث مع جدتي، فهي جدتي، لكن في الحقيقة لم أكن أعرف عما قد أثرثر وأتجاذب أطراف الأحاديث مع المسنين. الشخص المسن الآخر الوحيد الذي كنت أعرفه هو جدي ويد، وكان شخصًا صعبًا، لذا كنت أتجاهله في أغلب الأوقات.

حاولت أن أتخيل أن هذا اجتماع مع عميل جديد، فرحت أبحث بداخلي عن مهارات فتح الأحاديث التي اعتدت أن أستدعيها في أوقات الضرورة الشديدة، لكن بيتسي بدأت أولًا.

سألتني وهي ترتشف شايها: «كيف حالك يا لينا العزيزة؟».

قلت: «أوه، أنا بخير، شكرًا لك».

ردت: «كلا، حقًّا». وصوبت إليّ عينيها الزرقاوين وقد بدا فيهما الجد والعزم.

اعتدلت في جلوسي وقلت: «أنا حقًّا بخير».

وأردفت: «لقد مر... يا إلهي، أكثر من عام، أليس كذلك، منذ أن فقدت كارلا؟».

أكره هذه العبارة، «فقدنا كارلا»؛ لأنها توحي بأننا لم نهتم بها بما فيه الكفاية وتركناها تفلت منا. قاموسنا عن الموت محدود جدًّا، ولا يضم ما يكفي من الكلمات المناسبة.

«نعم... سنة وشهران».

«كنت أعزها كثيرًا».

حدقت في شايي. أشك في أن بيتسي أحبت كارلا أصلًا، إذ كانت أختي ذات روح جامحة، للدرجة التي تجعلها من النوع الذي لا يمكن أن ترضى عنه بيتسي أوتحبه. كززت على أسناني، متفاجئة بشعور الحرارة حول عيني التي تعني أن الدموع على وشك الانهمار.

«وأمك... لقد وجدت الأمر صعبًا جدًّا، أليس كذلك؟».

كيف أصبحت تلك المحادثة شخصية جدًّا بهذه السرعة؟ تناولت بعض الرشفات من الشاي، كان ساخنًا جدًّا وأحرق لساني.

«الجميع يعالج حزنه بطرق مختلفة». لطالما وجدتُ هذه العبارة مفيدة جدًّا في محادثات مثل هذه، إذ عادةً ما كانت تضع حدًّا لها.

«نعم، لكن نفسيتها دُمرت، أليس كذلك؟ هل كانت تتعامل مع الأمر بشكل جيد في الفترة الأخيرة، هذا ما كنت أتساءل عنه».

رحت أحدق في بيتسي. كان هذا سؤالًا شخصيًا لدرجة الوقاحة، أليس كذلك؟

وضعت بيتسي شايها جانبًا، وعرضت عليّ هذا العرض: «ألا نفعل شيئًا معًا؟ ألا تسمحين لنا بمساعدتك؟».

«ماذا يمكنكم أن تفعلوا؟».خرجت الكلمات بصوت حاد، مع تأكيد كلمة أنتم، رغم أنني لم أقصد التركيز عليها، ورأيت بيتسي تنكمش، متأثرة. فأكملت: «أعني... لا أرى...».

قالت بيتسي ببرود: «أفهم تمامًا، لن أكون مفيدة، على الأرجح».

«لا، أعني...».

سكتُ، ورن هاتف بيتسي. صوته كان عاليًا بشكل يصم الآذان، وبيتسي تتلكأ في الرد عليه، متمتمة بكلام غير واضح عن الحافظة الجلدية للهاتف.

«مرحبًا؟».

طنَّ صوت خافت من الهاتف، غير واضح لكنه عالٍ جدًّا.

قالت بيتسي، وتبعها صوت خافت مرة أخرى: «هناك لحم وجبن في الثلاجة، إذا أردت شطيرة. حسنًا، لقد وضعت المايونيز على أحد الجانبين، و... نعم. أنا متأكدة أنك... حسنًا، كليف يا عزيزي، سأعود إلى المنزل. نعم، بالتأكيد. سأكون عندك في أسرع وقت».

شعرت بالانزعاج. هل حقًّا طلب منها العودة إلى المنزل لتحضير شطيرة له؟ بدا الأمر سخيفًا جدًّا، لو حاول إيثان فعل ذلك، كنت سأضحك، على الأرجح؛ لأنه سيكون بالتأكيد

يمزح. على الرغم من ذلك، بدا أن الأمر كان مختلفًا في جيل بيتسي - لم يكن غريبًا أن تقوم المرأة بتحضير جميع وجبات زوجها قبل خمسين عامًا، على ما أظن.

أعادت بيتسي هاتفها إلى حقيبتها، ثم حاولت النهوض بسرعة كبيرة لكن قواها لم تسعفها، فتمايلت إلى الوراء على الكرسي، غير قادرة على التحرك، مثل إحدى تلك الدمى التي تحتوي على ثقل في الأسفل.

قلت، مدركة أنني تصرفت معها بشكل غير لائق وتلفظت بكل الأشياء الخاطئة: «تفضلي بالبقاء، أعتقد - أن بإمكان زوجك الانتظار، إذا كنتِ تودين تناول...».

قالت بيتسي بحدة: «زوجي لا يمكنه الانتظار، عليّ أن أذهب الآن».

قمت لمساعدتها على النهوض.

قالت: «لا، لا، أنا على ما يرام تمامًا».

وبمجرد أن وقفت، وجهت إليّ نظرة جادة جدًّا، وأكملت: «آمل أن تدركي مدى أهمية المسئوليات التي أسندت إليكِ هنا في هاملي يا لينا».

كدت أبتسم رغمًا عني.

اكفهرّ وجه بيتسي كثيرًا وهي تقول: «أنا متأكدة أن كل شيء يبدو سهلًا جدًّا لشخص مثلك، ولكن إيلين كانت تقوم بالكثير من الأعمال هنا، ونحن بحاجة إلى أن تكوني على قدر المسئولية. أعتقد أنك ستتولين مسئولياتها في لجنة التخطيط لمهرجان مايو، أليس كذلك؟».

قلت، محاولة أن أبدو جادة، هذه المرة: «بلى، بالتأكيد».

قالت: «جيد. حسنًا، سأمر عليك بقائمة المهام الخاصة بكِ في الوقت المناسب. وداعًا يا لينا». ثم، بما يمكنني وصفه حقًّا بتصرف متعجرف، توجهت نحو الباب.

# 8 إيلين

صدقًا، كوْني ما زلتُ على قيد الحياة حتى الآن يُعد معجزة. فمنذ وصولي إلى لندن، كدت أفقد حياتي خمس مرات تقريبًا.

1) كدت أدهس من قبل ما علمت لاحقًا أنه يسمى بيدي باص (دراجة الحفلات): وهي مركبة غريبة يقودها شبان صاخبون يبدلون بأقدامهم فوق ما يشبه الدراجات ويتناولون الشراب في الوقت نفسه. اضطررتُ إلى الاندفاع عبر الطريق لتجنبهم. وقد انتابني القلق بشأن ألم ركبتي في اليوم التالي، لكنها على الأقل بقيت متصلة ببقية جسدي!

2) وقفت على الجانب الأيسر من السلم المتحرك (علمت لاحقًا أن هذا غير محبذ).

3) تناولت وجبة من صنع فيتز(طاهٍ فاشل جدًا حقًا، سأحاول تعليمه بعض الأشياء أثناء وجودي هنا).

4) انتقلت بين القطارات في محطة مونومينت (تقول الخريطة إنها محطة بانك نفسها، لكنني لست مقتنعة بذلك. بدا المشي من قطار إلى آخر كأنه يستغرق دهرًا. كانت ساقاي مجهدتين بالفعل بعد لقائي مع البيدي باص، فكان عليّ الجلوس بجوار عازف شارع يعزف على القيثارة الصغيرة، لقد كان متفهمًا جدًا. أعطاني مكبر الصوت الخاص به لأجلس عليه).

5) قابلت قِطة جارتنا، وهي قطة برية، نصف أذنها مقطوع. اندفعت نحوي من الدرج وهي تهسهس، ثم اصطدم بالدرابزين وأغمي عليها في الحال. لكن في النهاية، كان القدر رحيمًا.

أكره أن أعترف بذلك، لكنني منهكة تمامًا ومرتبكة بعض الشيء. إن الحياة في لندن تتسم بالسرعة الرهيبة، والناس مكتئبون. شتمني رجل في المترو لأنني صعدت ببطء شديد، وعندما توقفت لأخرج خريطة في شارع أكسفورد اصطدمت بي امرأة ولم تفكر حتى في

الاعتذار. وعندما عدت إلى مبنى لينا، صادفت الجيران من الطابق السفلي، وهما زوجان شابان فنانان يرتديان الجوارب والصنادل، وعندما حاولت التحدث معهما، رأيت المرأة تنظر إلى زوجها مستغربة.

بدوت غريبة تمامًا عن هذا المكان. لم أرَ سوى ثلاثة أشخاص آخرين تبدو أعمارهم أكبر من سبعين عامًا طوال اليوم، وكان أحدهم فنان شارع يرتدي زيًّا طُبعت عليه صورة أينشتاين.

يجب أن أعترف بأنه خطر ببالي أن الأمر كان ليصبح أسهل قليلًا لو لم أكن وحدي - لو كان ويد معي، على سبيل المثال - لكن ويد لم يكن ليأتي إلى شارع أكسفورد على الإطلاق. أنا لا أفتقده، لكنني أفتقد أحيانًا فكرة وجود زوج معي، شخص يمكنني الاتكاء على ذراعه عند النزول من الحافلة، والذي قد يحمل عني مظلتي بينما أدفع ثمن كوب الشاي.

يجب أن أكون إيجابية، على الرغم من ذلك. مغامرتي بدأت للتو، ومن الطبيعي أن أشعر بالصعوبة في البداية. أنا فقط بحاجة إلى الانشغال. وغدًا، ستأتي بي؛ صديقة لينا، إلى الشقة لمساعدتي في اللقاء العاطفي عبر الإنترنت. تقول لينا إن بي خبيرة حقيقية. من يدري، ربما بحلول الخميس سيكون لدي من أقابله.

بدأ اللبن في ثلاجة لينا التخثر، فصببته في البالوعة بتنهيدة، وأخذت حقيبتي للخروج مرة أخرى. هذه المرة، ودون تشتيت انتباه الجيران الوقحين الذين يرتدون الجوارب والصنادل، ألقيت نظرة جيدة عندما وصلت إلى أسفل الدرج. كانت هناك مساحة مفتوحة كبيرة بين الدرج وباب المبنى، بها ثلاث أرائك بزوايا غريبة، واحدة منها ملطخة بشيء غامق بشكل مثير للريبة، والأخرى بشيء فاتح اللون مثير للريبة أيضًا. السجادة مهترئة، لكن هناك نافذتين كبيرتين جميلتين تدخل منهما أشعة الشمس. كانت مصممة لتكون منطقة مشتركة، على ما أعتقد - يا لها من خسارة إذ لا أحد فعل شيئًا بها.

عندما عدت من المتاجر، قفزت القطة البرية من الأريكة الملطخة باللون الداكن، وتقدم لتدلك رأسها بساقي. لم تكن تسير بشكل مستقيم تمامًا. آمل ألا تكون قد أصيبت في

دماغها بسبب حادث الدرابزين. رصدت صاحبة القط، هذا الصباح، وهي تخرج من المبنى تسحب حقيبة تسوق. إنها سيدة عجوز منحنية الظهر، على شيء من الصلع. ترددت، وأنا أشاهد القطة تسير هائمة نحو الدرج.

لو كانت هذه القطة آنت أو ديك، لوددت أن يخبرني أحدهم بما حدث لها. قد تختلف الأمور هنا، لكن الجار الطيب جار طيب، أينما كنت.

صعدت الدرج وطرقت باب صاحبة القط، ووضعت حقيبة التسوق بين قدمي.

قال صوت: «نعم؟».

قلت: «مرحبًا!».

«أنا جدة لينا».

«من؟»

«جدة لينا».

«جدة من؟».

قلتُ بصبر: «جدت لينا، جارتك». ربما بدأت ذاكرة السيدة تختل قليلًا. بدأ هذا يحدث مع بينيلوبي أيضًا - أمر محزن جدًا، لكن الجانب الإيجابي أنها نسيت أنها لا تستطيع تحمل رولاند. لقد كان نسيانها الأحداث بمثابة شهر عسل ثان لهما.

سألت المرأة بصوت مبحوح وكأنها بحاجة لأن تتنحنح: «اي من الثلاثة تقصدين؟ الحبلى أم أيقونة الموضة أم الثالثة؟».

رمشت بعيني. لينا ليست حبلى بالتأكيد، وبقدر ما أحب حفيدتي، فإذا لم تكن ترتدي بدلة، فإنها على الأغلب ترتدي أشياء طُبع عليها صور أبطال نجوم من التليفزيون، أي أن لبسها نمطي جدًّا وأبعد ما يكون عن الموضة، لذا من غير المتصور أن تكون هي أيقونة الموضة، ما يتركنا أمام...

قلت بتردد: «الثالثة؟».

«الفتاة التي دائمًا ما تسرح شعرها البني إلى الخلف؟ تلك القصيرة، التي تركض في كل مكان، دائمة العبوس؟».

قلت بحدة: «شعر لينا جميل»، ثم عضضت على لساني وأكملت: «لكن... نعم. هي تلك».

قالت السيدة: «أوه، حسنًا. شكرًا لك، لكن هذا لا يهمني»، وسمعتها تبتعد عن الباب.

سألتُ مندهشة: «ما الذي لا يهمك؟».

قالت المرأة: «كل ما تريدين».

عبست: «لا أريد شيئًا». بدأت أفهم لماذا يغضب أرنولد عندما لا أدعه يدخل المنزل، فهذه ليست طريقة مريحة لإجراء محادثة.

قلت: «جئت لأتحدث إليكِ عن قطتك».

«أوه». بدا صوتها أكثر حذرًا من ذي قبل، لكنني سمعتها تعود إلى الباب، ثم فتحته سنتيمترين أو ثلاثة، ولمعت عينان بنيتان كبيرتان من خلال الفجوة.

قلت بنبرة معتذرة: «يؤسفني أن أخبرك أنها تعرقلت بالدرابزين، بمعنى آخر، حسنًا، اصطدمت به».

ضاقت العينان.

سألت المرأة: «أنت ضربتها، أليس كذلك؟».

قلت مصدومة: «ماذا؟ لا! لن أضرب قطَّة أبدًا! لدي أصلًا قطان أسودان اسمهما آنت وديك».

انفتحت العينان على اتساعهما، وفتح الباب سنتيمترين آخرين. قالت المرأة: «أحب القطط السوداء».

ابتسمت، وقلت: «حسنًا إذن، أنا متأكدة من أننا سنكون أصدقاء أعزاء»، ثم دسست يدي في فجوة الباب لأصافحها: «أنا إيلين».

استغرقت وقتًا طويلًا حتى مدت يدها لتمسك يدي الممدودة لدرجة أن يدي كادت تسقط في الفراغ، ولكن أخيرًا أطبقت أصابعها على يدي، وقالت: «ليتيتيا»، ثم أضافت بسرعة: «هل... لا أعتقد... لا أعتقد أنك تريدين الدخول؟ ثم تنحنحت واستطردت: «جئتِ فقط لتخبريني عن القطة، أليس كذلك؟».

قلت: «أودُّ الدخول»، ودلفت إلى الداخل.

بدا منزل ليتيتيا غريبًا مثلها تمامًا، لكن ليس كما قد تتوقع على الإطلاق. لديها مظهر... كأنها مشردة بلا مأوى، لكن داخل شقتها قصة مختلفة تمامًا، فالمكان مليء بالآثار والتحف؛ عملات قديمة مرتبة في أنماط لولبية على أسطح طاولات مصنوعة من خشب البلوط، وريش ذهبي لامع وأزرق سماوي يتدلى من حبل غسيل، أطباق خزف فاخرة مكدسة بعناية داخل خزائن ذات أرجل رفيعة ومقابض حديدية. إنه منزل فريد من نوعه حقًّا، يجمع في خصائصه بين متجر للتحف ومتحف مكتظ بالمعروضات، وربما غرفة نوم طفل.

جلست أحتسي كوب الشاي الثالث منذ أن دخلت منزل ليتيتيا وأبتسم لها عبر مجموعة من الأواني والمزهريات التي تشغل معظم طاولة الطعام الخاصة بها. شعرت بأنني أفضل حالًا

مما كنت عليه طوال اليوم. يا لها من امرأة رائعة وجدتها تعيش بجوارنا! إنه لأمر عجيب حقًّا أن لينا لم تذكرها قط - على الرغم من أنه يبدو أن طريقيهما لم يتقاطعا كثيرًا. أجد صعوبة في تصديق ذلك، نظرًا لوجود جدار رقيق فقط يفصل بين حياتيهما، ولكن مما استطعت استنتاجه، فإن ليتيتيا لا تتحدث مع أي من الجيران. أو بالأحرى، لا يتحدث أي من الجيران مع ليتيتيا.

سألتها: «لا أحد؟ لم يأت أي شخص لتقديم نفسه عندما انتقلوا إلى المبنى؟».

هزت ليتيتيا رأسها، مما جعل أقراطها الطويلة ترتعش. الأقراط الفضية كانت ثقيلة وقد سحبت شحمتي أذنيها إلى الأسفل؛ وجعلتها تبدو غامضة بعض الشيء. قالت بلا مرارة: «لا أحد يتحدث معي. أعتقد أنك أول شخص أتكلم معه منذ...». توقفت، «الجمعة الماضي، كان آخر من تحدث معي هو مندوب شركة آيسلند للتوصيل عندما أتى لتوصيل طردي».

«أوه يا حبيبتي. ماذا عن المنطقة المشتركة بالأسفل؟ هل حاولت الجلوس هناك؟ عندها سيقول الناس مرحبًا عندما يمرون».

قالت ليتيتيا: «لقد حاولت مرة واحدة، لكن شخصًا اشتكى. قالوا إن ذلك سيئ لصورة المبنى. لذلك أجلس هنا الآن، بحيث لا أستطيع إزعاج أحد».

سألت: «هذا فظيع! ألا تشعرين بالوحدة؟!»، ثم كبحت نفسي، واستدركت: «آسفة، لم أقصد التطفل».

قالت ليتيتيا بعد لحظة: «أشعر بالوحدة، لكن لدي سولستيس، القطة. تمشي بشكل غريب بعض الشيء بالمناسبة».لقد بدأنا بالحديث عن قطتها، ولكن بعد ذلك تحدثنا عن أشياء أخرى، والآن مرّت ثلاث ساعات.

«حسنًا، أنا آسفة جدًّا لأن لينا لم تأتِ لزيارتك من قبل».

رفعت ليتيتيا كتفيها، فلاحظت البقع على فستانها القصير وجفلت قليلًا.

«إنها قليلًا ما تكون هنا، وحسب ظني، حتى عندما تكون هنا، تكون مع حبيبها ذاك، ذي الشعر اللامع. لا أحبه. أعتقد أنه...» لوحت ليتيتيا بيدها، مما جعل شبكة صيد الأحلام تدور فوق رأسها، والتي بدورها اصطدمت برنان الرياح الأرجواني والفضي وجعلته يصدر رنينًا. ثم قالت: «أعتقد أنه فتى رخو، فارغ».

أوه، أنا أحب ليتيتيا.

نظرت ليتيتيا إلى كوبي. كنا نشرب الشاي العادي؛ وقد استقرت مجموعة من أوراق الشاي السوداء في قاع كوبي. سألتني: «هل تريدين أن أقرأ لك الأوراق؟».

«تقرئين أوراق الشاي؟».

قالت ليتيتيا: «كنت قارئة طالع في السابق، واعتدت أن أجلس في ميدان ترافالجار وأقرأ كفوف أيدي المارة».

قد تكون ليتيتيا أكثر امرأة مثيرة للاهتمام قابلتها على الإطلاق. وقلت لنفسي إنها ربما علقت هنا، يومًا بعد يوم، بلا روح واحدة تتحدث إليها! تساءلت كم عدد الأشخاص المذهلين الآخرين، الذين يتم حبسهم في هذه الشقق الصغيرة حول المدينة؟

قلت، وأنا أدفع كوب الشاي نحوها: «كم هذا مثيرا! من فضلك، اقرئي».

أعادته لي مرة أخرى وهي تقول: «ارفعيه بيدك اليسرى ولفيه ثلاث مرات على الأقل».

فعلت كما قالت، وراقبت الأوراق تتحرك وسط آخر رشفة شاي في قاع الكوب. سألتُ: «هكذا؟».

نعم، هكذا. مدت يدها إلى كوب الشاي ثم سكبت السائل المتبقي بعناية في الصحن، تاركة الأوراق وحدها في الكوب. قلبت الكوب بين يديها ذهابًا وإيابًا ببطء شديد، وهي تتنفس بعمق، منغمسة، وأدركت أنني أحبس أنفاسي. لم أكن متأكدة من أنني أؤمن حقًّا بقراءة المستقبل في كوب أحد، لكن ماذا أعرف؟ تساءلت لحظة عما كان سيقوله ويد - كان سينتقد هذا بشدة - ثم أزحت الفكرة عن رأسي. من يأبه بما كان سيقوله ذلك العجوز الأبله.

قالت ليتيتيا: «إمممم».

قلت بأمل: «ماذا؟».

ضغطت ليتيتيا شفتيها، ثم همهمت مرة أخرى، ثم نظرت إليّ نظرة معتذرة.

سألتها وأنا أحاول التحديق في الكوب: «ألم... ألم تري شيئًا؟».

قالت ليتيتيا، مدلكة ذقنها: «أوه، لقد حصلت على شيء، إنه واضح جدًّا...».

دفعت الكوب نحوي، مديرة إياه بحيث يكون المقبض باتجاهها.

نظرت إلى أوراق الشاي. ثم بدأ كتفا ليتيتيا الاهتزاز قبل أن أرى ما ترى؛ وبحلول الوقت الذي بدأت فيه الضحك، كانت هي غارقة في الضحك حتى دمعت عيناها، ومع كل نوبة ضحك كان يهتز جسدها، ومعه يهتز فستانها الملطخ.

بدت أوراق الشاي مثل... صورة حميمية. ما كانت لتأخذ هذا الشكل الواضح لو حاولت ترتيبها بهذه الطريقة عن قصد.

قلت، عندما استعدت أنفاسي أخيرًا: «وماذا يعني ذلك، هاه؟».

قالت ليتيتيا، ماسحة عينيها: «أعتقد أن ذلك يعني أن ثمة خيرًا ينتظرك، أو لعله يعني أن لعبة أوراق الشاي مجرد هراء».

انفجرت بالضحك مرة أخرى. هذا أفضل ما شعرت به منذ... حسنًا، لا أستطيع أن أتذكر منذ متى.

سألتني ليتيتيا: «هل ستأتين مرة أخرى؟».

مددت يدي عبر الطاولة لأمسك يدها، متجنبة المزهريات: «بقدر ما تريدين»، ثم أومأت نحو كوب الشاي قائلة: «أتوقع أنكِ سترغبين في معرفة كيف ستتحقق نبوءتك الصغيرة تلك، أليس كذلك؟».

# 9 لينا

إنها السادسة واثنتان وعشرون دقيقة، وقد استيقظت. يبدو أن هذا هو نمط حياتي الجديد. ذهبت بسرعة إلى الحمام، ثم حاولت العودة إلى النوم، لكنني تركت باب غرفة النوم مفتوحًا قليلًا، فاستغرق الأمر حوالي عشرين ثانية، ليجد القط آنت طريقه إلى الداخل ويجلس على وجهي.

دفعته بعيدًا وهو يموء معترضًا، ثم نهضت.لا، كان ذلك ديك، وليس آنت. أجد في تسمية جدتي قطيها المتشابهتين تمامًا «ديك» و«آنت» تيمنًا بمقدمي البرامج «ديك» و«آنت» اللذين لا يمكن التفريق بينهما، إنه حس فكاهي لطالما عهدته في جدتي. رغم أنني أظن أنها إذا سئلت، فستتظاهر بالبراءة وتصر على أن الفكرة كانت من بنات أفكار جدي ويد.

في الطابق السفلي، بعد إطعام آنت أو ديك - الذي يواصل المواء على طول الدرج، بالكاد يتوقف للتنفس بين المواءات المتوسلة - وقفت أتأمل مجموعة من أنواع الشاي خلف الغلاية، كلها مخزنة في علب بسكويت قديمة ومصنفة بعناية. يا إلهي، افتقدت ماكينة القهوة الخاصة بفيتز. هناك حاجة معينة لا يمكن للشاي أو حتى القهوة السريعة إشباعها.

اليوم هو الأربعاء، مما يعني أنني سأقوم بنزهة مع كلب جاكسون جرينوود، كنت مستيقظة حتى وقت متأخر من الليلة الماضية، أخبز مكافآت للكلاب من أي شيء أجده في ثلاجة جدتي. قمت ببعض البحث عن نزهة الكلاب، وبحسب ما وجدت فإن المكافآت جزء أساسي من العملية. وبحلول الوقت الذي أدركت فيه ذلك، كانت المتاجر - أو بالأحرى المتجر الوحيد - مغلقة، لذا كان عليّ أن أجد حلًّا سريعًا وأفكر في شيء. الآن هناك بعض المكعبات الطرية من اللحم المفروم، والبيض، وقطع ويتابيكس المطحونة، تستقر في كيس شطائر على اللوح الجانبي. بدت مقززة.

أثناء غليان الغلاية، وقفت أحدق في مكافآت الكلاب وأخذت لحظة قصيرة للتساؤل عما أفعله بحياتي الآن، ثم - لأن هذه الأفكار نادرًا ما تؤدي إلى شيء مثمر، ولأنه فات الأوان لتغيير هذه الخطة - صنعت كوبًا من الشاي.

رحت أتسكع في الردهة أحمل الشاي، ولاحظت رسالة على سجادة الباب. كُتب عليها بخط كبير مائل أنها موجهة إلى لينا كوتون. في الداخل، وجدت قائمة مكتوبة بخط اليد، تحمل العنوان:

مسئوليات لجنة التخطيط لاحتفالات عيد مايو، تُسلَّم إلى لينا كوتون ما دامت إيلين كوتون، الرئيسة المشاركة باللجنة، في إجازة.

في إجازة! كدت أختنق بالشاي.

1) الجليتر.

2) الفوانيس.

3) التواصل مع مُقَلِّم الأشجار.

4) أكشاك الطعام.

5) إيجاد ممول.

6) الزهور.

7) المراحيض المتنقلة.

8) اللافتات.

9) موقف السيارات.

10) أزياء العرض.

لقد أثارت هذه القائمة اهتمامي. في الواقع، بدا أن هذا مشروع ممتع. لم أقم بإدارة حدث من قبل، وبالنظر إلى هذه القائمة، بدا أن جدتي كان عليها التعامل مع الكثير من الأمور لإتمام هذا الحدث: موقف السيارات، اللافتات، أكشاك الطعام، والكهارب، مهما كان ذلك يعني. سأضطر إلى سؤال بيتسي.

تصاعد شعور بالإثارة في بطني، تلك الشرارة التي كانت تشتعل في داخلي كلما بدأت مشروعًا جديدًا في العمل، وفجأة تذكرت خطتي الجميلة الملونة لشركة «بي آند إل» لاستشارات المؤسسات. الملفات موجودة على موقع الدروب بوكس، يمكنني فتحها على جهاز حاسوب جدتي لاحقًا. ازداد شعوري بالإثارة، فأنهيت الشاي في جرعة واحدة، وأنا أفحص القائمة مرة أخرى.

لماذا تم شطب بند إيجاد ممول؟ أتذكر أن جدتي كانت تأمل في الحصول على جهة ترعى مهرجان عيد مايو، حتى يتمكنوا من توجيه الأرباح من حصيلة بيع التذاكر إلى جمعية السرطان، التي قدمت لنا الكثير من الدعم، عندما كانت كارلا مريضة. هل تخلت عن الفكرة؟ عبست، والتقطت قلمًا من فوق الطاولة، ووضعت نجمة بجانب هذا البند في قائمة بيتسي.

كوب شاي آخر، وسأذهب. شعرت بفضول شديد لرؤية جاكسون جرينوود مرة أخرى. عندما كنت آزور جدي وجدتي أثناء طفولتي، اعتدت رؤيته كثيرًا، حيث كان يعيش مع أرنولد. كان صبيًا هادئًا دائم العبوس، ودائمًا ما يتجول في الحديقة مع كلبهم العجوز. وكان جاكسون من نوعية الأطفال الذين يَعدُّهم الجميع «مشكلة»، ولو أنه لم يفعل شيئًا خاطئًا حقًّا، كان فقط دائم العبوس.

أما الآن فقد أصبح جاكسون معلمًا في المدرسة الابتدائية المحلية، وهذا... وهذا لا أستطيع استيعابه، ففي ذهني، معلمو المدارس الابتدائية أشخاص مبتسمون ومبتهجون ويقولون

طوال الوقت أشياء مثل «محاولة جيدة!» و «أحسنت»، في حين أن جاكسون كان في الغالب عابس الوجه.

هذه الأيام يسكن جاكسون في أحد المباني الجديدة في زاوية هاملي. عندما اقتربت من المباني، وجدت أن المظهر الخارجي يبدو ثنائي الأبعاد بشكل غريب مقابل الخلفية الظليلة للمنطقة، كأنه صورة مصمَّمة بالحاسوب لما قد يبدو عليه المبنى عندما يكتمل. الحدائق رمادية وموحدة في ضوء أعمدة الإنارة، كلها مروج قصيرة وممرات من الحصى، لكن حديقة جاكسون الأمامية عبارة عن خليط متشابك من النباتات. لقد حوَّل الحديقة إلى مزرعة نباتات. لا أعرف كيف يرى الجيران المجاورون الأمر، فحدائقهم أكثر توافقًا مع المبنى، بأوانٍ طينية تحوي نباتات عدة تشمل إكليل الجبل وأشجار الكروم الصغيرة، التي تسلقت التعريشات المحيطة بأبوابهم.

طرقت الباب، فاستُقبل طَرقي بنباح مرتفع مفعم بالحماسة، ثم توقف فجأة. لاشك، أن أحدهم تعرض للتوبيخ.

عندما فتح جاكسون الباب لم يكن لدي وقت للنظر إليه؛ لأن كتلة كبيرة من الفراء الأسود - بطوق يتطاير بين أرجله - ضربتني في بطني وأطاحت بي على الأرض.

«آه!». سقطت على مؤخرتي، وتلقى معصمي الحظ الأوفر من سقوطي، لكن الشيء الرئيسي الذي كنت أحتاج للتعامل معه الآن هو الكلب الذي يلعق وجهي بحماس شديد. «مرحبًا، هل يمكنك... يا إلهي...».

كان يجلس فوقي وقد أخذ قلادتي بين أسنانه. أوه، والآن بدأ يلعب بها، رائع، هذا...

«تبًّا، آسف». امتدت يد كبيرة وأمسكت طوق الكلب وسحبته في الاتجاه المعاكس لي. «هانك، اجلس!».

تراجع هانك عني وجلس. ولسوء الحظ، أخذ قلادتي معه، تتدلى بين أسنانه، تتأرجح بسلسلة مكسورة. تتبعت نظرة هانك المُحبة نحو مالكه بالأعلى.

شعرت بالغرابة وأنا أنظر إلى جاكسون. كان بلا شك الطفل الذي عهدته، لكن بنيته تغيرت كثيرًا، كان من قبل ضئيل البنية، وبات اليوم طويل القامة، وقد بات فكاه أكثر استرخاء الآن، وكتفاه المتهدلتان صارتا أكثر استقامة، ونما وكبر ليصبح رجلًا عريض المنكبين، ذا عينين نعستين وشعر بني فوضوي. كانت هناك بقعة قهوة على صدر قميصه، وثقب كبير في الركبة اليسرى من بنطاله الجينز. وعلى الذراع التي تحمل الآن حبل مقود هانك، هناك شريط من الجلد الأبيض حيث ينبغي أن تكون ساعته، ساعداه محمرتين قليلًا من الشمس، وهو إنجاز حقيقي في الربيع الإنجليزي.

إذا حاولت أن أخمن، فسأقول إن تعبيره بدا في مكان ما بين الحيرة والخجل، لكنه يمتلك واحدًا من تلك الوجوه التي قد تعني أنك عميق وغامض أو أنه ليس لديك الكثير لتقوله، لذا لست متأكدة تمامًا.

قال: «أنتِ لستِ إيلين كوتون!». لهجته اليوركشيرية أقوى من ذي قبل، أو ربما أنا من كنت غائبة لفترة طويلة.

«في الواقع، أنا نوعًا ما إيلين كوتون. أنا لينا، هل تذكرني؟».

حدق فيّ بضع لحظات وقد اتسعت عيناه. ثم سأل: «لينا كوتون؟».

«نعم!».

«هاه...». بعد بضع ثوانٍ طويلة جدًّا، حوَّل جاكسون نظره إلى الأفق وتنحنح، ثم قال: «ممم...» ثم صمت قليلًا، وحاول مرة أخرى: «أنتِ... تغيرتِ. أعني، تبدين مختلفة».

قلت: «أنت أيضًا، لقد أصبحت أكثر ...». خجلت. إلى أين كنت ذاهبة بهذه الجملة؟ أول كلمة خطرت لي في رأسي كانت «رجولة»، وهو ليس شيئًا لأقوله بصوت عال.

قلت بسرعة: «سمعت أنك مدرس في المدرسة الابتدائية الآن».

«آه، صحيح». فرك يده في شعره، الذي أصبح نصفه منتصبًا.

قلت، وأنا أنظر إلى هانك الذي أسقط قلادتي، والآن يحاول جاهدًا التقاطها مرة أخرى غاضبًا من عجز كفيه الخاليتين من أصابع الإبهام اللازمة لالتقاط الأشياء : «حسنًا، أعتقد أن هذا هو الكلب!».

أفرطت في التعبير، لماذا أفرطت في إبداء حماستي؟

قال جاكسون وهو يتنحنح مرة أخرى: «إممم، نعم، هذا هو هانك».

انتظت أن يكمل...

ثم قلت في النهاية: «حسنًا. هل أخرج به في نزهة، إذن؟».

توقف جاكسون للحظة، ويده ما زالت على رأسه، ثم أجاب: «ها؟».

«الكلب، هل أخرجه في نزهة؟».

نظر جاكسون إلى هانك. كان هانك يحدق به، وذيله يمسح قلادتي ذهابًا وإيابًا على عتبة الباب».

سأل جاكسون في حيرة من أمره بعد صمت طويل: «أين إيلين؟».

«أوه، ألم تخبرك؟ إنها ذهبت إلى لندن لمدة شهرين. أنا هنا لأعتني بالمنزل وأدير جميع مشاريعها، الأشياء الصغيرة التي كانت تقوم بها في القرية، كما تعرف».

قال جاكسون، وهو يحك قفاه: «لديك أشياء كثيرة لتفعليها هنا إذن، عليك أن تحلي محل جدتك». بدت الحركة غير متعمدة، ولا يبدو أنه كان يحاول إظهار عضلاته، لكنها برزت. كان هناك نوع من الجاذبية في مظهره الفوضوي، عززتها عيناه الزرقاوان، وأنفه المعوج من أثر كسر سابق مثل أنوف لاعبي الرجبي.

قلت: «أنا متأكدة أنني سأستطيع تدبر أمري».

«هل سبق لك أن نزهتِ كلبًا من قبل؟».

«لا، لكن لا تقلق، أنا أعرف كيف أفعل ذلك».

لم أخبره أنني بحثت بشكل موسع عن تمشية الكلاب، وسلالة اللابرادور، والمسار الذي أرشدتني جدتي إلى السير فيه.

قال جاكسون، وهو يحك شعره مرة أخرى: «إن عمره ثمانية أشهر فقط، وهو فوضوي قليلًا حتى الآن. في الحقيقة، أنا فقط أطلب من إيلين أن تمشيه يوم الأربعاء لأنها كانت تجيد التعامل معه، وهذا يعطيني فرصة للوصول إلى المدرسة مبكرًا، وإنجاز بعض التخطيط للدروس قبل أن يصل الأطفال إلى المدرسة...».

مددت يدي لأستعيد قلادتي، لكن هانك أطلق عواء خفيفًا وحاول فورًا أن يلتقط يدي بفمه. صرخت رغمًا عني، وسحبت يدي إلى الوراء، ثم سببت بصوت منخفض. هذا بالضبط ما لم يكن ينبغي أن أفعله، كنت أعلم ذلك، كان يجب أن أمد يدي بالجانب الخلفي أولًا.

«هانك! هذا ليس تصرفًا لائقًا. اجلس».

جلس هانك، مُظهرًا من الخزي والإحباط ما يكفي لجعل أي شخص يشعر بالذنب، مائلًا برأسه إلى الأسفل. لم أكن مقتنعة بأنه يشعر بالندم فعلًا، فعيناه المليئتان بالخزي كانتا لا تزالان تراقبان القلادة.

تنحنحت، وقلت: «إذن، هل أعيده هنا بعد ساعة؟».

رد جاكسون، وهو يُسلِّمني مفتاحًا: «شكرًا، إذا كنت متأكدة من قرارك، فسأذهب أنا إلى المدرسة. تفضلي. ضعيه فقط في المشتل الزجاجي واقفلي الباب بعد ذلك».

حدقت إلى المفتاح في يدي. أعلم أننا لسنا غرباء تمامًا عن بعضنا، لكنني لم أتحدث إلى جاكسون منذ حوالي عشر سنوات، واندهشت قليلًا من أنه مستعد ليعطيني مفتاحًا لمنزله. لم يكن لدي وقت طويل للتفكير في الأمر؛ لأن هانك كان يستكشف إمكانية أن يكون المفتاح مكافأة، وتأهب ليقفز نحوي ليتفحصه.

سحب جاكسون هانك إلى وضعية الجلوس: «أيها الشقي الصغير. لم أصادف من قبل كلبًا صعب التدريب بهذا القدر». قالها بأسى، وهو يهز رأسه، لكنه ما زال يداعب هانك خلف أذنه.

آه، حسنًا. كلب شقي.

سأل جاكسون: «هل أنت متأكدة أنك قادرة على التعامل مع هذا؟». ربما لاحظ تعبير وجهي، وبدا مشككًا.

بعد الحادثة التي كاد يعضني فيها، أصبحت أقل حماسة بعض الشيء بشأن أخذ هذا الكلب في نزهة، لكن إذا كان جاكسون يظن أنني لا أستطيع فعل ذلك، فسوف يتعين عليَّ تنفيذه، وهذا هو الأمر، حقًّا.

قلت: «سنكون على ما يرام، أليس كذلك يا هانك؟».

قفز هانك نحوي بفرح شديد، فصرخت وفقدت توازني. فكرت في أن جوجل لم يعدني تمامًا لهذا.

قلت بأقصى قدر من الثقة التي أستطيع أن أظهرها: «لنذهب إذن! وداعًا!».

نادى جاكسون بينما انطلقنا عبر الممر: «أراك قريبًا، إذا واجهتِ أي مشكلات، فقط...».

أعتقد أن جاكسون كان لا يزال يتحدث، لكنني لم أسمع شيئًا بعد هذه النقطة لأن هانك كان حريصًا جدًّا على الانطلاق. يا إلهي، بالكاد احتجت إلى بذل جهد في هذه النزهة، إذ كان هانك يسحبني خلفه - أوه، اللعنة، هو في الطريق، هو في - حسنًا، عودة إلى الرصيف - ما الذي يأكله الآن؟ من أين حصل عليه؟

كانت الرحلة عبر القرية إلى الحقول المفتوحة أطول عشر دقائق مرت عليَّ في حياتي. مررنا أيضًا بكل شخص في هاملي، بدا أنهم جميعًا اختاروا هذه اللحظة ليكونوا خارج بيوتهم، يراقبونني وأنا أتدحرج على الرصيف خلف كلب لابرادور متحمس جدًّا.

حاول رجل مسن أن يتجاوزني بمقعده المتحرك على طول شارع لين الأوسط. كان يرتدي معطف مطر كبيرًا لحمايته من الرذاذ. صرخ قائلًا: «يجب أن تُبقي هانك بجانبك!».

صرخت: «نعم! شكرًا».

صرخ الرجل العجوز، الذي أصبح الآن بجانبي: «هذا ما تفعله إيلين!».

عقبت بحماسة، بينما كان هانك يحاول خلع كتفي: «من الجيد أن أعرف ذلك!» «حاذني يا هانك». حاولت أن أقولها بصوت مرح وكأنني أتحدث إلى كلب أو طفل، لكن لم يلتفت هانك نحوي.

صرخ الرجل الذي كان على المقعد المتحرك: «أنا رولاند! بالتأكيد أنت لينا».

قلت: «نعم، صحيح. حاذني يا هانك! حاذني!!».

توقف هانك فجأة، على الأغلب كان هناك شيء مثيرًا للاهتمام، تعثرت به وسقطت عليه على الفور. لعق هانك وجهي بينما كنت على الأرض. في هذه الأثناء، استغل رولاند هذه

الفرصة لتيجاوزني بنجاح، وهو ما وجدته مزعجًا جدًّا؛ لأنه على الرغم من أنني لم أوافق على أن يكون هذا سباقًا، فإنني بوضوح قد خسرت.

عندما أصبحنا أخيرًا خارج القرية وبعيدًا عن أنظار الفضوليين، جذبت هانك من الطوق ليتوقف، وملت بظهري إلى شجرة لأستريح. يا إلهي، هذا أشبه بالمشي العسكري أكثر من كونه مجرد مشي. كيف كانت جدتي تسيطر على هذا الوحش؟.

نظرت حولي إلى الحقل - أتذكر هذا المكان. بدا مختلفًا في الطقس الغائم، لكن كارلا وأنا اعتدنا أن نتنزه هنا عندما كنا صغارًا، مرة علقت كارلا في هذه الشجرة، وانفجرت في بكاء صاخب، ولم تكفَّ عن البكاء حتى وأنا أرشدها بحديثي خطوة تلو الأخرى لتتحرر من أغصان الشجرة.

أعادني هانك إلى الحاضر عندما سحب حبل المقود بقوة، كان يشد بقوة لدرجة أنه رفع برثنيه الأماميين عن الأرض. كنت متأكدة أن الإنترنت قال إنه يجب علي ألا أدع الكلب يشد الحبل هكذا، يجب أن أشجعه للعودة إلي، أليس كذلك؟!

أخرجت واحدة من المكافآت المنزلية التي صنعتها وناديت اسمه، قفز نحوي، وابتلع المكافأة، ثم عاد فورًا إلى مهمة شد الحبل. تكرر هذا ثلاث مرات أخرى. تسببت المكافآت المنزلية في اتساخ الحقيبة، كنت أشعر بآثار اللحم والبيض تحت أظافري.

مستسلمة، بدأت المشي مجددًا ورحت أتحرك بسرعة حول محيط الحقل. بين الحين والآخر كنت أحاول تعليم هانك أن يمتثل لأمر «المشي حذائى»، لكن دون جدوى، لم أكن أنزه هذا الكلب، كان هو من ينزهني.

وعلى ذكر ما قاله جاكسون بشأن «حلولي محل جدتي»، كنت ألبس حذاءها المطاطي، لم يكن لدي حذاء خاص بي، وأنا وجدتي لدينا مقاس القدم نفسه. ظل الحذاء المطاطي يسبب لي الاحتكاك في كعبي منذ أن خرجت من كوخ كليير ووتر، والآن شعرت بحصاة

ضخمة في مقدمة إحدى الفردتين. حاولت أن أجعل هانك يتوقف دون جدوى، ثم انحنيت على أية حالة لخلع الحذاء المزعج.

كنت أمسك السلسلة، بالتأكيد. بالطبع كنت أمسكها. لا يمكنك أن تترك السلسلة مع كلب مثل هانك. لكن... بطريقة ما، في خضم الفوضى الناتجة عن القفز على ساق واحدة وسقوط الحذاء، ومحاولة تجنب وضع قدمي بالجوارب في الوحل، بدا أنني تركت السلسلة.

انطلق هانك كالسهم. كان يجري بكل قوته، أرجله الأمامية والخلفية تتقاطع تقريبًا في الوسط، يندفع بتركيز تام نحو الحقول اللانهائية.

«اللعنة! اللعنة!».

كنت أركض بالفعل، لكنني كنت أرتدي فردة حذاء واحدة فقط، والجري بحذاء واحد مهمة صعبة جدًّا - شبيهة تمامًا بالركض في سباق الأرجل الثلاث* لكن بمفردك - وبعد بضع خطوات أقطعها، أتعثر وأسقط مجددًا، بينما هانك يبتعد عني بسرعة. كلما حاولت النهوض، تعثرت مجددًا. كنت ألهث بشدة. يا إلهي، لقد... لقد... لقد اختفى الآن... أين هو؟

ركضت عائدةً إلى الحذاء، ارتديته ثم ركضت مجددًا. لم أركض بشدة في حياتي بكل قوتي كما فعلت في تلك اللحظة. بعد بضع دقائق من الركض العشوائي تمامًا، شعرت بأنه يجب التعامل مع الموقف بشكل مختلف، وأدركت أنه من الأفضل أن أركض على الأقل بطريقة منهجية بعض الشيء، فبدأت أركض في نمط متعرج عبر الحقول، وأنا ألهث. في مرحلةٍ ما بدأت أبكي، وهو ما يجعل الجري أسرع، وأخيرًا، بعد مرور ما يقرب من ساعة، خارت قواي تحت شجرة ورحت أبكي بشدة.

لقد فقدت كلب جاكسون. كان من المفترض أن يكون التبديل مع جدتي سهلًا، ومريحًا، وشيئًا لا يمكنني الفشل فيه، لكن هذا مؤلم. لا أدري ماذا يمكن أن يحدث لهانك هناك. ماذا

لو وصل إلى طريق رئيسي؟ ماذا لو - ماذا لو أكله شيء؟ هل هناك أي حيوانات في منطقة يوركشاير ديلز تأكل الجراء؟ يا إلهي، لماذا أبكي كثيرًا؟

قمت من مكاني بعد بضع لحظات؛ لأن الجلوس أسوأ حتى من الركض. رحت أنادي اسمه مرارًا، لكن كانت هناك رياح شديدة لدرجة أنني بالكاد كنت أسمع نفسي. قبل أسبوع واحد، كنت واقفة في غرفة اجتماعات أقدم خطة من ست عشرة نقطة لضمان دعم المساهمين خطة تغيير مؤسسي، أما الآن فإنني أبكي وسط حقل، وأصرخ بكلمة «هانك» مرارًا وسط الرياح، وجلد قدمي قد كُشط، وشعري - من المؤكد أنه تحول إلى عش طائر الآن - يضربني في وجهي بشكل متكرر. لا أستطيع إلا أن أفكر أنني أتعامل مع هذا الوضع بشكل سيئ جدًّا. أنا عادةً أجيد التعامل في حالات الطوارئ، أليس كذلك؟! أنا متأكدة أن ريبيكا قالت ذلك في تقريري الأخير.

وضعت هذه الفكرة في ذهني. تنفست بقدر ما أستطيع من هدوء. لا مفر من الأمر: يجب أن أعود إلى هاملي. ليس لدي رقم جاكسون - خطأ كبير، كيف فاتني ذلك؟! - وهو يحتاج إلى معرفة ما حدث.

شعرت بالغثيان، سيكرهني بالتأكيد. أنا أكره نفسي الآن. أوه، يا هانك المسكين، إنه هناك في الحقول - ربما لا يدري ماذا يفعل بنفسه الآن بعدما أدرك أنه فقدني. ظللت أبكي بشدة حتى أصبح التنفس أمرًا صعبًا. أحتاج إلى أن أتماسك. هيا، هيا، ما الذي يحدث لي؟

ظننت أن المشي عبر شوارع هاملي كان تجربة سيئة وأنا في طريقي إلى هنا، لكن طريق العودة كان أسوأ بمائة مرة. العيون الصامتة تراقبني من النوافذ والمداخل، فأولًا كان هناك هذا الطفل الذي أخذ يشير إليّ عبر الشارع ويصرخ: «إنه ستيج من مسلسل ستيج ساكن مكب النفايات** يا ماما!» وصولًا إلى رولاند الذي مر بجانبي على دراجة المسنين مرة أخرى، ثم التفت إليّ وهو يسألني: «أين هانك؟».

أجبته بصعوبة: «لقد فقدته».

تجهم وجهه: «يا إلهي! يا إلهي!».

كززت على أسناني وواصلت المشي.

قال رولاند: «يجب علينا أن نرسل فرقة للبحث! يجب أن ندعو إلى اجتماع لجنة الحي فورًا! سأتحدث إلى بيتسي».

أوه، لا، إلا بيتسي.

قلت، وأنا أمسح وجهي بكُم قميصي: «أحتاج إلى التحدث إلى جاكسون، من فضلك، دعني أتحدث إليه قبل أن تتحدث إلى بيتسي».

لكن رولاند كان مشغولًا بأداء دوران بطيء جدًّا بالدراجة ولم يبد أنه سمعني.

صرخت: «دعني أتحدث إلى جاكسون أولًا!».

قال رولاند وهو يستدير ويحدثني من فوق كتفه: «لا تقلقي يا لينا، سنجد هانك!»، ثم انطلق بعيدًا مجددًا.

شتمت وسرت بصعوبة، أحاول أن أرتب في ذهني بالضبط ما سأقوله لجاكسون، لكن اتضح أنه لا توجد طريقة جيدة لإخبار أحد بأنك فقدت كلبه، وتكرار المحادثة في ذهني جعلني أشعر بالغثيان أكثر فأكثر. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى بابه الأمامي، كنت في حالة التوتر العصبي نفسها التي تنتابني قبل عرض تقديمي كبير، وهو ما يعني، بناءً على التجارب الأخيرة، أنني على وشك الإصابة بنوبة هلع.

رننت جرس الباب، ثم تذكرت أن المفتاح في جيبي. أوه، يا إلهي، ربما يكون جاكسون قد غادر بالفعل إلى العمل - هل سيتعين عليّ الذهاب إلى مدرسة القرية لأخبره أنني فقدت كلبه؟ هذه ليست محادثة أريد أن أجريها أمام فصل دراسي مليء بالأطفال الصغار.

لكن، ولدهشتي، فتح جاكسون الباب.

وتكرر ما حدث، صباح اليوم، بحذافيره، الكلب انقض عليّ، أسقطني على مؤخرتي، لعق وجهي، وكان جاكسون ينظر إلينا.

«هانك!». صرخت، ثم دفنت نفسي في فروه وأنا أضمه إليّ بأقصى ما استطعت، مع أنه كان يتحرك مثل ثور بري. «هانك! أوه، يا إلهي، ظننتُ أن...».

هنا شعرت بعيون جاكسون مصوبة نحوي، فنظرت إلى الأعلى.

كان يبدو ضخمًا من قبل، لكن الآن في حقيقة الأمر... بدا ضخمًا جدًّا.

لم يعد يبدو عملاقًا لطيفًا، بل كمن يمكنه أن ينهي شجارًا في الحانة بكلمة واحدة هادئة ومنتقاة بعناية.

قلت: «أنا آسفة جدًّا يا جاكسون».

بينما كان هانك يتسلق عليَّ، وأقدامه تلطخ بنطالي المتسخ بطبقات جديدة من الوحل. تابعت: «أرجوك صدقني. لم أطلق سراحه عن عمد، هو الذي أفلت من يدي. أنا آسفة، ظننت أنني مستعدة، لكن... أنا آسفة جدًّا. هل أنت متأخر الآن على المدرسة؟».

«جئت حينما اتصلت بي الراهبة لتقول إنها رأت هانك يتجول على طول شارع بيويت. المدير يتولى حصصي اليوم».

دفنت وجهي في فرو هانك.

سأل جاكسون: «هل أنت بخير؟».

أجبته بصوت مكتوم: «هل أنا بخير؟».

«نعم. أنت تبدين... في حالة... أعني...».

«في حالة سيئة تمامًا؟».

اتسعت عينا جاكسون قليلًا، وقال: «ليس هذا ما كنت سأقوله».

نظرت إلى الأعلى؛ كان تعبير وجهه قد رقَّ، واستند إلى إطار الباب.

علقت، وأنا أمسح خدي: «أنا بخير، لكنني أشعر فعلًا بالذنب - كان يجب أن أكون أكثر حذرًا».

قال جاكسون: «لم يحدث أي ضرر، هل أنتِ متأكدة أنك بخير؟».

بدأ هانك مسحًا شاملًا لحذائي، وهو يشمه بجنون، ويتنقل بين قدميّ، ويلكزني بذيله من وقت لآخر.

رددت، متفادية الذيل: «لا يتعين عليك أن تكون لطيفًا، من حقك أن تكون غاضبًا مني. أنا أستحق ذلك».

بدا جاكسون مرتبكًا، وقال: «كنت غاضبًا، لكن بعد كل شيء... لقد اعتذرتِ، أليس كذلك؟».

«بلى، لكن...».

راقبني جاكسون وأنا أحاول النهوض وأقوم بمحاولات خجلة لإزالة الأوساخ عن بنطالي.

قال جاكسون: «لا بأس، إذا كان هذا ما تريدينه، فهانك لعوب ومشاكس صغير، على أي حال، لم يكن يجب أن أتركه يتجول بحرية معك».

عقبتُ، محاولة التماسك: «سأعوضك عن ذلك».

«لا داعي لذلك».

قلت بعزم: «بل، يجب أن أعوضك. قل لي فقط أي عمل تريده وسأقوم به. تنظيف الفصول في المدرسة؟ أو هل تحتاج إلى مساعدة في الإدارة؟ أنا جيدة جدًّا في الإدارة».

سأل، مائلًا برأسه، مندهشًا: «هل تبحثين عن نوع من... العقوبة؟».

أجبته بتوتر: «لقد ارتكبت خطأ كبيرًا، وأحاول فقط تصحيحه».

«الأمر قد تم إصلاحه»، توقف لثوان ثم أكمل: «لكن إذا كنت فعلًا تريدين عملًا لتقومي به، فأحد الفصول يحتاج إلى طبقة جديدة من الطلاء. قد أحتاج إلى المساعدة في ذلك».

قلت: «نعم، بالتأكيد، حدد وقتًا وأنا سأكون هناك».

«حسنًا، سأخبرك».

انحنى جاكسون ليدنو من هانك، وداعب أذنه، ثم نظر إليّ ليقول: «لا مشكلة يا لينا. الأمر على ما يرام. ها هو هانك تحت السيطرة مرة أخرى، أترين؟».

رغم أن هانك عاد وأصبح تحت السيطرة، لم أشعر بأنني أُسيطر على نفسي. ما الذي أصابني هناك في الحقول، أبكي بهذه الطريقة، أصرخ في الرياح، وأجري في دوائر؟ بي محقة: فالأمور ليست كما ينبغي أن تكون. وهذه ليست طبيعتي.

* سباق شائع يُقام في المدارس أو الفعاليات الرياضيات. في هذا السباق، يركض شخصان كلاهما بجانب الآخر، وقدماهما المتجاورتان مربوطتان ببعضهما البعض، لتشكلا معًا قدمًا ثالثة. يخوض هذان الشخصان السباق مع أشخاص آخرين، كل اثنين منهما يشكل ثنائيًّا (المترجم).

** مسلسل صدر عام 1981 وأعيد إنتاجه عام 2002، ومُقتبس من رواية صدرت عام 1963، ويحكي عن فتى في الثامنة من عمره يعثر بالمصادفة على فتى كهف يعيش في مكب للنفايات (المترجم).

# 10 إيلين

عندما دخلت بي الشقة، شعرت كأن لساني انعقد، ووجدت نفسي صامتة إلى حد ما. كانت ببساطة أكثر شخص جذاب رأيته في حياتي. لها وجه يأسر الألباب، أو ربما لأنه كان غير متناسق، بعين أعلى من الأخرى، وزاوية فم تنحني قليلًا أكثر من الأخرى. كانت بشرتها بُنية كريمية جميلة، وشعرها كان مستقيمًا ولامعًا بشكل استثنائي، كماء أسود يتدفق فوق سد. وللحظة، رحت أتخيل كيف يمكن أن تكون الحياة عندما يكون المرء يافعًا وجميلًا بهذا الشكل. كنت لأفعل أي شيء أريده.

لكن بعد نصف ساعة مع بي، اكتشفت أن واقع الحال مختلف تمامًا.

قالت بي وهي تملأ كئوس الشراب مرة أخرى: «لم أستطع العثور على رجل في هذه المدينة المنكوبة، جميعهم مثل القمامة - اعذري لغتي. ما لبثت لينا تخبرني أن هناك رجالًا مناسبين، وأنه عليك لقاء بعض الضفادع أولًا لتصلي إلى الأمير، لكنني قضيت عامًا كاملًا أقابل البرمائيات، والآن أنا على عتبات اليأس». أكدت هذا الجزء الأخير بعدة رشفات طويلة من شرابها، ثم تابعت: «آسفة - لم أكن أرغب في إحباطك. ربما سوق الرجال فوق السبعين أفضل».

قلت، وقد انكمش قلبي: «أشك في ذلك». كان الأمر سخيفًا. شعرت بالخجل من مجرد مناقشة حياتي العاطفية مع شخص مثل بي، إذا لم تستطع العثور هي على رجل، فكيف يفترض بي أن أفعل ذلك؟ لم أستطع حتى الحفاظ على زوجي.

لاحظت بي ما بدا علي وجهتى فوضعت كأسها على الطاولة، وقالت: «أوه، لا تستمعي إلي. كنت فقط متعبة وسئمت من المواعيد الغرامية السيئة. لكنك! أنت ما زال أمامك عالم كامل من المتعة. لألق نظرة على ملفك الشخصي في موقع المواعدة، هل نبدأ؟».

قلت بصوت خافت: «آه، لا، لا تزعجي نفسك بذلك». حيث تذكرت كل الأشياء المحرجة التي كتبتها لينا هناك. مثل: تحب الهواء الطلق! قلبها شاب! تبحث عن الحب!

تجاهلت بي اعتراضي وفتحت حاسوبها المحمول، وهي تقول: «لقد أعطتني لينا بيانات تسجيل الدخول الخاصة بك»، ثم أكملت وهي تضغط على المفاتيح: «أوه، هناك بالفعل بعض الرجال يرسلون لك رسائل!»

اقتربت من الشاشة، واضعة نظارتي في مكانها: «هل يوجد حقًّا؟ يا إلهي، هل هذا - أوه يا إلهي!».

قالت بي: «أجل، كثيرون يرغبون في التعرف عليك».

«حقًّا؟».

اتخذ وجه بي تعبيرًا غريبًا، وقالت: «أجل، لم تجدين صعوبة في تصديق ذلك؟».

بدأت أضحك: «لا، ليس الأمر كذلك، أنا فقط ليس لدي تجارب عدة مع الرجال، تجربتي الوحيدة كانت مع زوجي السابق».

سألت بي: «حسنًا، ماذا عن هذا الرجل؟».

نظرت بشيء من الحذر إلى الشاشة، لكن هذه المرة وجدت وجهًا مبتسمًا يحدق بي. كان رجلًا وسيمًا جدًّا، في الواقع، بشعر فضي مسحوب إلى الوراء وله جبين عريض، وأسنان لامعة. بدت الصورة كأنها صورة احترافية»

سألت: «هل هو حقيقي؟». فدائمًا ما نسمع عن هؤلاء الأشخاص على الإنترنت الذين يتبين أنهم في النهاية سيدات من تكساس.

«سؤال جيد، خاصة مع صورة مقربة مثل هذه».

تابعت بي الكتابة على لوحة المفاتيح لبعض الوقت، ثم أكملت: «حسنًا، قمت بالبحث باستخدام الصورة، والمكان الوحيد الذي استخدمت فيه هذه الصورة هو هنا. الاسم نفسه، والسير الذاتية تتطابق... أعتقد أنه ممثل!» عرضت بي موقعًا لمسرح، حيث ظهرت الصورة بجانب وصف لتود مالوني، الذي يبدو أنه يلعب دور السير توبي بيلش في مسرحية *Twelfth Night* في مسرح سان جون. قالت بي: «همم، يبدو الأمر ممتعًا. هل نرد عليه؟».

سألت، وأنا أنظر من فوق كتف بي: «ماذا كتب في رسالته؟».

قرأت بي: «مرحبًا إيلين! يبدو أنك في لندن في مغامرة مثيرة - أنا متشوق لمعرفة القصة كاملة...».

«هل لي بالرد أنا عليه؟».

دفعت بي حاسوبها المحمول نحوي، وبدأتُ الكتابة.

كتبت: «أرادت حفيدتي قسطًا من الراحة في الريف، وأنا أردت بعض الإثارة في المدينة، لذا قررنا تبادل الحياتين...».

قالت بي بإعجاب: «أوه، أحب ذلك، تلك النقاط الثلاث في نهاية الجملة توحي بالغموض».

ابتسمت: «شكرًا لك».

نقرت بي لإرسال الرسالة، وقالت: «الآن ننتظر»، ثم أخذت زجاجة الشراب مرة أخرى.

قلت: «لماذا لا نلقي نظرة على ملفك الشخصي في هذه الأثناء؟».

«ملفي الشخصي؟ أوه، لا، لا تريدين رؤية ذلك».

أشرت إلى الحاسوب، وأنا أشرب قليلًا من مشروبي: «لقد أريتك ملفي الشخصي!». لم أحتس الشراب منذ فترة طويلة، لكن بدا أنه جزء من الحياة في شقة لينا. كانت هناك مجموعة من الزجاجات تحت التلفاز، ودائمًا ما يكون هناك على الأقل زجاجة شراب أبيض في الثلاجة.

قالت بي، مشيرة إلى الحاسوب: «أنا في الواقع أستخدم تطبيقًا، وليس موقعًا مثل هذا، لذا هو على هاتفي».

قلت بصبر: «يمكنني التأقلم مع النظر على الهاتف».

عبرت بي عن اعتذارها بوجه متجهم، ثم قالت: «آه آسفة»، وعضت شفتها السفلى. ثم بعد لحظة سحبت بي هاتفها وكتبت مجموعة من الأرقام، وهي تعلن: «لنلق نظرة إذن». أخذت في تمرير صورها. كان هناك وصف قصير تحتها: أم منشغلة بالعمل. لديها القليل من الوقت، والقليل من الصبر، وتحتاج للكثير من الكافيين.

يا إلهي. وأنا ظننت أن بي مذهلة بجمالها، في الواقع، لقد كان ذلك لا يقارَن بما كانت عليه في صورها هنا. بدت كل صورها كما لو كانت من مجلة للمشاهير. قالت بي بطريقة مسرحية: «أوه، نعم، لقد شاركت في بعض عروض الأزياء، العام الماضي، كعمل جانبي».

كان وصفها المختزل لنفسها منفرًا تمامًا لأي رجل قد يرغب بعلاقة معها.

أظهرت لي كيفية التمرير لليسار واليمين، والصفحة التي يمكنها من خلالها إرسال الرسائل إلى جميع الرجال.

قلت وأنا أقترب أكثر: «هناك الكثير من الرجال! لماذا لم تردي عليهم؟ ذلك الشخص يبدو وسيمًا جدًّا».

«آه، ذلك الرجل من نوعية المديرين التنفيذيين الناجحين جدًّا، ليس نوعي المفضل!».

عبست: «لماذا لا؟».

قالت، وهي ترفع كتفًا واحدة: «لا أحب أن ألتقي رجالًا يكسبون أكثر مني، هذه واحدة من قواعدي».

سألت، وأنا أتفكر في الأمر: «ما القواعد الأخرى؟».

بدأت تعدها على أصابعها، وهي تقول: «لا بد أن يكون رياضيًّا، لا يعمل في مجال استشارات الشركات أو الاستشارات المالية، يجب أن يجيد الرقص، وأن يكون جذابًا جدًّا، لا يمكن أن يكون له اسم عائلة غريب، يجب أن يحب القطط، لا يمكن أن يكون مرفهًا أو لديه أبوان غنيان، لا بد ألا يكون لديه اهتمامات مملة مثل السيارات ولعب السهام، يجب أن يكون مؤمنًا بحقوق النساء، وأعني مؤمنًا حقيقيًّا وليس فقط عندما يناسبه، يجب أن يتقبل وجود جايمي؛ طفلتي».

قلت، منحرفة عن الموضوع رغمًا عني: «أوه! احكي لي عن ابنتك».

قالت بي، وهي تتصفح هاتفها بسرعة حتى عجزت عن متابعتها: «جايمي، إنها مع والدها، الليلة». ظلت تتصفح صورًا بهاتفها، وأخيرًا توقفت عند صورة لفتاة صغيرة ذات شعر بني داكن قصيرًا، مبتسمة للكاميرا عبر نظارات ذات إطار عريض. ثم قالت بي بفخر: «ها هي».

«ما أجمل هذه الفتاة!». ذاب قلبي؛ ليس فقط بسبب جمال الطفلة رغم أنها جميلة جدًّا، ولكن بسبب التعبير المرتسم على وجه بي. المرأة متيمة بهذه الطفلة، يمكنك أن ترى ذلك في عينيها خلال ثوان معدودة.

قالت بي: «ستصبح بطلة عالمية في التنس، إنها بالفعل الأفضل في فئتها العمرية بالنادي».

«يا إلهي».

ثم أضافت بي: «كما أنها تحب الديناصورات وتقرأ عن الدماغ، وهي نباتية، وهذا مزعج حقًّا».

قلت بتعاطف: «أوه، نعم، صديقتي كاثلين تعاني ذلك أيضًا».

«عذرًا، مم تعاني؟».

«النباتية».

ضحكت بي، لديها ضحكة ساحرة. عند سماع ذلك، ورؤية وجهها عندما تحدثت عن جايمي، شعرت فجأة بأنني أعرفها أفضل بكثير وأحبها أيضًا. هذه هي مشكلة اللقاءات العاطفية على الإنترنت، فيما أعتقد. لا توجد طريقة لكي يسمع أي شخص ضحكتك أو يرى عينيك عندما تتحدث عن شيء تحبه.

شاهدت بي وهي تتصفح المزيد من صور ابنتها، وقلت لنفسي: قد لا أعرف شيئًا عن اللقاءات العاطفية على الإنترنت، لكن أعتقد أنني يمكنني القيام بعمل أفضل في العثور على رجل لبي، أفضل من بي نفسها.

مددت يدي نحو دفتر مشاريعي الجديد. لقد اشتريت واحدًا من متجر سميثز أمس - لأنني تركت دفتري مع لينا في هاملي.

تجميل المنطقة المشتركة هو أهم شيء في قائمتي. تحدثت مع مارثا عن الأمر، هذا الصباح، وقد تحمست جدًّا وبدأت تعرض لي خرائط ألوان الطلاء وهي في طريقها للخروج من الباب. أعلم أن الأمور هنا مختلفة قليلًا، لكن لا أستطيع إلا أن أعتقد أن هذا المبنى بحاجة إلى القليل من المشاركة المجتمعية.

أسفل هذه الملاحظة، كتبت بعناية: البحث عن رجل لبي.

قالت بي: «أوه، يبدو أن الممثل ذا الشعر الفضي رد عليكِ!». أدارت الحاسوب نحوي.

سألت بفضول: «حقًّا؟»، ومددت يدي لقراءة الرسالة.

تود أوف ستيدج: مرحبًا إيلين، الآن أنا أكثر فضولًا من أي وقت مضى. فكرة مثيرة جدًّا! كيف تجد حفيدتك الحياة في الريف؟ وكيف تسير الأمور معكِ في لندن؟ هل تجد أي منكما صعوبة في التأقلم مع الوضع الجديد؟

ابتسمت وبدأت الكتابة:

إيلين كوتون 79: لم تتواصل معي حفيدتي حتى الآن، مما يعني أن الأمور تسير على ما يرام، أو أنها أحرقت المنزل! أما أنا فأجد صعوبة بعض الشيء في مجاراة إيقاع الحياة بلندن والتعامل مع مساحتها الهائلة، ولا أعرف من أين أبدأ استكشافها!»

علقت بي: «أوه سيدة كوتون، كم أنتِ بارعة!».

تود أوف ستيدج: حسنًا، لقد عشت في لندن لخمسة وستين عامًا... لذلك إذا أردت مساعدة خبير، فيسعدني أن أريك بعض الأماكن التي تستحق الزيارة؟ ويمكننا أن نبدأ بتناول القهوة، إذا أردت.

مددت يدي إلى لوحة المفاتيح لكن بي منعتني قائلة: «اجعليه يحاول إقناعك أكثر».

رفعت عيناي في تململ وقلت: «هذه الألاعيب غير المنطقية تناسب الصغار أكثر!».

إيلين كوتون 79: سيكون ذلك رائعًا. ما رأيك بيوم الجمعة؟

# 11 لينا

في عصر يوم الجمعة، والهدوء يعم المنزل، إلا من أصوات آنت وديك وهما يتلويان بين قدمي، جلست إلى حاسوب الجدة، وقمت بتسجيل الدخول إلى دروب بوكس، حيث يوجد كل شيء يخصني: بي آند إل للاستشارات، وإستراتيجية التسعير، وأبحاث السوق، والعمليات والخدمات اللوجستية. استقررت في مكاني، ولم ألمس أي شيء، أعدت فقط قراءة كل شيء مرة أخرى. في النهاية، تعمقت كثيرًا حتى فقدت إحساسي بالوقت. كان اجتماع مراقبة الحي في الخامسة، لذا توجب علي أن أقود الدراجة التي أخرجتها من سقيفة الجدة المليئة باللبلاب بسرعة، وكدت أسقط عند الانعطاف إلى شارع لين السفلي.

لم أدرك إلا عند دخولي باحة القرية، أنني لست متأكدة تمامًا مما يعنيه مصطلح مراقبة الحي. هل نحارب الجريمة؟ هل هذه مجموعة مجتمعية لمكافحة الجريمة؟

ألقيت نظرة على الحشد المتنوع الذي تجمَّع في وسط الباحة، وخلصت إلى أن هؤلاء الأشخاص إما يرتدون أفضل أزياء أبطال خارقين على الإطلاق، أو لا يمكن أن تكون هذه لجنة لمكافحة الجريمة. هناك رولاند المنظم مفرط الحماس في البحث، وبيتسي التي ترتدي وشاحًا زهريًّا زاهيًا، وتضع أحمر شفاه باللون نفسه، وترتدي بنطالًا واسعًا، والدكتور بيوتر الذي أصبح أكثر بدانة مما كان عليه في طفولتي، فيما أتذكر، لكنه لا يزال الرجل الذي خاط ركبتي عندما كنت في التاسعة، وأخرج مرة حبة بازلاء جافة من أذن كارلا.

ثم هناك امرأة صغيرة الحجم تبدو كأنها أَبه بأعواد ثقاب، ورجل ذو شارب مائل أعرف أنه باسيل المتعصب، وامرأة شابة تبدو متعبة جدًّا وعلى كُمها، فيما أعتقد، قيء طفل.

قالت هذه المرأة، متتبعة نظري إلى ذراعها: «أوه، تبًّا، كنت أنوي تنظيف ذلك بالفعل».

قلت، وقد مددت يدي لمصافحتها: «لينا».

ردت: «كاثلين». كان شعرها به خصلات تحتاج إلى إعادة صبغة، وهناك بعض من معجون الأسنان الجاف على ذقنها - بدا عليها أنها أم منهكة جدًّا. لم يسعني إلا أن أتساءل لماذا أزعجت نفسها بالحضور إلى هذا الاجتماع بدلًا من، لا أعلم، أخذ قيلولة ربما؟

قالت السيدة الصغيرة: «أنا بينيلوبي». ومدت يدها بالطريقة التي قد يمد بها أحد أفراد العائلة المالكة يده، إذ مدت ظهر يدها أولًا، كما لو كان من المفترض أن أقبِّلها.

في حيرة من أمري، صافحتها.

توقفت بيتسي للحظة عندما رأتني. ثم أخيرًا أعطتني ابتسامة صادقة.

قالت: «مرحبًا لينا، لم أكن متأكدة من مجيئك».

قلت: «وكيف لا أجيء؟ لقد أحضرت اللافتة أيضًا».

قال صوت قادم من المدخل: «هل هناك متسع لشخص آخر؟».

قالت بيتسي مبتهجة: «يا لها من مفاجأة سارة! جاكسون، لم أكن أدرك أنك ستتمكن من الحضور، اليوم!».

رفعت رأسي وشعرت باحمرار وجهي. دخل جاكسون وهو يرتدي قميص رجبي وقبعة قديمة بالية. كنت في حالة فوضى كبيرة عندما رآني آخر مرة، في كل مرة أتذكر نفسي وأنا متعرقة ومغطاة بلعاب الكلب على عتبة منزله، تغمرني الرغبة في العودة مباشرة إلى لندن. حاولت أن أنظر في عينيه، لكنه كان منهمكًا: كل السيدات المسنات انجذبن إلى جاكسون، وقد أصبح يمسك امرأة على كل ذراع. حثه باسيل على تناول كوب من الشاي. لاحظت بانزعاج أنه لم يعرض عليَّ أحد كوب من الشاي حتى الآن. ليست هذه علامة جيدة، أليس كذلك؟!

سألت بيتسي: «حسنًا، الآن وقد جاءت لينا أخيرًا، هل نبدأ؟».

قاومت الرغبة في الإشارة إلى أنني لم أكن آخر من وصل، بل جاكسون، لكن الجميع كانوا مشغولين جدًّا بتمرير البسكويت لجاكسون، لذا لم يكن ليلاحظني أحد. «رجاء، الجلوس من فضلكم!».

من الصعب ألا أتألم وأنا أشاهد كبار السن في الغرفة وهم يجرون أنفسهم أمام كراسيهم ثم يبدأون ببطء، ثم يكتسبون السرعة، ينحنون عند الركبتين بأفضل ما يمكنهم حتى يهبطوا في مكان ما على مقاعدهم مع صوت خبط.

قال رولاند، بينما أحني نفسي للجلوس: «عادة ما يجلس جاكسون هنا».

تجولت بنظري، ولا أزال في وضع القرفصاء: «آه. جاكسون، هل تمانع إذا ...».

لوح جاكسون بمودة بيده الكبيرة، وقال: «بالطبع فلتجلسي».

قال رولاند بصرامة، بينما لامست مؤخرتي المقعد: «لا، لا، لا، هذا مقعد جاكسون».

ضحك جاكسون: «رولاند، لا بأس».

احتجَّ رولاند: «لكنك تفضِّل هذا المقعد!».

«بإمكان لينا الجلوس مكاني».

قالت بينيلوبي لبيتسي: «يا له من شاب لطيف!».

ردت بيتسي وهي تعقد يديها فوق صدرها: «مممم... وقد كان لطيفًا جدًّا بشأن حادثة الكلب أيضًا، أليس كذلك؟».

كززت على أسناني واعتدلت في جلستي، ثم اقترحت قائلة: «إليكم فكرة. ماذا لو قمنا جميعًا بتبديل المقاعد، لنرى كيف يغير ذلك آراءنا وتفضيلاتنا؟ ستندهشون من مقدار

الفرق الذي سيحدثه ذلك».

حدق الجميع بي ببرود، باستثناء جاكسون، الذي بدا لي كأنه يحاول جاهدًا ألا يضحك.

ثم أعلن باسيل بحزم: «هذا هو المكان الذي أجلس فيه، ولا أريد تغيير مكاني، شكرًا جزيلًا. أنا أحب المكان هنا».

«أوه، لكن ...».

علق رولاند: «هل تعرفين كم كان من الصعب علي الجلوس على هذا الكرسي، أيتها الشابة؟».

«لكن يمكنني مساعدتك في الجلو...».

أكمل باسيل: «بالإضافة إلى أن هذا الكرسي هو الأقرب إلى حمام الرجال».

قالت بينيلوبي: «نعم، وعندما يحتاج باسيل لقضاء حاجته، فإنه يفعل ذلك على الفور، عزيزتي لا يوجد مجال للتبديل».

عقبت: «حسنًا. فهمت».

بدوا مسرورين. لقد هزموني في محاولتي القيام بتدريب بسيط في التغيير الإداري، بحديثهم عن التحكم في المثانة.

علقتُ قائلة: «من الأفضل أن تحصل على مقعدك أنت أيضًا يا جاكسون»، واتجهت إلى كرسي آخر. من الأفضل للمرء اختيار معاركه، فهذه المعركة لا تبدو المعركة التي قد يحب المرء أن يموت فيها.

قال جاكسون بهدوء: «أنا حقًا لا أمانع أن تجلسي مكاني».

قلت بحدة أكثر مما ينبغي: «لا، لا، استمتع بالجلوس في كرسيك المفضل. أنا بخير تمامًا هنا».

بمجرد أن بدأنا، وجدت نفسي أقضي معظم الاجتماع في التفكير في ماهية الهدف منه، وهذا شعور ليس بجديد - إذ أستطيع القول إن 80% من اجتماعات العملاء التي أحضرها تمضى معي بهذه الطريقة، لكن هذا جعل من الصعب المشاركة في النقاش.

الشيء الذي أربكني أكثر من غيره في هذا الاجتماع هو غياب أي ذكر لجرائم، فحتى الآن تحدثنا عن: شطائر اللحم المقدد (اكتشف رولاند أن مطعم مابل في العقار رقم 5 بشارع بيويت يصنع شطائر ممتازة، لذا عاد إلى مقاطعة جوليز، الذي أعتقد أنه مقهى يقع في كنارجيل)، والسناجب (باسيل معادٍ لها جدًا)، وما إذا كانت البطاطس تسبب السمنة (أعتقد أن شطائر اللحم المقدد هي التي يجب أن يقلقوا بشأنها حقًا). ثم قضي الجميع عشرين دقيقة في الشكوى من فِيرس بلاندون؛ وهي قرية محلية تسببت، على ما يبدو، في إحداث فوضى بالمنطقة، عن طريق تحريك سياج مُزارع بمقدار نصف متر إلى اليسار لتعبر عما يعتقدون أنه الحدود بين دور العبادة المختلفة. فقدت التركيز قليلًا عند هذه المرحلة وصببت تركيزي على البسكويت.

ألقيت نظرة على جدول الأعمال، فوجدت أنه تبقت نقطة واحدة فقط لمناقشتها قبل أن نصل إلى بند «هل هناك أي جرائم؟»، والذي أفترض أنه سيغطي بعض الجرائم الفعلية، في النهاية.

قالت بيتسي: «أوه نعم، هذا كان أحدث مشروع تبنته إيلين، أليس كذلك؟» إذن ستتولينه أنتِ يا لينا، صحيح؟».

«عفوًا؟». سألت، وأنا في منتصف القطعة المائة من البسكويت، على الأرجح، في هذا الاجتماع.

قرأت بيتسي: «مساعدة كبار السن والمعزولين في كنارجيل عن طريق توفير وسائل النقل». «لست متأكدة كيف خططت لتحقيق ذلك، لكن ...». نظرت بيتسي بترقب نحوي.

فكرت قليلًا، ثم بدا لي الأمر بسيطًا جدًّا، في النهاية.

سألتهم: «كم واحدًا منكم لديه سيارة؟ غير جاكسون وبيوتر وكاثلين، بالطبع، لأنه لا وقت متاح لديهم، لكن الباقين منكم متقاعدون، أليس كذلك؟ هل يمكنكم التفرغ لقيادة السيارة كل يومين؟».

نظر الجميع إليّ بقلق شديد باستثناء جاكسون، الذي بدا أكثر استمتاعًا بالاجتماع من أي وقت مضى.

سألت بيتسي: «إلى أين تعتقدين أنه سيكون من المناسب اصطحابهم في رحلة قصيرة؟ ليدز بعيدة جدًّا، لكن ربما ديريديل؟ ما رأيكم؟».

عم الصمت لفترة طويلة، وفي النهاية، أظهر دكتور بيوتر شفقته عليّ.

فتحدث قائلًا: «آه يا لينا، معظم الفريق هنا... رغم أن الكثير منهم يمتلكون سيارات». قال هذا بنبرة استسلام طفيفة «إلا أنه من غير المستحسن أن يقودوا سياراتهم حتى ديريديل».

قالت بيتسي: «هذا لا يعني أننا لا نستطيع، فما زلت أحمل رخصة قيادة، كما تعلمون».

أضافت بينيلوبي بسرور: «والدكتور بيوتر لا يمكنه منعي من القيادة حتى أُصاب بالخرف رسميًّا».

عقبت: «آه، هذا صحيح. حسنًا، كنت أنوي البحث عن سيارة لنفسي منذ فترة، على أي حال، بما أن سيارة جدتي...».

استفسرت بيتسي: «خارج الخدمة؟».

علق باسيل في الوقت نفسه: «متضررة بشكل لا يمكن إصلاحه؟».

«هل لدى أي منكم سيارة يرغب في إعارتي إياها أثناء وجودي هنا؟».

ساد صمت.

قلت لبينيلوبي بأمل: «بينيلوبي! هل يمكنني استعارة سيارتك بين الحين والآخر؟». بدت لي الخيار الأفضل، الرجال لن يفعلوا شيئًا، ومن المؤكد أنني لن أحصل على أي دعم من بيتسي.

«أوه، لكن أنا ... حسنًا، ما زلت ...» توقفت بينيلوبي عن الكلام، ثم قالت بنبرة محايدة: «حسنًا، أعتقد أنه بإمكانك استعارتها».

عقبت: «رائع، شكرًا لك يا بينيلوبي!».

وانتظرت حتى تبتعد قبل أن أغمز للدكتور بيوتر بسرعة، وقد رفع لي إبهامه، بالمقابل، مصدقًا على قراري.

إذن فقد نلت استحسان الدكتور بيوتر، على الأقل، وسيارة.

قالت بيتسي وهي تصفق: «هذا كل شيء إذن! لننتقل إلى... عيد مايو! أعلم أن هذا ليس اجتماعًا رسميًا للجنة الاحتفال، لكن بما أن اللجنة كلها حاضرة، وهناك بعض الأمور المُلحة التي لا يمكن تأجيلها حتى الاجتماع المقبل، فلعلنا نتناول أمرًا أو اثنين هنا؟».

وافق الجميع. أنا متأكدة تمامًا أن لجنة عيد مايو تتكون من الأشخاص أنفسهم الذين يشكلون لجنة مراقبة الحي، لذا يمكنني أن أقترح أن عقد اجتماعين منفصلين ليس ضروريًا تمامًا. وبعد إعادة التفكير قررت ألا أبادر باقتراحاتي مرة أخرى.

«نمط موحد للديكور والأزياء! أفترض أننا جميعًا موافقون على اقتراح جاكسون؟ النمط الاستوائي؟».

قلت، قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي: «استوائي؟».

أدارت بيتسي كرسيها لتحدق إليَّ بحدة، وقالت: «نعم يا لينا. استوائي!.. إنه مثالي لمهرجان ربيعي مشمس، ألا تعتقدين ذلك؟»

«حسنًا، أنا...».

ألقيت نظرة حولي على الجالسين، ثم نظرت إلى جاكسون، الذي رفع حاجبيه قليلًا، كما لو يقول، ممم تابعي.

«أنا لست متأكدة من أنه النمط الأنسب لنقاط قوة المكان. ما سيجذب الناس إلى هذا المهرجان هو كونه مهرجانًا قرويًا له هويته المميزة، ومهرجانًا يمكنهم اصطحاب أطفالهم إليه، لكن أن يحمل طابعًا استوائيًّا سيجعله يبدو كأنه... مثل سهرة في كلابْهام».

وجدت نفسي محاطة بدائرة من النظرات المتسائلة.

ثم قالت بيتسي ببرود: «اقترحي طابعًا بديلًا من فضلك يا لينا».

ألقيت نظرة أخرى على جاكسون، فوجدته يميل إلى الوراء في كرسيه بذراعين معقودتين. وشت هذه الجلسة بالكثير من الثقة والغرور، ما جعلني ألغي خطتي بأن أحاول عرض وجهة نظري على المجموعة تدريجيًا، وأسعى، بدلًا من ذلك، إلى عرضها بشكل مباشر وصريح.

قلت، وفي ذهني مسلسل لعبة العروش، الذي كنت انكببت على مشاهدته مجددًا منذ وصولي إلى هاملي: «ماذا عن طابع قروسطي؟». لطالما سَخِر إيثان من حرصي على جمع مسلسلاتي المفضلة على أقراص دي في دي، لكن من الواضح أنني محققة الآن بعد أن

أصبحت في أرض إنترنت السلحفاة.أكملت: «يمكننا تقديم مشروب العسل، وجلب رواة قصص الأطفال، ويمكن للمتوجين بلقب ملك وملكة عيد مايو ارتداء ثياب جميلة بأكمام واسعة وأكاليل زهور، مثل الملك آرثر والملكة جوينيفير». لم أكن متأكدة حقًّا من أن الملك آرثر ينتمي إلى العصور الوسطى، لكن هذا لم يكن وقت التحذلق. أكملت: «ويمكن أن ننظم عروض لهواة الصقور وصقورهم وعروض مبارزة، ونجعل الموسيقى مقتصرة على القيثارة والعود. بمقدوري أن أتخيل أكاليل الزهور تتدلى من أعمدة الإنارة، والأكشاك تفيض بالفواكه الطازجة والحلويات، ومواقد في العراء، وحفلات شواء في الهواء الطلق...».

عقبت بيتسي: «مم. حسنًا، هل نُجري تصويتًا إذن؟ خطة لينا لإعادتنا جميعًا إلى العصور الوسطى، أم فكرة جاكسون التي استقر عليها الجميع إلى حد كبير، الأسبوع الماضي؟».

أطلقت ضحكة غير مصدقة، وقلتُ: «صيغة السؤال منحازة يا بيتسي».

قالت بيتسي متجاهلة إياي عن عمد: «ارفعوا أيديكم إذا أردتم التصويت لفكرة لينا».

نظر الجميع إلى بعضهم بعضًا، ولم يرفع أحد يده.

قالت بيتسي: «والآن ارفعوا الأيدي للتصويت لفكرة جاكسون».

رُفِعت كل الأيدي.

قالت بيتسي بابتسامة: «حسنًا! محاولة جيدة يا لينا».

قلت: «أعطوني أسبوعين فقط. سأقوم بعملية عصف ذهني مناسبة، وأخرج بأفكار قوية، وأجهز شيئًا لأعرضه عليكم جميعًا. ثم دعونا نصوِّت عليه كما ينبغي في الاجتماع الرسمي لعيد مايو المقبل. فعلى كل، هل يجوز أن نرتب كل ما يخص عيد مايو في اجتماع مراقبة الحي؟».

تلاشت ابتسامة بيتسي.

قال رولاند: «هذه نقطة جيدة، لن يكون هذا لائقًا».

رددتُ: «بالفعل يارولاند، لن يكون لائقًا، بالتأكيد».

عقبت بيتسي: «حسنًا، إذن لديكِ أسبوعان».

ألقيت نظرة خاطفة على جاكسون. من الواضح أن هذه ليست منافسة بيني وبينه، لكنني حققت نقطة لتوي ضده، وأود حقًّا أن يلاحظ ذلك. التفت إليّ، وهو لا يزال جالسًا على كرسيه ورجلاه متباعدتان مثل الرجال الذين يجلسون في المواصلات العامة، ويحاولون بذلك استعراض هيمنتهم الذكورية. بدا مستمتعًا وغير منزعج كما كان طوال الجلسة.

قالت بيتسي: «هذا كل شيء يا رفاق. ولينا، تذكَّري أن تحضري البسكويت في المرة المقبلة».

«بالتأكيد، لا مشكلة».

قال رولاند وهو يومئ لي برأسه في ود: «هذا هو كرسيك، تذكري ذلك أيضًا».

«شكرًا لك يا رولاند، سأتذكر ذلك».

قالت بيتسي: «أوه لينا، أعتقد أنك نسيت إخراج صناديق قمامة إيلين أمس».

تنفست ببطء من أنفي، وأخبرت نفسي أنهم يحاولون المساعدة فقط، على الأرجح.

قلت: «شكرًا لك يا بيتسي. من الجيد أنكِ أخبرتني».

تصاعدت أصوات تحريك الكراسي ووقع الأقدام مع نهوض الجميع من كراسيهم وتوجههم نحو الباب. بجانبي، استيقظت كاثلين بفزع.

انتفضت في كرسيها للتحقق من ساعتها، ثم سألت: «إلى أين وصلنا؟ هل تناقشنا بأمر التغلب على السناجب؟». حدقت إلى وجهي العابس، ثم قالت: «يا إلهي، هل السناجب هي التي تغلبت علينا؟».

# 12 إيلين

هذا لن ينجح! سأتصل بلينا وأخبرها أن تفكيرنا في تبديل حياتنا بهذا الشكل كان سخيفًا، ثم أعود إلى المنزل. يمكننا أن نتناول الشوكولاتة الساخنة ونضحك على الأمر، وسنعود إلى حيث يجب أن نكون ... إلى ذواتنا الأصلية.

كنت مصممة تمامًا على هذه الخطة حتى دخل فيتز غرفة المعيشة.

قال متوقفًا فجأة: «يا إلهي! إيلين! تبدين جميلة!».

أخبرته بحزم وأنا أنحني لأبدأ فك رباط حذائي: «لن أذهب، هذا سخيف».

«أوه، أوه، أوه!». أمسك فيتز حذائي المنزلي من تحت طاولة القهوة قبل أن أتمكن من ارتدائه. قال محذرًا وهو يشير إلى شعري: «لن أتركك تهدرين تصفيفة الشعر الرائعة هذه بالجلوس في المنزل. تبدين كالأميرات يا سيدة كوتون، وعليكِ مقابلة هذا الرجل؛ تودا!».

أخبرت فيتز عن موعدي المرتقب الليلة الماضية - أو بالأحرى هذا الصباح - كنت قد استيقظت لتوي لبدء اليوم، وهو كان عائدًا من سهرة في المدينة. بدا في حالة سيئة - كانت الساعة الخامسة والنصف صباحًا - لذا افترضت أنه لن يتذكر المحادثة التي أجريناها، لكن لسوء الحظ ذاكرته أفضل مما كنت أتمنى.

تحركت بتوتر على الأريكة، وانغرست طيات تنورتي بين فخذي، وتلوى ظهري. قلت: «أنا كبيرة السن جدًا على هذا، لا يمكنني التعامل مع الأمر...» ولوحت بيدي على معدتي.

ابتسم فيتز بخبث، وقال: «ها، متوترة؟».

قلت له: «أوه ، يا له من هراء!». لكنني لم أجد أي رد آخر أفضل.

جلس بجانبي على الأريكة، وقال: «أنا لا أعرفك جيدًا يا إيلين، لكنني أعرف لينا، والانطباع الذي لديَّ هو أن العديد من صفات لينا قد أخذتها منك. ولينا تكره الفشل».

اعترضت: «هذا ليس فشلًا!».

قال فيتز: «أنتِ على حق، عليكِ المحاولة حتى تفشلي. وأنتِ لا تحاولين».

انتفضت في مكاني وقلت له: «أعرف ما تحاول فعله».

«وهل ينجح الأمر؟».

«بالطبع ينجح. الآن أعطني ذلك الحذاء، من فضلك».

كدت أفقد شجاعتي مرة أخرى وأنا في طريقي إلى المقهى، حتى إنني فتحت فمي لأخبر سائق التاكسي بالاستدارة، لكن بينما نشق طريقنا عبر الزحام، مرت امرأة تركب دراجة مع خصلات شعر مموجة وداكنة تحت خوذتها. فكرت في كارلا، كانت ستحب رؤية جدتها العجوز تذهب إلى موعد عاطفي، وأراهن أنها كانت ستخبرني أنه من العار أن أفلت ممثلًا وسيمًا من ويست إند من بين يدي.

حملت كثيرًا هم العثور على تود وسط رواد المقهى، لكن في النهاية لم يكن من الصعب إيجاده. كان يبرز بالطريقة التي يبرز بها الأثرياء في كل مكان: ملابسه تتدلى بشكل مثالي جدًّا على جسده، وبشرة وجه متوهجة كما لو كان يضع مساحيق تجميل.

أوه، كان بالفعل يضع مساحيق تجميل. حسنًا، أنا لم أضع من قبل أي مساحيق... أعتقد أنه ربما جاء للتو من المسرح، ولكن مع ذلك... ترى كيف سيكون رأي ويد في ...

«إيلين؟». سألني تود، فأدركت أنني أتأمل وجهه، وشعرت بأنني خجلي. هذه هي المرة الثانية التي أتورد فيها خجلًا، هذا الأسبوع، يجب أن أسيطر على نفسي.

قلت وأنا أمد يدي لأصافحه: «نعم».

نهض ليسحب لي الكرسي. تحرك برشاقة كبيرة بالنسبة لرجل في سنه، وشممت رائحة عطره وهو يمر بجانبي. تفوح منه رائحة دخان الخشب والبرتقال، وأعتقد أنه ربما يكون بنفس غلاء معطفه الصوفي الداكن.

قال، وهو يستقر على الكرسي المقابل لي بابتسامة: «أنتِ جميلة تمامًا مثل صورتك». أسنانه بيضاء ناصعة.

قلت: «حسنًا، أعلم أن هذا ليس صحيحًا؛ لأن حفيدتي هي من اختارت تلك الصورة، وقد مضى عليها عشر سنوات، على الأقل». تضايقت من نفسي لردي المتحفظ، بينما لم يتوقف تود عن الضحك.

طمأنني: «لم تتغيري ولو قليلًا. قهوة؟».

«أوه ، أنا سأ ...». حاولت الوصول إلى محفظتي، لكنه لوح لي بعبوس وقال: «اتركي الحساب لي، من فضلك. قهوة فلات وايت؟».

«أ ... عفوًا، أرجو المعذرة ماذا قلت؟».

«هل ترغبين في فلات وايت؟».

أخبرته: «ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه».

ضحك بصخب. «أوه، أعتقد أنك ستكونين مناسبة جدًا لي يا إيلين كوتون».

حقًا لا أفهم ما المضحك لكنني ابتسمت، على أي حال، لأنه وسيم جدًا عندما يضحك، ووسيم دائمًا أيضًا. في البداية، وجدت المساحيق التجميلية محبطة بعض الشيء، جعلت

بشرته تبدو غريبة نوعًا ما، حيث ظهرت كلها بلون واحد. لكن في النهاية اعتدت شكله هكذا.

شرح تود وهو يلوح للنادل بيد خبيرة: «الفلات وايت نوع من القهوة. ثقي بي ستحبينه».

قلت: «سأجربها إذن».

طلب تود المشروبات. اتضح أنه شخص ودود، أكثر بكثير مما توقعت، شعرت بأنني أسترخي بينما راح يمزح مع النادل، ويمسح على الشعر المتدلي على جبهته مرسلًا إياه إلى الوراء وهو يتحدث.

قال تود وهو يحول انتباهه إليّ، كاشفًا عن ابتسامة ساحرة تمامًا: «بالنسبة لي، نحن كبار في السن بحيث لم نأت هنا لنعبث. سأكشف كل أوراقي، وأكون صريحًا».

قلت: «أوه، صحيح. حسنًا، وهل ما عندك خير؟».

قال تود: «لا أبحث عن علاقة جدية. لقد تزوجت مرة واحدة من امرأة رائعة حقًا، وكانت أسعد سنوات حياتي، ليس لدي أي رغبة في محاولة تكرارها، لأنه لا يمكن تكرارها».

قلت: «أوه، حسنًا، هذا رومانسي جدًا، في الواقع».

تأثرت إلى حد ما، على الرغم من نبرته الرتيبة وهو يرددها.

ضحك تود مرة أخرى، وقال: «ما أبحث عنه يا إيلين هو بعض المرح».

حدقت قليلًا بعينيه: «بعض المرح؟ حسنًا... بخصوص كشف أوراقنا...»، قرعت على الطاولة بيننا بيديّ، وأكملت: «هل يمكن أن تكون أكثر تحديدًا؟».

مد يده ليمسك يدي عبر الطاولة، وقال بهدوء: «أتسمحين لي؟»

قلت: «نعم»، على الرغم من أنني لم أكن متأكدة تمامًا مما أوافق عليه.

قلب يدي وضغط إبهامه برفق شديد على الجلد الناعم بين معصمي وكفي، وبدأ المسح بحركات دائرية بطيئة ورقيقة.

تسارعت أنفاسي.

قال: «لكي أكون أكثر تحديدًا، أن نستمتع بالقهوة الجيدة والطعام الجيد والشراب الجيد، أريد لنا أن نقضي وقتًا ممتعًا معًا».

قلت له: «ها؟».

أمال رأسه: «أعني، لا أريد أن يربطنا التزام بعينه، أن نقضي وقتًا ممتعًا ويتعرف كل منا على الآخر، طوال إقامتك في لندن ثم نودع بعضنا بلا ندم وتطور الأمور كيفما تشاء الأقدار».

ترك يدي ببطء، وسأل: «ما رأيك في ذلك يا إيلين؟».

تنحنحت: «هذا... يبدو...». فركت راحة يدي المليئة بالوخز باليد الأخرى. في الواقع، كنت أشعر بالوخز في كل مكان. واستغربت أنه لم يستطع سماعي وأنا أصر كأنني مدفأة بدأت للتو التسخين. «يبدو ممتعًا». أنهيت كلامي وعضضت شفتي كي لا أبتسم.

أخبرت لينا، بصوت حازم قاطع: «كان اللقاء لطيفًا جدًا». ثم استلقيت على الأريكة، ووضعت وسادة خلف ظهري، وسألتها: «كيف كان اجتماع مراقبة الحي الأول لكِ؟»

قالت لينا: «أوه، كل شيء على ما يرام، كل شيء على ما يرام. هيا، يجب أن تخبريني بالمزيد عن هذا الرجل الغامض!»

قلت: «النساء لا يفشين أسرارهن العاطفية! ماذا عن ماريان؟ كيف تتعامل مع الأمر؟».

«جدتي! هيا لا تتملصي من الإجابة، عم تحدثتما؟».

رددت: «ولم أتملص؟ تحدثنا في شتى الأمور الحياتية العادية».

قالت لينا بسخرية: «حسنًا، هل أتحدثتما عن أسعار البنزين؟ هل حقًا لن تخبريني بأي شيء عن تود هذا؟».

أجبتها بحزم: «لا، لا أعتقد ذلك».

أخبرت فيتز بكل شيء، لكنني جعلته يُقسم على السرية، وقال إنه لن يخبر لينا بأي شيء. أنا فقط لا أريد حقًا مناقشة علاقتي الجديدة مع حفيدتي.

قالت لينا على مضض: «حسنًا، أنا من طلبت منكِ أن تقومي بشيء يسعدك بالفعل. جدتي... هل يمكنني أن أسألك شيئًا؟».

«بالطبع».

«هل حدث شيء لأمي؟ شيء لم تخبريني به؟».

سألتها بحذر: «ماذا تعنين؟».

«ذكرت شيئًا عن نوبات».

أغمضت عيني وقلت: «آه».

«ماذا حدث؟».

«لقد مرت ببعض... الإحباطات».

ترددت لينا قائلة: «الإحباطات مثل البكاء في الحافلة؟ أم إحباطات مثل اضطرارها للذهاب إلى الطبيب؟».

قلت: «الثانية يا حبيبتي».

«كيف لم تخبريني بذلك؟!».

«لقد كنت أخبرك دائمًا بأنها تعاني يا لينا».

«نعم، لكنني اعتقدت أنك تقصدين... اعتقدت أنها كانت... لم أدرك أنها كانت تعاني انهيارات».

«رأيت أن الأفضل أن تخبرك بنفسها، إذا أرادت هي ذلك. لم أرد التدخل».

«وعندما تركتِني هنا لرعاية أمي، لم تعتقدي أنه يجدر ذكر أنها قد تتعرض لإحدى هذه النوبات في أي لحظة؟ ماذا يحدث؟ هل أحتاج إلى متابعتها بشكل أكبر؟ ما مدى سوء حالتها؟ ماذا قال الطبيب؟».

فركت قصبة أنفي: «أعطاها الدكتور بيوتر بعض الأقراص منذ شهرين».

«مضادات اكتئاب؟».

«أعتقد ذلك».

«هل تتناولها؟».

«أعتقد ذلك».

«حسنًا... حسنًا... يا إلهي، يا جدتي. الأمر... أنا أقدر عدم رغبتك في التدخل، لكن... أتمنى لو أنك أخبرتني».

«هل كان ذلك سيغير شعورك؟ هل كنت ستعودين إلى المنزل في وقت أقرب؟».

مر صمت طويل.

«أود أن أعتقد ذلك، لكنني أعلم أنني كنت... أتصرف بغرابة بعض الشيء بشأن أمي في الآونة الأخيرة. لكنني أريد أن تتحسن الأمور. قالت بي إنني لست في حالتى الطبيعية، وهي على حق، وأعتقد أن السبب جزئيًّا هو، كما تعلمين، المسافة بيني وبين أمي، كم تغضبني... أريد أن أصلح ذلك. من أجلي أنا، وكذلك من أجلها».

ابتسمت قليلًا، حسنًا، إذا كان التدخل مسموحًا به الآن...

«إنها تريد ذلك أيضًا يا حبيبتي، إنها تفتقدك بشدة».

تنهدت لينا، وسادت لحظة صمت، ثم: «يجب أن أذهب الآن، يا جدتي هناك رجل يتصل بهاتفك المحمول ليتحدث معي عن عروض الصقور».

قلت: «عفوًا؟»، لكنها كانت قد أغلقت المكالمة، بالفعل.

تنهدت، وقد شعرت بالقلق على ماريان أكثر من أي وقت مضى.

كنت على وشك إيقاف تشغيل هاتف لينا عندما ظهرت رسالة أعلى الشاشة. كانت من امرأة تدعى سيسي. أنا متأكدة أن لينا ذكرتها أمامي من قبل. ألم تكن تلك المرأة البغيضة والساخرة زميلتها بالعمل؟

كانت الرسالة كالتالي: «مرحبًا لينا! أردت فقط أن أخبرك أن مشروع أبجو يسير على ما يرام حقًّا في غيابك، وينتقل من نجاح إلى نجاح، في حال كنت قلقة بشأنه! أخبريني إذا كنت ستكونين في لندن قريبًا، شكرًا».

عبست. لا تحتاج لينا إلى أن تتذكر مشروع أبجو، ولم تعط سيسي رقم هاتفها الجديد، مما يعني أنها لم ترغب في التواصل معها أثناء غيابها. أذكر أن لينا وصفت هذه المرأة بأنها حقودة لا تُضمر إلا النوايا السيئة. لدى إحساس بأنها لا تهتم بمصلحة لينا. تنهدت وأغلقت الرسالة.

شعرت بالقلق بعد تلك المكالمة الهاتفية مع لينا؛ فبحثت حولي عن شيء يشغلني. وقعت عيناي على أطباق فيتز المتسخة، ثم لاحظت حاسوب لينا المحمول على طاولة الإفطار وشعرت بالحماسة. ربما يكون تود متاحًا للتحدث.

كانت هناك رسالة جديدة تنتظرني على موقع اللقاءات العاطفية، لكنها من شخص جديد.

فتى الريف العجوز: مرحبًا يا إيلين. أتمنى ألا تمانعي... قولي مرحبًا؟

صورة ملف فتى الريف العجوز كانت صورة له عندما كان شابًّا، مرتديًا قميصًا أبيض فضفاضًا وقبعة على رأسه. كان وسيمًا حينذاك، لكن هذا لا يعني الكثير الآن. ومع ذلك، لا أهتم كثيرًا بالوسامة. بعد كل شيء، تمتع ويد بفيض من الوسامة، وانظر كيف انتهى بنا الأمر.

إيلين كوتون 79: بالطبع لا أمانع! أنا على هذا الموقع للتعرف على الناس.

ترددت، ثم، بعد لحظة من التفكير، أضفت وجهًا مبتسمًا، كما تفعل لينا عندما ترسل رسائل نصية. أعتقد أنني بالغت قليلًا في التجاوب والغزل، لكن لم لا، أليس كذلك؟ فأنا وتود لا يربطنا أي التزام، على أي حال.

وما كانت إيلين كوتون في العشرينيات من عمرها لتفعل أقل مما فعلت الآن.

# 13 لينا

قال إيثان: «هل أنت متأكدة أنك لا تودين شراء كعكة جاهزة لهم وتوفرين على نفسك العناء؟».

كنت أحاول موازنة الهاتف فوق خلاط الجدة العتيق، بينما أحاول خبز كعكات البراونيز لنيل حب المجموعة. قررت أن يكون رولاند وبينيلوبي أول أهدافي، في سعيي لكسب لجنة يوم مايو إلى جانبي، للموافقة على اقتراحي الخاص بالقرون الوسطى. إذا كان الفريق متحدًا ضدك، فإن أفضل نهج هو فَرِّق تَسُد، وقد استشعرت ضعفًا في تصميم بينيلوبي. وبعيدًا عن تأثير بيتسي، أعتقد أنها قد تكون ودودة. إذ سمحت لي باستعارة سيارتها، بعد كل شيء.

«لا! أنا أعيش حياة ريفية شاعرية هنا في هاملي، أتذكر؟ والخَبز نشاط شاعري وريفي جدًّا». انزلق السكين عبر كتلة الزبد الباردة وجرحني في إبهامي. حاولت بجهد كبير ألا أشتم؛ حتى لا أفسد الجو العام الذي أحاول أدعاء وجوده هنا أسيطر على كل شيء».

قال إيثان بلطف: «لكن الخَبز أيضًا صعب جدًّا، خاصة إذا لم تكوني قد قمتِ به من قبل».

أخبرته وأنا أحملق في النسخة المطبوعة بجانب وعاء الخلط وأمص إصبعي الذي يؤلمني: «لديَّ منشور جامع وشامل من مدونة هنا أسترشد به». فتحت كيس الدقيق فتمزق، مما جعل الدقيق يسقط على بنطالي الجينز.

«يا إلهي!».

«عزيزتي، بالله عليك. يكفيكِ أن تشتري بعض الكعكات، ضعيها على طبق، وافعلي شيئًا ممتعًا بدلًا من ذلك. لقد كنت أحدق لتوي في مصفوفة تتبع متطلبات النظام لساعات ولم

أصل إلى شيء. هل ترغبين في مساعدتي بشأن ذلك؟».

مسحت بنطالي. في الواقع، لا أرغب حقًا في العمل على شيء كهذا. كم كان جميلًا - لدهشتي - أن أنسى سيلماونت وأنا هنا، فضلًا عن أنني لا أحب مصفوفات تتبع متطلبات النظام.

قلت بتردد: «هل تمانع إذا لم أفعل؟... آسفة، أشعر فقط بأنني بحاجة إلى استراحة».

«واو، ترفضين العمل على جدول بيانات! هذه هي المرة الأولى التي ترفضين فيها شيئًا يخص العمل».

«آسفة!».

«لا داعي للأسف يا فتاة. عليّ أن أذهب الآن... هذا العمل سيستغرق ساعات إذا قمت به بمفردي».

«أوه، صحيح. آسفة، ستأتي في نهاية هذا الأسبوع، أليس كذلك؟».

«نعم، بالتأكيد، إذا استطعت الانتهاء من مهامي.. حسنًا يا عزيزتي، سنتحدث قريبًا!».

«جيد...».

أوه، كان قد أنهى المكالمة بالفعل.

في ذلك المساء، فتحت بينيلوبي الباب وحدقت بشدة في طبق كعك البراونيز الذي دفعته نحوها.

قالت: «ممم... مرحبًا؟».

«مرحبًا! لقد صنعت كعكات!».

اعتمدت هنا على مبدأ حُسن النية، لأن هذه الكعكات كانت محروقة بوضوح.

«حسنًا، أنا خبازة سيئة جدًا، لكنني أردت حقًّا أن أحضر شيئًا لأشكرك على السماح لي باستخدام السيارة».

حدقت بينيلوبي فيَّ بلا تعبير، لوهلة. ثم صاحت بصوت عالٍ، لدرجة أنني جفلت: «رولاند!». قالت بعد أن لاحظت ذلك: «آسفة... إن سمعه ضعيف، كما تعلمين. رولاند! رولاند! ابنة ماريان هنا، تريد التحدث عن السيارة!».

اقترحت بينما تصيح بينيلوبي خلف كتفها: «ربما يمكنني الدخول والتحدث معكما؟». لديها حنجرة قوية بالنسبة لامرأة صغيرة وهزيلة المظهر.

قالت بينيلوبي، وقد بدا أنها لا تريد السماح لي بالدخول «إممم...».

نادى صوت مألوف من داخل المنزل: «بينيلوبي يا عزيزتي! تعالي وانظري إلى هذه الكوكتيلات الاستوائية التي صنعها جاكسون، إنها شهية جدًّا!».

كان ذلك بالتأكيد صوت بيتسي.

ففر فمي رغمًا عني دهشة، ثم ظهر جاكسون في الردهة خلف بينيلوبي.

قال: «أوه، مرحبًا». كان يحمل الكوكتيل، أعتقد أنه كان يتكون من مختلف المشروبات، حتى إن هناك مظلة صفراء صغيرة تعلوه.

المظلة الصفراء الصغيرة تتطلب تخطيطًا.

«هل تعقدون اجتماعًا لتحضير يوم مايو دوني؟». قلتها مثبتةً عينيّ عليه بنظرة فولاذية؛ تلك التي أحتفظ بها عادةً للرجال الذين يُضبطون متلبسين بالتطفل في المترو.

تراجع جاكسون قليلًا، وهو يقول: «لا، لا، لا، حقًا لا. أنا فقط أحضر شايًا لبينيلوبي ورولاند، أفعل ذلك كل أسبوع، وأحيانًا يأتي باسيل وبيتسي، وكنا فقط... نتحدث عن الكوكتيلات».

«كنتم تتحدثون فقط، أليس كذلك؟».

قالت بينيلوبي: «لماذا لا تدخلين يا لينا؟».

دخلت المنزل. بدا من الداخل مثل كبسولة زمنية من الستينيات: سجادة بنقوش خريفية بالألوان البرتقالية والبنية، لوحات زيتية داكنة، وثلاث بطات خزفية تحلق بموازة جدار المدخل وتتجاوز مصعد الدرج. الجو حار خانق ويفوح برائحة النباتات العطرية والمرق.

وجدت رولاند وبيتسي وباسيل وبينيلوبي جالسين حول طاولة الطعام، كلهم يمسكون كوكتيلات مزينة بمظلات ملونة وشرائح الأناناس.

قلت، بأقصى درجة من اللطف تمكنت من استحضارها: «مرحبًا، إذن، ماذا لدينا على القائمة، الليلة؟».

قال جاكسون وهو يغيب داخل المطبخ: «شواء فقط».

أوه، بالطبع، شواء!

أكمل: «وكعكات براونيز للتحلية».

أنا ممتنة لأنه لم يعد بإمكانه رؤية تعبيرات وجهي؛ لأنني واثقة من أنني لم أتمكن من إخفاء استيائي من هذا الخبر. وضعت بهدوء طبق الكعكات المحروقة على الخزانة بجانب باب غرفة الطعام، وأنا أتساءل عما إذا كان هناك مكان يمكنني إخفاؤها فيه حتى لا يراها جاكسون. هناك وعاء نبات كبير جدًا. يمكنني أن أضع الكعكات حول الساق هناك وتتماهى مع التربة.

سألت بينيلوبي، وهي تعود إلى مكانها على الطاولة: «ما الذي أردت التحدث عنه، عزيزتي؟».

قلت، بعد لحظة من محاولة تذكر القصة التي اخترعتها كعذر مزيف بدلًا من جلب كعكاتي المحروقة: «السيارة».

سأل رولاند: «أوه، نعم. هل تؤدي غرضها كما ينبغي؟».

أجبت كاذبة: «نعم، أردت فقط أن أشكركم... إنها رائعة».

تلك السيارة كانت عبارة عن خردة، اكتشفت، في الأسبوع الأخير من قيادتها، أن مكيف الهواء بها يغير درجة حرارته دون سبب واضح، من حرارة الساونا إلى البرودة القارسة، والعكس طوال الوقت، ومهما قرأت من كتيبات إرشادية على الإنترنت، لا أعرف السبب. وقد جعلت مني هذه السيارة سائقة أكثر خطورة من ذي قبل! فعلى سبيل المثال، أنا الآن أبدل ملابسي بانتظام أثناء القيادة.

ضحك باسيل: «لنأمل من أجل بينيلوبي أن تكوني أفضل من إيلين في ركن السيارة».

عبست، لكن بيتسي ردت قبل أن تتاح لي الفرصة.

قالت متهكمة: «على الأقل لدى إيلين ما يكفي من الحس السليم لربط أربطة حذائها قبل أن تسير في الشارع يا باسيل».

عبس باسيل، وفرك ركبته، وهو يقول: «سقوطي في تلك المرة ليس بالأمر المضحك، شكرًا. ولم تكن أربطة حذائي السبب، بل كانت الحفر في شارع لين السفلي. ستكون سبب موتنا، أعلم أنهاستتسبب في قتلنا».

علق رولاند: «هذا صحيح، كنت على وشك السقوط بدراجتي هناك قبل يومين».

قال جاكسون: «كوكتيل؟»، عائدًا من المطبخ بقفازات الفرن على كتفه، حاملًا الكوكتيل الجديد في يده.

تأملت الكوكتيل. يبدو ممتازًا، ومن الجيد معرفة ما لدى المنافس. «نعم، من فضلك، شكرًا»، ثم رفعت حاجبي وأكملت: «لكن إذا كانت هناك أي اجتماعات تحضيرية جديدة لعيد مايو في المستقبل، فسأكون ممتنة لدعوتي».

تنهد: «لم يكن هذا... حسنًا. لا مزيد من تذوق الكوكتيلات الاستوائية دون علمك. هل أنت راضية الآن؟».

«جدًّا...» ثم تذكرت شيئًا: «وبما أن الجميع هنا، في الواقع، كنت أنوي أن أسأل عن شيء، بخصوص الحصول على ممول لعيد مايو... هل قررت جدتي التخلي عن الفكرة لسبب ما؟».

قال باسيل: «آه، مشروع إيلين الأخير. لم تنجح فيه أيضًا، حسبما أذكر».

قالت بيتسي، وهي تتذوق كوكتيلها: «والآن وقد غادرت إلى لندن، ظننا أننا سنزيل ذلك عن كاهلك».

هز باسيل رأسه بدهشة: «لطالما أتت إيلين بأفكار غريبة، لكن الانتقال إلى لندن أغربها».

قطعت حديثه: «لا، إنها فكرة سديدة، كل شيء سيكون على ما يرام». «ستكون جدتي على ما يرام، صديقتي معها ستعتني كل منهما بالأخرى، فصديقتي ورفيقة سكني حبلى حاليًّا وتحتاج إلى كثير من العون».

رد باسيل: «وأين الوالد، لم لا يهتم بزوجته؟».

«إنها مطلقة، والوالد، حاله حال كثير من رجال اليوم، لا يرغب في أي أن يكون له أي علاقة بالطفل».

أوشكت على الاستمرار عندما وقف جاكسون فجأة وغادر الطاولة، مما أثار دهشتي وجعلني أصمت.

راقبته وهو يرحل. هل أزعجته؟ تُرى ما الأمر؟

قالت بيتسي بهدوء لتكسر الصمت: «جاكسون ليست لديه رفاهية اختيار التواجد من أجل طفلته».

التفتُّ إليها: «ماذا؟!».

«ابنة جاكسون تعيش في أمريكا».

احمرت وجنتاي: «أوه، أنا ... لم أكن أعلم... لم أقصد أن المرء يعتبر سيئًا بالضرورة إذا كان... دعيني أ... يجب أن أذهب وأعتذر له...».

نهضت بينيلوبي ووضعت يدها على ذراعي وهي تقول بلطف: «من الأفضل ألا تفعلي، سأذهب أنا».

«جدتي! كيف لم تخبريني بأن جاكسون لديه طفلة؟».

سألتُ جدتي بينما أمشي إلى منزلي من بيت بينيلوبي، ووجنتاي ما زالتا حمراوين.

قالت جدتي، وهي تتحدث بصوت منخفض ودرامي؛ الصوت الذي تستخدمه عندما تخبرني بالأخبار والمعلومات المثيرة عن القرية: «أوه، عائلة جرينوود كانت لها سنوات مثيرة جدًّا، عندما تركت والدة جاكسون أرنولد، فقد... عذرًا... تلقيت رسالة على هاتفي، دعيني لحظة...».

سمعت نغمة الانتظار. تنهدت، وانتظرت عشر ثوان، ثم اتصلت بها مرة أخرى.

«هل انقطعت المكالمة يا حبيبتي؟».

«نعم، لكن لا بأس. كنت تقولين إن والدة جاكسون...». بينما أتحدث إلى جدتي، دخلت شارع لين السفلي. كان باسيل على حق، في الواقع، الحفر فيه خطيرة، سأتذكر أن أتصل بالمجلس بخصوص إصلاحها.

«أوه، نعم. لقد تركت أرنولد العابس وغادرت البلدة مع دينلي من تاونتينجهام. تذكرينه؟ ذلك الذي يمتلك منزلًا في إسبانيا، والذي اشتراه على الأرجح بأموال قذرة من عمل والده في تجارة السيارات المستعملة؟».

ضحكت: «جدتي، أنا بالكاد ما زلت في أول طريق القيل والقال في هاملي، ولا أستطيع توسيع نطاقي ليشمل كل منطقة ديلز».

«أوه، ستعرفين كل شيء قريبًا، اجعلي بيتسي تحضر لتناول القهوة مرة في الأسبوع. يمكنها إخبارك بكل ما تحتاجين إلى معرفته».

عبست. لا يبدو لي أن بيتسي قد ترغب في القدوم لتناول القهوة معي مرة في الأسبوع. «تابعي يا جدتي. طفلة جاكسون؟».

«في تلك الفترة، كان جاكسون يعيش مع أرنولد، لم أتمكن من معرفة التفاصيل الدقيقة حول ذلك، لكن جاكسون بدا دائمًا متمسكًا بأرنولد بطريقة غريبة، وكنت أعلم أنه كان يلتقي فتاة شقراء مرحة تدعى مارجولد؛ من ديريديل، كانت تعتقد أنها ستكون إحدى نجمات هوليوود اللامعات. وكنت أعلم أنها ليست مناسبة»، أكملت جدتي وقد بدت لي فجأة مثل بيتسي: «فقد اعتادت أن ترتدي أحذية ذات كعب عالٍ قبيحة كانت دائمًا تَعلق في الطين في مدخل البيت، ولطالما صرخت حتى يأتي جاكسون ويسحبها».

«ترتدي أحذية ذات كعب عالٍ، آه، وماذا بعد؟!».

قالت جدتي: «أوه، لا تحاولي أن تجعليني أبدو عتيقة الطراز. بالمناسبة، فليكن في علمك أن فيتز أخذني للتسوق أمس واشتريت أشياء عصرية متنوعة، كما أنني استعرت حذاءك ذا الكعب العالي، للخروج لتناول الكوكتيلات في مناسبة أخرى».

اتسعت عيناي دهشة. هل بوسعها أصلًا الوقوف ثابتة على قدميها حتى تنتعل حذائي ذا الكعب العالي؟!

«لكن هذه الفتاة اعتادت أن تذهب إلى كل مكان ترتاده بالكعب العالي والتنانير الضيقة، التي كانت لا تستطيع التحرك فيها إلا بصعوبة. إلا واعتاد جاكسون أن يفتح الأبواب ويساعدها في دخول السيارات ويحمل حقائبها، بينما هي لم تكن تحمل حبة قمح من أجله. ثم انتهت العلاقة، أو على الأقل أعتقد أنها انتهت لأنني لم أعد أراها، ثم ظهرت بعد ستة أشهر ببطن منتفخ مثل قطعة من حلوى الرولو».

جعلني ذلك أضحك: «رولو؟».

ردت جدتي: «بالضبط، صارت حبلى! وبعد ذلك، كان جاكسون يذهب إلى ديريديل في كثير من الأوقات لرعاية الطفلة. كان ذلك قبل، آه، ثلاث أو أربع سنوات، ربما؟ ثم - وهذا هو الجزء الأكثر إثارة من القصة - انتقلت مارجولد إلى لوس أنجلوس للحصول على فرصة كبيرة في مجال التمثيل، وأخذت الطفلة معها. جاكسون بالكاد يستطيع رؤيتها الآن».

أوه، يا إلهي، جاكسون المسكين. أشعر بالسوء الشديد بسبب ما قلته في بيت بينيلوبي لدرجة أنني لم أعد غاضبة منه بشأن الكوكتيلات السرية.

حسنًا، لم أكن غاضبة جدًّا بشأن ذلك، على أي حال.

اهتز هاتفي. هذا الهاتف من بقايا عصر الأقراص المرنة والألعاب العتيقة، وقد يستغرق مني بعض الوقت لأدرك ما يحدث: لقد أتتني مكالمة أخرى.

«يجب أن أغلق الخط يا جدتي. سنتحدث قريبًا. أحبك».

قالت: «أوه، وداعًا يا حبيبتي»

أغلقت الهاتف وانتقلت إلى المكالمة الواردة.

أتى صوت متردد من الطرف الآخر: «مرحبًا؟ هل أنتِ لينا كوتون؟».

«نعم، أنا».

بالتأكيد استخدمت الصوت الرسمي الذي أستخدمه في مكالمات العمل. شعرت بغرابة بعض الشيء.

قالت السيدة: «اسمي نيكولا ألدرسون، وأنا أتصل بخصوص إعلان رأيته في متجر البقالة عن التوصيلات بالسيارة؟».

«أوه!». قدت سيارتي إلى كنارجيل وعلقت بعض المنشورات (حسنًا، طباعة من كمبيوتر جدتي) يوم أمس، ولم أتوقع ردًا سريعًا هكذا. «مرحبًا، نيكولا، شكرًا لاتصالك».

سألت نيكولا: «هل أنت متأكدة أن الأمر مجاني؟ كل هذا يبدو... أجمل من أن يُصدق. حفيدي دائمًا يحذرني من تلك الرسائل الإلكترونية التي تقول إنك فزت ببعض المال، وأعتقد أن عرض التوصيلات المجانية قد يقع تحت الفئة نفسها. لا يوجد شيء اسمه غداء مجاني مثلًا، وكل ذلك».

أومأت برأسي. هذه نقطة منطقية، في الواقع، أتمنى لو كانت جدتي حذرة بهذا القدر في مثل هذه الأمور. مررنا بموقف صعب قبل بضع سنوات عندما أتتها رسالة زائفة واعتقدت أنها رسالة رسمية من البنك، وكادت تحول مدخراتها إلى حساب مصرفي روسي غامض.

«بالطبع. حسنًا، في الأساس، كانت لدى جدتي فكرة حول مساعدة الأشخاص المعزولين على التنقل بشكل أفضل، وأنا أقيم حاليًا في منزلها، أعتني بكل مشاريعها، و... فكرت أن هذه هي أبسط طريقة للمساعدة. لدي سيارة ولدي وقت، لذا ...».

«هل هناك طريقة للتحقق من أنك لن تأخذيني إلى الغابة وتلتهميني؟».

أفلتت منى ضحكة مندهشة: «حسنًا، يمكنني أن أسألك الشيء نفسه، في الواقع».

تأملت: «هذا صحيح».

«لدي شهادة دي-بي-إس إذا كان ذلك سيجعلك تشعرين بالراحة؟».

قالت: «ليس لدي أدنى فكرة عما يعني ذلك. لكن أعتقد أنني ربما سأتمكن من الحكم من خلال النظر إليك. هل نلتقي في دار العبادة؟ لن تقتليني هناك إلا لو كنتِ قاتلة من أخطر ما يمكن».

قلت: «رائع، فقط قولي لي متى».

# 14 إيلين

الساعة العاشرة مساءً. وقفت أعانق رجلًا على عتبة منزله، وقد ارتديت حذاء ذا كعب عالٍ.

منذ لقائي بتود، شعرت كأنني فتحت بابًا لجزء من نفسي كنت قد نسيته تمامًا. البارحة، وجدت نفسي أضحك بمرح من كل قلبي، لست متأكدة حتى أنني ضحكت هكذا عندما كنت شابة.

إنه أمر رائع، حقًّا رائع. لكن تحت كل هذا، هناك همسات مظلمة وشعور بالذنب يضطرب في بطني. لقد كنت أسير بشكل جيد في درب تجاوز ويد، لكن منذ أن بدأت الخروج مع تود، لم أتمكن من إخراجه من ذهني بسهولة.

أعتقد أن كل ما في الأمر هو كونه جديدًا، فبعد كل شيء، لم تجمعني علاقة برجل سوى زوجي منذ خمسين عامًا. وتود كل شيء فيه يبدو مختلفًا؛ حتى شكل رأسه، وعنقه، وكتفاه يبدوان غريبين تحت يديّ بعد سنوات عديدة مع ويد. عناق تود يجعلني أشعر كأنني أرتدي ملابس شخص آخر. شعور غريب ومربك، نعم، لكنه ممتع.

ابتعدت عن ذراعيه على مضض.

سأل تود: «ألا ترغبين في أخذ علاقتنا إلى المستوى التالي؟».

ابتسمت له: «ليس بعد، نحن فقط في لقائنا الثالث».

كان هذا شرطي. وافقت على جميع شروط تود لهذه العلاقة بيننا، لكنني قلت إنني لن آخذ علاقتنا إلى المستوى التالي معه إلا بعد خمسة لقاءات بيننا. أردت الوقت لتقرير ما إذا كان هو الرجل المناسب لذلك. قد أتقبل القليل من المرح، لكنني لا أخطط لـ - ماذا كان يسمى؟

ماذا قال فيتز عن الأمر؟... أن أتعرض للتلاعب. لا أريد أن آخذ علاقتي مع رجل إلى مستوى آخر لا أكنُّ له الكثير من المودة.

لكن، يبدو أنني أحب تود كثيرًا. لدرجة أن هذه القاعدة تبدو نوعًا ما...

رفع تود حاجبه بشيء من التحدي، وقال: «أعرف المرأة المترددة عندما أراها»، منحني عناقًا آخر طويلًا، ثم أكمل: «الآن، هيا فلتعودي إلى المنزل قبل أن تغيري رأيك». ثم غمز بعينيه.

يا إلهي، تلك الغمزة.

من الأفضل أن أستقل سيارة أجرة.

استيقظت متأخرة في الصباح التالي ولم أستفق حتى الساعة الثامنة. وعندما خرجت من غرفة لينا، وجدت مارثا جالسة على الأريكة تبكي.

«أوه، مارثا!». ترددت عند العتبة، لم أرد أن أدخل وأحرجها. لكنها أدارت وجهها المبلل بالدموع نحوي ولوحت لي بالدخول.

قالت وهي تدلك بطنها: «من فضلك، تعالي واجلسي معي، البكاء وحدي هو مستوى جديد من التدهور بالنسبة لي. عادةً ما يكون لدي لينا لأبكي بين ذراعيها» ظلت تنشج بينما جلست بجانبها، ثم قالت: «تبدين بخير يا سيدة كوتون. أوه، هل كنتِ خارجة مع الذئب الفضي الخاص بك، الليلة الماضية؟».

شعرت بالخجل، وابتسمت مارثا.

قالت، وهي تمسح أنفها: «تذكري ألا تتعلقي كثيرًا، على الرغم من أنني أقول ذلك فقط لأنك طلبت مني تذكيرك. شخصيًا، أعتقد أنه صيد ثمين».

قلت مترددة: «لا تقلقي بشأني. أنت يا عزيزتي ماذا بكِ؟ إذا لم يكن لديكِ مانع أن أسأل».

«سأشتري منزلًا جديدًا وستشاركني في نفقته ياز صديقتي، لا يعجبني المنزل، لكنها تقول إنه ليس لدينا وقت لنرفع معاييرنا الآن، وقلت إنه قرار ضخم لا أريد أن أتعجله، و...» بدأت البكاء مرة أخرى؛ وصارت الدموع تنهمر على ذقنها. أكملت: «أشعر بقلق شديد ألا أتمكن من القيام بهذا - كوني لست مستعدة لتربية طفل وحدي . سيكون الطفل هنا قريبًا، ياز تظن أن بمقدورها أن تساعدني في تربيته وأنا لست واثقة من ذلك. لا يمكنها أن تساعدني في هذه المهمة، أليس كذلك؟ التغيير نفسه يخيفني، وكل شيء سيكون مختلفًا، ومرعبًا، ولم أُعدَّ العدة لكل هذا.آه، يا إلهي...».

حاولت أن أتذكر تلك اللحظات المليئة بالقلق الحلو والمر عندما اكتشفت أنني حبلي. كانت تلك الفترة معقدة بالنسبة لي ولويد. لكنني أتذكر، وسط الفوضى، تلك اللحظات من الذعر الخالص التي جعلتني أتشوش، تمامًا كما تفعل مارثا الآن.

كان أكثر ما أزعجني هو تغيير خطتي في الحياة، إذ أصبح عليَّ التخلي عن العمل في لندن، لا تغيير للعالم، لا مغامرات - أو بالأحرى، أكبر مغامرة، وكل ما تبقى لي هو مغامرة واحدة سأخوضها في المنزل. لم يصبح هناك مجال لترك هاملي.

أمسكت يد مارثا، وأخبرتها: «أتعرفين ما تحتاجين إليه يا عزيزتي؟ تحتاجين إلى قائمة. دعينا نحضر قلمًا وورقة ونرتب جميع المشاريع التي يجب القيام بها قبل وصول الطفل، ثم يمكننا وضع خطة، وخطة احتياطية».

ابتسمت عند ذلك، وقالت لي: «أستطيع أن أرى من أين حصلت لينا على سماتها الشخصية، يا سيدة كوتون».

«ناديني إيلين. هل يمكنك؟ لم أعد أشعر بأنني غريبة بعد الآن».

سحبت دفتري الجديد للمشاريع لأبدأ في قائمة مارثا.

سألتُ مارثا بعدما لمحتُ قائمة المهام الخاصة بي: «أوه! هل تحدثت إلى المالك عن المنطقة المشتركة؟».

انتصبت مارثا في جلستها، وهي تمسح وجهها، وقالت: «لقد أحب الفكرة عندما عرضناها من قبل. وقال إنه سيعطيني قليلًا من المال لدعمها. خمسمائة جنيه فقط، لكن...».

دهشت: «خمسمائة جنيه؟ سيكون ذلك كافيًا!». توقفت لحظة، ونظرت إلى مارثا. بدت كأنها ظلت لفترة طويلة تصارع القلق على هذه الأريكة الجالسة عليها. «لا أعتقد أنكِ تمانعين بدء العمل الآن؟ يمكننا العمل على قائمة المهام الخاصة بكِ بعد ذلك».

«في الحقيقة، نعم، أتعرفين - دعينا نفعل ذلك. لقد بكيت بما فيه الكفاية». نهضت، وهي تفرك عينيها، وأكملت: «كنت أفكر أنه يمكننا الذهاب إلى ذلك المحل العتيق في آخر الشارع، نرى إذا كان بإمكاننا الحصول على بعض الأثاث الجميل دون إنفاق الكثير؟».

ابتسمت: «لدي فكرة أفضل».

قالت مارثا: «أوه، إلهي. هذا المكان، إنه كنز. هل تلك الأريكة شستر فيلد الأصلية؟ تلك خلف الكرسي؟».

مضت، مستندة إلى إحدى طاولات القهوة الخاصة بليتيتيا متلهفة على الوصول إلى الكراسى ذات المساند؛ فمددت يدي لتثبيتها، وأنا أضحك.

«اهدئي يا حبيبتي. سنحتاج إلى بعض المساعدة لنقل كل هذا».

سألت مارثا ليتيتيا بحماس: «هل أنت متأكدة أنه يمكننا أخذ هذا واستخدامه في الأسفل؟».

هزت ليتيتيا كتفيها، وقالت: «ولم لا؟ ما دام لن يختفي، لا أمانع في إعارته. خاصة إذا كان ... أحب فكرة وجود منطقة مشتركة. قد تكون وسيلة جيدة للتعرف على الناس».

توقفت للتفكير، وأنا ألعب بإحدى أواني ليتيتيا المليئة بالتحف الصغيرة. لابد أن هناك الكثير من الناس مثل ليتيتيا في الخارج. لا أظن أن الأبنية السكنية الأخرى أفضل في جمع الناس من هذه. يجب أن يكون الأمر صعبًا، العيش وحدك في هذه المدينة، خاصة لكبار السن.

سألتُ مارثا: «هل تعتقدين أن المالك سيسمح لنا باستخدام المساحة لشيء... أكبر قليلًا؟».

«لماذا، بم تفكرين؟».

قلت: «لست متأكدة تمامًا، ولكن... ليتيتيا، هل لديك بعض طاولات الطعام الزائدة؟»

«نعم، أخزن بعضًا منها، في القبو».

بدت مارثا كأنها على وشك الإغماء. «تخزنين! أما زالت هناك كنوز مخزنة؟!».

قلت لليتيتيا: «هيا أرشدينا إلى مكانها. ونحن بحاجة إلى جمع بعض المساعدين في الطريق، أعرف أشخاصًا مناسبين لذلك».

الأشخاص الذين كانوا يرتدون الصنادل البشعة والذين عابوا عليّ، والذين اكتشفت لاحقًا أنهما روبرت وأورورا (بفضل جدران الحفلات الرقيقة). طرقت بقوة على بابهما، ومعي ليتيتيا ومارثا على جانبي.

أجاب روبرت وقد بدا مرتبكًا. دلك بطنه المستدير بيده ودس شعره خلف أذنه.

قال: «مرحبًا، أعتذر، لقد نسيت اسمك - إيسلا، أليس كذلك؟».

قلت: «إيلين، إيلين كوتون. وهذه مارثا، وليتيتيا. وأنت من؟».

قال: «روبرت»، وقد مد لي يده، المغطاة بالطلاء.

صافحته بعد ثانيتين. فهناك حسن الجوار، وهناك من لا يعرفون شيئًا عن الذوق.

قال روبرت، وقد بدا عليه الحرج: «اسمعي يا إيلين، كنت أنوي أن ألتقي بك وأعتذر. صديقتي تصبح عصبية المزاج قليلًا عندما تبدأ العمل على قطعة جديدة... إنها نحاتة، وقد كانت منزعجة بسبب منحوتة حديدية عندما التقينا بك لأول مرة ولم تأكل تقريبًا ليوم كامل و ... كانت غاضبة جدًّا. أنا آسف حقًّا، وهي أيضًا آسفة».

صارت ابتسامتي أقل تحديًا بعض الشيء. قلت بلطف: «حسنًا. يمكن أن نصبح جميعًا عصبيين عندما نكون جائعين، وإذا كنت ترغب في تعويضي عن ذلك، فإن لدينا مهمة مناسبة لك. هيا».

«ماذا... الآن؟».

التفتت إليه مرة أخرى، وقلت: «مشغول، أليس كذلك؟».

قال بسرعة: «لا، لا، دعيني فقط أنتعل حذائي. أنا رهن أمركما».

وقفنا في دائرة مفتوحة في مدخل العمارة، داخل المساحة التي ستصبح مساحتنا المشتركة قريبًا، محاطين بأثاث متنوع من جميع الجهات، وأشعة الشمس تتدفق عبر النوافذ القديمة الجميلة.

الآن بعد أن أصبحوا جميعًا يحدقون فيّ بترقب، بدأت ثقتي تهتز. شعرت للحظة بأنني عدت إلى ذاتي القديمة، والآن أذكّر نفسي بالتعبير الموحي بعدم الفهم المرتسم على وجوه أفراد اجتماع لجنة مراقبة الحي في باحة القرية كلما اقترحت فكرة جديدة.

تذكرت المَثَل القائل «يفوز باللذات كل مغامر»، وأيضًا ذكرت نفسي. ماذا كانت لينا ستفعل؟

قلت، وأنا أعبث بحزام حقيبتي: «أظن أنه يمكننا أن نُكون ناديًا، يمكن أن تكون هناك أنشطة - دومينو، ألعاب ورق، سكرابل، وما إلى ذلك. ووجبات ساخنة، إذا تمكنا من العثور

على طريقة لدفع ثمنها. وجودي هنا في لندن، في سني، جعلني أدرك أنه قد يكون الأمر موحشًا وموحيًا بالوحدة لبعض كبار السن».

ساد صمت طويل.

«ربما تكون فكرة سيئة جدًّا. باسيل دائمًا ما يقول لي إن أفكاري طموحة جدًّا. لكن - أنا - في الماضي، عندما كنت أصغر سنًّا، كنت سآتي إلى لندن وأعمل على شيء مشابه لهذا، لكن للشباب. والآن أعتقد أن الأمر سيكون... حسنًا، سيكون من الخاص جدًّا بالنسبة لي أن أتمكن من إنشاء مجتمع هنا، لكبار السن فقط» رفعت كتفي باستسلام: «ربما لا يمكن تنفيذ الفكرة، لا أعرف حتى من أين أبدأ».

قالت مارثا فجأة: «الأرضية خشبية».

نظرنا جميعًا إليها.

قالت، وهي تقفز قليلًا على أصابع قدمها: «عذرًا، لكن أعتقد أن تحت السجادة المهترئة هناك أرضية خشبية، وفكرت أن هذا قد يكون المكان المناسب للبدء، إذا أردنا أن نجعل المكان يبدو أكثر ترحيبًا. وبعد ذلك يمكننا وضع طاولات لألعاب اللوح هناك، وألعاب الورق هنا - ربما لعبة البريدج، جدي يحب البريدج. ونضع طاولة طويلة هنا، على طول الجزء الخلفي من المساحة، لتناول الطعام معًا». ابتسمت لي وأكملت: «أحببت فكرتك يا إيلين، إنها رائعة. وليست طموحة أكثر من اللازم أو بعيدة المنال».

قال فيتز: «لا يوجد شيء بعيد المنال، أو هكذا دائمًا ما تخبرني لينا عندما أحاول اختلاق أعذار لكيلا أقدم على وظائف»، وغمز لي. دخل فيتز في اللحظة التي كنا نسحب طاولة كبيرة من منطقة تخزين ليتيتيا، ومشكورًا ترك حقائبه ورفع أكمامه وبدأ العمل. منذ ذلك الحين، ظل ينقل الأثاث بلا توقف.

سألت بتوتر: «ماذا تعتقدين يا ليتيتيا؟» هل تظنين أن أحدًا سيأتي؟».

قالت بعد لحظة: «سوف آتي، وأعتقد أن هناك أشخاصًا آخرين مثلي في الخارج، رغم أنني لم أكن متأكدة من كيفية العثور عليهم».

هذا هو التحدي التالي، بالتأكيد. فتحت حقيبتي وسحبت دفتر مشاريعي، متحمسة لبدء قائمة جديدة.

قالت مارثا: «سأتحدث مع المالك مرة أخرى، ثم سأرسل بريدًا إلكترونيًّا إلى جميع سكان المبنى للتأكد من أنهم جميعًا راضون».

عبست ليتيتيا: «هل علينا أن نسأل الجميع في المبنى؟ من شكا من جلوسي هنا من قبل، ربما لا يريد مجموعة من كبار السن يقضون وقتهم هنا في اللعب، أليس كذلك؟».

عقبت بأسف: «أووه...».

سأل فيتز: «هل اشتكى أحدهم من جلوسك هنا؟»، وقد نهض بعدما كان قد مال وهو يحاول سحب زاوية السجادة، بناءً على تعليمات مارثا. «يا إلهي، هذا فظيع!».

هزت ليتيتيا كتفيها.

قال فيتز: «حسنًا،كائنًا من كان هو، ربما يكون قد انتقل. أنا متأكد تمامًا أنني أنا ولينا ومارثا أقدم الساكنين هنا الآن».

قالت ليتيتيا بود: «لقد عشت هنا لمدة ثلاثين عامًا».

حدق بها فيتز بدهشة: «أوه، واو. أنت أقدم منا بلا شك».

قال روبرت فجأة، وهو ينظر إلى زاوية الغرفة التي لم تخصصها مارثا لأي غرض: «يمكنني تنظيم دروس في الفنون تحت اسم النادي. أنا وأورورا يمكننا القيام بذلك معًا. لدينا الكثير من الأدوات القديمة والدهانات والألوان والشمع، وأشياء من هذا القبيل».

ابتسمت له، وقلبي يرقص: «رائع!».

عرض روبرت: «وجارنا في شقة 17، إنه ساحر. أراهن على أنه يمكنه أن يقدم لنا عروضًا مذهلة، أو حتى ينظم ورشة عمل».

ضغطت على قلمي، مبتسمة أكثر من أي وقت مضى: «حسنًا، الخطوة الأولى: ألواح الأرضية، والخطوة الثانية ...».

بعد يوم متعب ورائع من التخطيط والطلاء وتحريك الأثاث في المكان، ارتميت إلى السرير ونمت بعمق لم أنمه خلال سنوات. عندما استيقظت، تذكرت أنني نسيت أن أشكر ليتيتيا على تبرعها بكل هذا الأثاث، كان ذلك كرمًا بالغًا منها. شعرت بدافع مفاجئ لمبادلتها الكرم، وأخرجت ساقيّ من السرير بسرعة جعلتني أحتاج إلى لحظة لاستعادة توازني قبل أن أقف.

قالت ليتيتيا بشك عندما وقفت أمام بابها بأكثر أحذيتي راحة وأكبر حقيبة تسوق لدي: «هل تودين الذهاب للتسوق؟.

«وماذا نشتري؟».

«ملابس جديدة! على حسابي، فانا أريد أن أكافئك».

قالت ليتيتيا بذعر: «أوه، لا يجب عليك إنفاق أي مال علي».

مِلت نحوها، وقلت: «زوجي السابق ليس لديه أدنى فكرة عن كل المدخرات التي خبأتها على مر السنين، وأخطط لإنفاقها قبل أن يلاحظ ويحاول الحصول عليها. هيا، ساعديني».

جعل هذا ليتيتيا تبتسم، وتقول: «لا أهتم بالموضة، وأين سنذهب للتسوق؟» حاولت إخفاء ابتسامتها فبدت متوترة: «بالتأكيد ليس شارع أكسفورد أو شيء من هذا القبيل؟».

ليس لدي أي نية لتكرار تجربة زيارة شارع أكسفورد. فقد تعرضت للطعن بمظلة، وصرخت في وجهي سائحة أمريكية غاضبة، وبطريقة مريبة، تبعني حارس أمن في بريمارك.

«لا، سنذهب إلى المتاجر الخيرية، هناك خمسة منها على بُعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام من المبنى، وهي مليئة بالسلع الفاخرة التي تخلص منها سكان لندن الأثرياء».

أضاء وجه ليتيتيا. رأيت أن المتاجر الخيرية ستكون أكثر ملاءمة لها من تلك الأماكن الراقية، التي يبدو أنها تبيع ملابس لطويلات القامة ذوات الخصور الصغيرة. وحتى إن بدا هذا الجزء من لندن مخيفًا قليلًا في البداية - مع كل لوحات الجرافيتي هذه على الجدران، وصالونات الوشوم، والدراجات النارية، إلا أنه أفضل بكثير من الضوضاء وصخب وسط لندن الآن.

منذ أخذني فيتز للتسوق، تعلمت كل شيء عن التغيير الكلي للهيئة. جعلني فيتز أجرب جميع أنواع الملابس المضحكة - التنانير التي تعلو ركبتي والأحذية التي لا يمكنك ارتداء الجوارب معها - لكنني أدركت بعد ذلك أن هذا كان مجرد خطة ذكية لجعلي أكثر جرأة. فبمجرد أن جربت تنورة جينز قصيرة، أصبحت متوترة لدرجة أن شراء فستان من الكتان بأكمام طويلة، كنت قد ارتديته في موعدي الثالث مع تود، على سبيل المثال، لم يبدُ مخيفًا. وبعد أن أجبرت قدميّ على ارتداء صنادل بكعب، أصبحت الأحذية الجلدية الجميلة التي أقنعني باقتراضها من لينا مريحة تمامًا.

جربت هذا مع ليتيتيا، لكن أعتقد أنني أفرطت قليلًا لدرجة أنها كادت تهرب من متجر «أنقذوا الأطفال» عندما حاولت إجبارها على ارتداء بلوزة وردية ضيقة بعض الشيء، فغيرت إستراتيجيتي وتحدثت معها عن ذوقها، لكنها أصرت بعناد على أنها ليست مهتمة بالموضة وأنها سعيدة تمامًا بعباءتها الزرقاء، وأنها لا تحتاج إلى الغسيل بقدر ما يعتقد الناس.

أخيرًا، وعندما أوشكت على الاستسلام، لاحظتها تتأمل سترة مطرزة في متجر «أنقذوا المسنين»، فتذكرت فجأة كم أن شقة ليتيتيا مليئة بالعناصر الغريبة، وألقيت نظرة أقرب عليها.

سألتْ بفضول: «إلام تنظرين؟».

قلت: «أقراطكِ، إنها رائعة. كما أن القرط الأخير الذي ارتديته كان رائعًا أيضًا».

بدت مسرورة: «أوه. شكرًا. إنها تعود إلى الأربعينيات، وجدتها في سوق للأشياء المستعملة وصقلتها بنفسي».

دفعتها بسرعة خارج متجر «أنقذوا المسنين» نحو متجر «أوكسفام» الضخم وأنا أقول: «يا له من اكتشاف!».

متجر أوكسفام حيث وجد فيتز ثلاثة قمصان مزخرفة. قلت بأكبر قدر من العفوية: «انظري، لديهم قسم للملابس القديمة. آه، انظري إلى هذا النمط الغريب بأوراق اللبلاب على هذه التنورة».

لو كانت ليتيتيا قطة، لكانت أذناها قد انتصبتا من الحماسة. اقتربت ببطء ولامست القماش.

أدركت أنني أحتاج إلى تغيير الطريقة التي تنظر ليتيتيا بها إلى الملابس. بدت مثل غراب، يجمع الأشياء الجميلة، فلماذا لا تزين نفسها بها أيضًا؟ إذا أولت نصف الاهتمام بنفسها كما تهتم بمنزلها، حسنًا. قد تبدو غريبة، لكن، على الأقل، ستكون فخورة بمظهرها.

قالت ليتيتيا بقلق، وهي تحمل التنورة المزينة بأوراق اللبلاب: «هل... هل أجرب هذا؟».

سألت، وأنا أدفعها نحو غرفة القياس: «لِم لا؟».

# 15 لينا

أيقظني آنت أو ديك كما هي العادة هذه الأيام، في الواقع بدأت أحب أن أفتح عينيّ على رأس فروي أول شيء في الصباح، إنه ألطف بكثير من المنبه.

قفز من السرير، فضرب حجر القمر الخاص بأمي وأسقطه من الطاولة بجانب السرير. التقطته ببطء، ودحرجته بين أصابعي. به بعض الزرقة، ما جعله يبدو غريبًا. أتساءل من قرر أنه يعني بدايات جديدة.

أمسكت هاتفي بتردد، هناك رسالة ليلية من إيثان، أرسلها في الواحدة صباحًا، تحتوي على أربع قبلات بدلًا من الثلاث المعتادة. لقد اضطر لتفويت زيارة أخرى في عطلة نهاية الأسبوع بسبب العمل، أنا هنا منذ ثلاثة أسابيع ولم يزرني مرة واحدة. أفهم ذلك، لكن الأمر لا يزال محبطًا.

تصفحت جهات الاتصال الخاصة بي. تستيقظ أمي حتى قبل أن أستيقظ أنا، عادة ما تستيقظ في الخامسة.

ضغطت على زر الاتصال. اعتدت إرسال رسائل نصية لأمي، معظم الأيام الماضية، فقط لأتحقق مما إذا كانت تحتاج إلى شيء، لكنها دائمًا تقول لا. كان يجب أن أتصل بها أو أزورها مرة أخرى، ولكن...

أعادني من شرودي الذعر في صوتها: «مرحبًا؟ لينا؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

فقط لأن هاتفي يرن كثيرًا، كنت قد نسيت ذلك الرعب المفجع الذي كان يعتريني في كل مرة يرن فيها أثناء احتضار كارلا، ذلك الشعور بأنني هذه المرة، عندما أجيب على الهاتف، سأسمع أسوأ خبر في العالم. الآن، وبمجرد أن سمعت ذلك الرعب في صوت والدتي، بدأت

تلك المشاعر تعتمل في معدتي. نهضت من حافة السرير لأمشي ذهابًا وإيابًا، متعرقة، وبداخلي رغبة يائسة لإنهاء المكالمة قبل أن أقول كلمة واحدة.

قلت بسرعة: «مرحبًا، آسفة يا أمي، كل شيء بخير! اتصلت فقط لألقي التحية - وأيضًا - هناك لعبة بنجو غدًا مساءً، أتساءل عما إذا كنت تريدين القدوم؟ سأقود أنا الشاحنة».

صمتت لوهلة ثم: «أوه، أنا... نعم، لم لا؟ إذا كنت تريدين مني أن آتي؟».

انتظرت ردي...

قلت بصوت عالٍ: «نعم أريدك!» وضغطت بقبضة واحدة على تلك النقطة بين ضلوعي حيث عواطفي تكاد تفور. «نعم، بالتأكيد، تعالي! الساعة الخامسة مساء. اتفقنا؟»

إذا أغلقت المكالمة الآن، فسيذهب هذا الشعور بالذعر، لكنني لم أقل ما كنت أريد قوله، على الأقل ليس كله.

قالت أمي: «لينا، خذي نفسًا عميقًا».

أغلقت عيني تنفست ببطء. هدأ الشعور بالوخز في صدري ووجهي قليلًا، حتى أصبح لا يخز كالدبابيس والإبر، بل كالمطر الخفيف على الجلد.

فتحت عيني وأخذت نفسًا عميقًا أخيرًا. وقلت: «أمي، جدتي أخبرتني أنكِ زرتِ الطبيب وأعطاكِ بعض مضادات الاكتئاب».

بعد صمت طويل، قالت: «نعم».

قلت: «لم أدرك أن الأمور كانت ... بهذا السوء، أنا، أنا آسفة».

جاء صوتها أكثر هدوءًا: «لا بأس يا حبيبتي».

«وهل ساعدتك مضادات الاكتئاب؟»

«نعم أشعر بذلك. رغم أنه من الصعب تحديد ما إذا كانت مضادات الاكتئاب أم البلورات، حقًّا».

أدرت عيني في محجريهما.

«هل أدرتِ عينيك في محجريهما لتوك؟».

«ماذا؟».

شعرت بصوتها يبتسم. «أنت واثقة جدًّا من كل شيء يا لينا. لكنني لست كذلك. أنتِ تعرفين أفضل طريقة للتعافي، وقد اتبعتِها بالفعل: العمل الجاد، وأخذ وقت بعيدًا عني وعن جدتك. أما أنا فلم أكتشف كيف أتعافى. لذا أحاول كل شيء، هذه طريقتي».

لففت حجر القمر بين أصابعي مرة أخرى.

قلت بهدوء: «لست متأكدة أنني أعرف أفضل طريقة للتعافي، في الواقع لست متأكدة أنني أفعل ذلك بشكل جيد».

سألت أمي: «هل هذا هو السبب في وجودك هنا؟ في هاملي؟».

ابتلعت ريقي: «ربما. إذن سأراكِ في لعبة البنجو؟».

«سأراكِ في لعبة البنجو».

هززت ذراعيّ بعد المكالمة، كانتا مشدودتين، وكأنني كنت أمسك عجلة القيادة لرحلة طويلة وصعبة. شعرت بسخونة شديدة. خرجت للركض، لجولة قصيرة فقط؛ وبمجرد أن عدت وأعددت كوبًا من قهوة، بدأت أتنفس بشكل طبيعي، وشعرت بمزيد من الهدوء

والتحكم بالذات. لكن بعد ذلك بقليل، بدأت أتنقل حول غرفة الطعام وأنا أمسك الكوب بين يدي، غير قادرة على الجلوس لأكثر من لحظة أو اثنتين. كنت في حاجة إلى شيء يشغلني، إلى إلهاء.

سمعت طَرقًا مستمرًا على نافذة المطبخ.

تنهّدت ممسكة فنجان قهوتي. ليس هذا النوع من الإلهاء، من فضلكم. الساعة ما زالت السابعة والنصف صباحًا - ماذا يمكن أن يريد أرنولد الآن؟ ربما سأَدَّعي أنني نائمة.

صرخ أرنولد: «مرحبًا؟ أرى أن الأضواء مشتعلة! مرحبًا؟».

ربما أنام والأضواء مشتعلة! هذا بيت كبير وعتيق، قد أجده مخيفًا جدًا.

«مرحبًا؟ الغلاية لا تزال تُصدر بخارًا، لا بد أنك مستيقظة. مرحبًا؟».

حسنًا، ربما سكبت لنفسي كوب شاي وعدت إلى...

«لينا؟ مرحبًا؟ رأيتك تعودين من جولة الركض! مرحبًا؟».

يا إلهي، لماذا لا يكون هذا الرجل في فريق مراقبة الحي؟ إنه مثالي لذلك كززت على أسناني وتوجهت إلى المطبخ. قلت بألطف نبرة استطاعت أعصابي إخراجها: «مرحبًا يا أرنولد، يبدو أن هناك مشكلة؟ ما هي؟».

قال أرنولد: «سيارتك، إنها عالقة في السياج».

رمشت بعيني: «سيارتي... عذرًا، ماذا؟».

يقول أرنولد بصبر: «سيارتك، السياج، إنها بداخله. هل تريدين مساعدة لإخراجها؟».

قلت: «يا إلهي»، وملت للأمام لأتجاوز أرنولد وأحاول رؤية المدخل. «كيف دخلت في السياج؟! أي سياج؟!».

سأل أرنولد: «هل استخدمت فرامل اليد؟».

قلت: «بالطبع!»، ووقفت أحاول تذكر ما إذا كنت قد استخدمتها! مرت فترة كبيرة وأنا لا أمارس القيادة قبل أن أستعير سيارة بينيلوبي في بداية هذا الأسبوع، - بالطبع ليس لدي سيارة في لندن، لأن المرء لا يقتني سيارة في لندن إلا إذا كان يبحث عن فرصة للشجار مع أصحاب السيارات الأخرى في الطريق، أو يستمتع بالتوتر الشديد المصاحب لعملية ركن السيارة بموازاة الرصيف. «يا إلهي، هل حطمت سيارة بينيلوبي؟».

فرك أرنولد ذقنه، ونظر نحو المدخل. «لنقم بإخراجها من بين أشجار الليمون ونكتشف، هيا بنا».

اتضح أنني لم أُحكم فرامل اليد بشكل كافٍ.

ساعدني أرنولد - الذي اتضح أنه أقوى مما بدا عليه - في دفع سيارة فورد كا بعيدًا عن السياج بما يكفي لأتمكن من الجلوس في مقعد السائق. حركت السيارة إلى الخلف ببطء، بينما أصدرت العجلات صريرًا، وتلقيت إشارات الإعجاب المزدوجة من أرنولد عندما تجاوزت الحافة وخرجت إلى الحصى. آمل ألا تمانع جدتي في أن سياجها الأيمن صار يحتوي الآن على تجويف كبير على شكل سيارة، وخطين طويلين في العشب حيث استقرت العجلات.

قال أرنولد، بينما خرجت وأغلقت الباب خلفي: «إنها سيارة جيدة، تلك السيارة ما اسمها؟».

«اسمها؟».

سأل أرنولد، وهو يمسح يديه على سرواله: «لم تطلقي عليها اسمًا؟». بدا مفعمًا بالطاقة، بقميص فضفاض وكنزة من الصوف بدلًا من سترته المعتادة البالية، وقبعة تغطي شعره المُمشَّط، بدا كأن العمر عاد به عقدًا إلى الوراء. وقفت أشاهده يمسح نافذة السيارة بمنديل من جيبه.

قلت: «لا لم أسمها، هل لديك اقتراحات؟».

قال: «سيارتي اسمها ويلكي».

«ماذا، مثل ويلكي كولينز؟».

اعتدل أرنولد مبتهجًا، وقال: «هل تحبينه؟».

«اشترت لي جدتي رواية *The moonstone* في أحد أعياد رأس السنة. وقد أحببتها كثيرًا. دائمًا ما كانت تجلب لي كتبًا».

بدا الاهتمام على وجه أرنولد، وقال: «لم أكن أعرف أنها قارئة».

«إنها قارئة مخضرمة. أجاثا كريستي هي المفضلة لديها، فهي تحب قصص التحري».

قال أرنولد بجفاف: «معظم الناس المتطفلين يحبون قصص التحري، هذا يؤكد نظريتي».

ضحكت مندهشة، لقد كان هذا مضحكًا حقًّا. من كان ليظن أن أرنولد يمكن أن يكون مضحكًا؟!

قلت، وأنا أُربّت على غطاء المحرك: «لنسم السيارة أجاثا إذن، تكريمًا لجدتي» ثم، بتلقائية قلت: «ما رأيك في أن تأتي وتتناول قهوة صباحية معي؟».

نظر أرنولد باتجاه منزل جدتي، وسأل: «آتي؟».

«نعم، لتناول قهوة؟ أو شاي، إذا كنت تفضله؟».

قال أرنولد: «إيلين لم تدعُني قط للدخول».

تجعد وجهي من الدهشة، وسألت: «قط؟». هذا ليس من طباع جدتي مطلقًا. إنها دائمًا ما تدعو الجميع للدخول، وإذا كانوا من الجيران فإنهم يحصلون تقريبًا على مفتاح خاص بهم لمنزلها.

قال أرنولد: «أنا وجدتك لا نتفق حقًّا. لقد بدأنا علاقتنا بسوء تفاهم منذ زمن طويل، وهي تكرهني منذ ذلك الحين». هز كتفيه، وأكمل: «لا يهمني ذلك، فوجهة نظري أنه ما دمتَ لا ترتاح لوجودي فليسلك كلٌّ طريقه».

قلت: «هذه وجهة نظر تستحق الإشادة، لكن أحيانًا يمكن أن تشكل حجة لمشاكسة الآخرين والتعامل معهم بشكل غير منطقي».

قال أرنولد: «ماذا؟».

«لقد رأيتك، في الصباح، تهتم بنباتات جدتي».

بدا الاحراج على وجه أرنولد وعلق:

«أوه، حسنًا، هذا مجرد...».

«وها أنت ذا هنا تساعدني في إخراج سيارتي من السياج».

عبس: «حسنًا، فكرت فقط في... إلام ترمين؟».

«فقط لست متأكدة من أنني أصدق الطريقة التي تُعاملها بها، هذا كل شيء». أقفلت السيارة وتوجهت إلى المقعد تحت شجرة تفاح جدتي، وبعد لحظة تبعني أرنولد.

«بالمناسبة، الوقت لا يزال متاحًا للتغيير.. انظر مثلًا إلى جدتي. رحل جدي عنها، وماذا فعلت؟ بدأت مغامرة في لندن وراحت تنخرط في لقاء عاطفي عبر الإنترنت».

ارتفع حاجبا أرنولد حتى تجاوزا نظارته، وقال: «لقاء عاطفي عبر الإنترنت؟! جدتك؟!».

«نعم، أعتقد أن ذلك رائع، إنها تستحق أن تعيش قصة خاصة بها، وتحتاج إلى فسحة من العناية بنا جميعًا».

بدا أن أرنولد يشعر بعدم الارتياح بعض الشيء عند طرح فكرة اللقاء العاطفي عبر الإنترنت. وقال في النهاية: «يا لهذا، إنها امرأة لا يستهان بها»، رمقني بنظرة، ثم أكمل: «يبدو أن ذلك متوارث في العائلة».

ضحكت قائلة: «لا أعرف من أين حصلت على هذا الانطباع. فمنذ أن جئت إلى هنا، كل ما فعلته هو تخريب الأمور. في الواقع، لا، كل ما فعلته خلال السنة الماضية هو تخريب الأمور».

ضيق أرنولد عينيه، وقال: «مما سمعت، في الوقت الذي كنت تحاولين فيه التكيف مع وفاة أختك، كنت تديرين وظيفة دوامها 24 ساعة، وتدعمين شريكك، وتضعين حدودًا لبيتسي، وتجعلين بينيلوبي تتوقف عن القيادة».

صمتُّ مصدومة. الجميع هنا يتحدث عن وفاة كارلا بشكل عادي - كما لو أنها حدثت لنا جميعًا- كنت أظن أنني سأغضب من ذلك، لكن بطريقةٍ ما، بدا الأمر أفضل.

قلت: «لم أقصد أن أضع حدودًا لبيتسي، هل هذا ما يقوله الناس؟!».

ضحك أرنولد. «آآآه، يمكن لأي شخص أن يرى أنك أزعجتها. لكن لا تقلقي، إنها بحاجة إلى هذا أحيانًا. ابحثي في القاموس عن كلمة متطفل وستجدين بيتسي هناك».

في الواقع، أعتقد أن الأمر أكثر من مجرد تطفل بالنسبة لبيتسي. هناك شيء دفاعيٌّ في تسلطها، كما لو أنها تُسابق الجميع، تحاول أن تخبرك كيف تعيش حياتك قبل أن تتمكن من إخبارها كيف تعيش حياتها.

سألت: «كيف هي الأمور مع كليف؛ زوجها؟».

نظر أرنولد إلى الأرض، وقال: «إمممم، ذاك الرجل هو عملها السيئ. لا أتمنى رجلًا مثله لأي امرأة».

تجعد جبيني، متذكرةً كيف أسرعت بيتسي في النهوض عندما استدعاها كليف إلى المنزل من كوخ كليرووتر. قلت: «هل هو - هل يعامل بيتسي بشكل سيئ؟».

قال أرنولد بسرعة: «لا أعرف بخصوص ذلك، حياة الناس الزوجية من شئونهم الخاصة».

«بالتأكيد، لكن... فقط بقدر ما تعرف، هل رأيت أي شيء يجعلك قلقًا؟».

نظر أرنولد إليّ من الجانب: «يجب ألا أ... هذا ليس من شأني».

قلت بسرعة: «أنا لا أحاول النم عليها، أحاول فقط التأكد من أن بيتسي بخير».

فرك أرنولد ذقنه، وقال: «كانت هناك بعض الأمور... أعني... كليف دقيق جدًّا بشأن كيفية القيام بالأشياء. ويغضب إذا أخطأت بيتسي. في هذه الأيام، لا يخرج كثيرًا، لذلك فهي في خدمته، هذا ما فهمته. لكن إذا مشيت بجانب منزلهم والنوافذ مفتوحة في اللحظة الخاطئة، فستسمعين كيف يتحدث معها، وهذا ليس...» هز أرنولد رأسه، وأكمل: «... ليس ما ينبغي أن تُعامَل به امرأة، برأيي. والأمر يؤثر عليها، لم تعد كما كانت. لكننا نفعل ما بوسعنا من أجلها. لا يوجد أحد في هذه القرية يمانع في استضافتها إذا احتاجت إلى ذلك».

تساءلت عما إذا كانت هي تعرف ذلك، هل يقول أحد لها ذلك بصوت عالٍ، أم أن الجميع يفعلون ما تفعله جدتي - يبقون صامتين، لا يتدخلون؟ دونت ملاحظة ذهنية؛ أن أحاول التقرب من بيتسي. لست بالضبط ممن تثق به لتتحدث إليه، لكن ربما يمكنني أن أكون كذلك.

فجأة، صفع أرنولد جبهته: «يا إلهي، كان يجب أن أسألك شيئًا. لهذا السبب جئت إليك في المقام الأول. أنتِ مشغولة، هذا الصباح، أليس كذلك؟ نحتاج إلى خدمة».

قلت بحذر، متساءلة عمن قد يكون «نحن»: «أووه».

«هل تعرفين في أي يوم نحن؟».

«مممم، بصراحة، فقدت الشعور بالأيام بعض الشيء، هل هو الأحد؟».

قال أرنولد، وهو يقوم من مقعده: «إنه عيد الربيع، ونحتاج إلى أرنب عيد الربيع».

«جاكسون، كان ينبغي أن أعلم أنك السبب في هذا».

بدا جاكسون مرتبكًا. كتفا سترته تغطيهما قطرات المطر، وهو يحمل سلة من القش مليئة ببيض الشيكولاتة المغلفة. وقفنا في باحة القرية، التي تم تزيينها بأعلام عيد الربيع ولافتات كبيرة تعلن أن هذه هي نقطة الانطلاق للبحث عن بيض عيد الربيع في «هاملي إن هاركسديل»، الذي كان سيبدأ بالضبط بعد نصف ساعة.

سأل: «السبب في هذا... حفل مجاني للأطفال؟».

قلت وأنا أضيق عينيّ: «نعم، بالضبط».

رَمَش بعينين بريئتين نحوي، لكنني لم أُخدع، كان يحاول خداعي بكل وضوح. لقد أحرزت تقدمًا حقيقيًّا مع الدكتور بيوتر أمس في الطابور بالمتجر القروي - وقد وعدني تقريبًا بأنه

سيصوِّت لاقتراحي بخصوص عيد مايو. ثم لمحت جاكسون يتصفح الصحف خلفنا، واضح أنه كان يتنصت.

وهذا بالتأكيد، هو انتقامه.

سأل أرنولد من خلفي: «ألا تبدو لينا رائعة، اليوم؟».

كنت مرتدية بنطالًا من الفراء الناعم الأبيض (خامة الفليس) مع ذيل أرنب مخيط عليه؛ أكبر مني بستة مقاسات، وممسوك بحزام جلدي مستعار من أرنولد. كما ارتديت سترة مزخرفة (في حال لم تكن الأمور واضحة بخصوص الشخصية التي أؤدي دورها) تحتوي على صور للأرانب. وأيضًا، وضعت أذنيْ أرنب. الا ينبغي أن تبدو أذنا الأرنب مثيرتين؟ شعرت بداخلي وكأنني مهرج حقيقي.

قلت: «اصمت يا أرنولد».

لمعت ابتسامة على شفتيْ جاكسون، وقال: «إنكِ حقًّا الأرنب المناسب في المكان المناسب. الملابس تناسبك».

سمعت شهقة درامية عالية خلفي. التفتت لأواجه فتاة صغيرة جميلة بشكل لا يُصدق. عُقد شعرها الأشقر في ضفيرتين غير متساويتين، وكان هناك خط طويل بدا كأنه علامة دائمة على خدها، وإحدى ساقيْ بنطالها مرفوعة لتظهر جوربًا مخططًا طويلًا. وضعت يديها على خديها، وفتحت عينيها على اتساعهما، لتحاكي الإيموجي المصدوم. بدت عيناها الزرقاوان مألوفتين جدًّا.

شهقت قائلة، وهي تنظر إلي: «أرنب عيد الربيع. إنه راااائع».

قال جاكسون من خلفي: «سامانثا، ابنتي، إنها مؤمنة قوية جدًّا بوجود أرنب عيد الربيع».

هذا تحذير واضح. هل يظن أنني بلا قلب؟ قد أكره ارتداء زي أرنب سخيف، لكن بالتأكيد لن أترك هذا يتحكم في ردي على طفلة متحمسة.

قلت وأنا أنحني قليلًا: «مرحبًا سامانثا، أنا سعيدة جدًّا أنني وجدتك!».

قالت وعيناها متسعتان مثل صحن فنجان: «وجدتني؟!».

«لقد غادرت جحري في وقت مبكر من صباح اليوم وقد رحت أقفز في جميع أنحاء يوركشاير ديلز، أبحث عن شخص قد يكون قادرًا على مساعدتي، وأعتقد أنك يمكنك أن تكوني الشخص المناسب يا سامانثا».

شهقت سامانثا: «أنا؟».

«حسنًا دعينا نر، اتفقنا؟ هل تحبين بيض الشيكولاتة؟».

صاحت سامانثا مع قفزة صغيرة: «نعم!».

«هل تجيدين إخفاء الأشياء؟».

ردت سامانثا: «نعم».

قال جاكسون بجفاء من خلفي، رغم أنني استطعت سماع نبرة الابتسام في صوته: «مثل حذائي الأيسر، لقد أحسنتِ إخفاءه، هذا الصباح».

قالت سامانثا بجدية، وعيناها مثبتتان على وجهي: «هل سمعتِ؟ لقد أحسنت إخفاءه».

«والآن، هذا مهم جدًّا يا سامانثا.. هل يمكنكِ الاحتفاظ بالأسرار؟ لأنه إذا كنت ستصبحين مساعِدة أرنب عيد الربيع، فسوف تعرفين أين تم إخفاء جميع بيض الشيكولاتة. وسيطلب منك جميع الأطفال أن تعطيهم بعض الأدلة».

قالت سامانثا: «لن أخبر أحدًا! أعدك».

قلت، وأنا أنهض وأعود إلى جاكسون: «حسنًا، أعتقد أنني وجدت مساعِدتي الخاصة».

ابتسم جاكسون لي، أول ابتسامة صادقة أراها منه.. لديه غمازتان، واحدة في كل خد.

قال: «يا لها من فتاة محظوظة!»، ثم انقض على سامانثا وحملها من تحت إبطيها، وأخذ يؤرجحها أمامه، وقد دفن وجهه في عنقها حتى كادت الضحكات تخنقها.

حرك مرأى سامانثا بين ذراعيه شيئًا في دواخلي، وغمرني شعور بالخفة المفاجئة. كما لو كان عقلى قد أصبح لينًا مثل سروالى

همست شفتا جاكسون بلا صوت: «شكرًا لك»، ثم انحنى وأخذ سلة البيض، وقدَّمها لسامانثا، التي مالت برأسها إلى كتفه بثقة كاملة. سألها: «جاهزة؟».

خرجت سامانثا من بين ذراعيه وركضت نحوي، ومدت يدها الحرة لتأخذ يدي. وعندما تركها جاكسون، تحول تعبير وجهه إلى تعبير يشي بالضعف والانكسار، كما لو أنه يحبها لدرجة أن الأمر يؤلمه، وهو شعور خاص وشخصي جدًّا لدرجة جعلتني أحوِّل نظرى بعيدًا عنه. لا أشعر بأنه شيء يفترض بي رؤيته. زادت حدة الشعور الغريب في داخلي مع إمساك أصابع سامانثا الصغيرة بيدي.

انحنى جاكسون ليعطي سامانثا قبلة سريعة على جبينها، ثم فتح باب باحة القرية.

قال: «يجب أن تذهبا الآن، أوه... ولينا؟».

«نعم؟».

«تذكري أن أرنب عيد الربيع يقفز في كل مكان يذهب إليه، حاملًا السلة».

قلت، وأنا أكز على أسناني: «حقًا؟».

وجه لي ابتسامة أخرى، لكن قبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، بدأت سامانثا القفز، وجرتني إلى أسفل الدرج، إلى المطر.

# 16 إيلين

شعرت كأنني امرأة في أحد إعلانات العطور على التلفاز: تلك التي تسير منتعلة حذاء عالى الكعبه، ملتفة ببعض الأقمشة الشيفون، مبتسمة بسعادة، ربما يبدأ المارة الغناء فجأة بعد أمسية البارحة التي قضيتها مع تود، لقد قضينا وقتًا ممتعًا تشاركنا فيه الطعام والشراب والقصص. لم يراودني هذا الشعور الجميل منذ سنوات طويلة.

سألتقي بي، هذا الصباح، لتناول فنجان من القهوة. تقول إنها تريد سماع كل الأخبار عن تود. أعتقد أنها تفتقد ابنتها قليلًا، التي تقضي العطلة مع عائلة والدها، لكن مع ذلك، شعرت بالسعادة عندما تلقيت رسالتها.

المقهى الذي سنلتقي فيه يُدعى مقهى واتسون، وهو مكان عصري جدًّا. جدرانه؛ اثنان منها مطليان بالأخضر، والآخران بالوردي، وتوجد قرون غزال صناعية فوق بار القهوة ومجموعة من الشموع النيون نصف المذابة في مركز كل طاولة رمادية فولاذية. الطابع العام للمكان يبدو سخيفًا بعض الشيء، كما أنه مزدحم بشكل مريع - إنه يوم الاثنين، عيد الربيع، لذا بالطبع لا يوجد أحد في العمل، وفي المدينة، إذا لم تكن في مكتب للعمل، يبدو أنك يجب أن تكون في مقهى.

تمكنت بي من الحصول على طاولة لنا. ابتسمت لي عندما اقتربت، تلك الابتسامة الدافئة والواسعة التي لمحتها عندما أرتني صور ابنتها. إن لتلك الابتسامة تأثيرًا مذهلًا، مثل شعاع ضوء دافئ يضيء الطريق أمامك. شعرها مربوط خلف أذنيها، مما يُظهر قلادة فضية لافتة عند عظمة الترقوة، مرتدية فستانًا تركوازى اللون جميلًا يبدو مثيرًا رغم أنه يغطي كل شيء تقريبًا.

قالت بي: «صباح الخير! دعيني أحضر لك قهوة - ماذا تُفضلين؟».

قلت متفاخرة: «فلات وايت، من فضلك».

رفعت بي حاجبيها وابتسمت قائلة: «جيد جدًّا! لن أتأخر».

أخرجت هاتفي من حقيبتي بينما نهضت هي لطلب المشروبات. لقد استغرق الأمر بعض الوقت - والعديد من الدروس من فيتز - لأعتاد هاتف لينا، لكنني الآن بدأت فهمه. تعلمت بما فيه الكفاية لأعرف أنني تلقيت رسالة جديدة من تود، وهأنذا تلقيت رسالة جديدة منه...

عزيزتي إيلين، كانت ليلة رائعة. دعينا نكرر ذلك قريبًا، اتفقنا؟ مع خالص تحياتي، تود.

قالت بي، وهي تجلس مرة أخرى وتضع صينية على الطاولة: «حسنًا، أعلم أنه من الخطأ التجسس، لذا سأكون صادقة وأقول على الفور، إنني قرأت تلك الرسالة كاملة. لقد أحضرت لنا مافن أيضًا. ماذا تريدين: ليمونًا أم شيكولاتة؟».

لم تكن بي كما توقعت على الإطلاق. إنها لطيفة جدًّا، في الواقع. لست متأكدة من سبب اعتقادي أنها لن تكون كذلك، ربما لأنها جميلة جدًّا، ومن غير المنصف أن تكون لطيفة أيضًا.

خمنت أنها قد تريد الليمون، فقلت: «شيكولاتة». بدت مسرورة وسحبت الطبق نحوها. قلت: «وأنا أسامحكِ بشأن على التجسس. أنا دائمًا أفعل ذلك مع الآخرين في المترو. هذه هي الميزة الوحيدة في أن يُحشر المرء مع غيره في كابينة تحت الأرض».

ضحكت بي: «إذن، هل تود هو الشخص المناسب؟».

أجبت بحزم: «أوه، لا، ليس بالضرورة، ليست علاقتنا وثيقة أو ما شابه. نحن نقضي وقتًا ممتعًا معًا فقط».

حدقت بي فيَّ: «حقًّا؟».

«هل هذا مفاجئ إلى هذا الحد؟».

راحت تفكر، وهي تمضغ قطعة من المافن: «حسنًا، أنا... فقط اعتقدت أنك تبحثين عن شيء جاد. شريك حياة».

هززت كتفي بلا مبالاة، ثم تجهمت عندما أدت الحركة إلى شد عضلة متصلبة في ظهري. قلت: «ربما حقًّا أنا فقط هنا من أجل المغامرة».

تنهدت بي: «أتمنى لو كنت مثلك. فالبحث عن أب مستقبلي لطفلك يزيل المتعة حقًّا من اللقاء الأول مع أي شخص».

«ألم يحالفك الحظ بعد؟».

رفعت بي حاجبيها وقالت: «كنت أعلم أن سوق الرجال فوق السبعين ستكون أفضل. ربما يجب أن أبحث عن رجل أكبر سنًّا».

قلت: «لا تتجولي في مجال اللقاء العاطفي الخاص بي يا آنسة، اتركي الرجال المسنين للسيدات المسنات، وإلا فلن نحصل على أي فرصة».

ضحكت بي، وقالت: «لا، لا، إنهم جميعًا لك. لكنني أتساءل عما إذا كنتُ صارمة بعض الشيء فيما يخص معاييري».

«هل يمكنني أن أقول ما أفكر به عندما أسمع قائمة قواعدك؟».

قالت بي: «بالطبع، تفضلي».

قلت: «أعتقد أنها تبدو كأنها وصفة للعزوبية».

ضحكت بي وقالت: «أوه، من فضلك! قائمتي قابلة للتحقق تمامًا، لكننا كمجتمع لدينا معايير منخفضة للرجال، هل تعرفين ذلك؟».

فكرت في ويد. نادرًا ما كنت أطلب منه شيئًا، خاصة بعد أن كبرت ماريان. كل ما كنت أنتظره منه هو الوفاء، رغم أن هذا كان يعطيه أكثر مما يستحق، كما اتضح لاحقًا. وكذلك والد كارلا ولينا، ماذا كانت ماريان تطلب منه؟ كان يجلس طوال اليوم مرتديًا سروال الرياضة، يشاهد رياضات غامضة على قنوات غريبة، وحتى مع ذلك كانت تبذل جهدًا كبيرًا للحفاظ عليه. وعندما تركها، في النهاية، لم ينظر قط إلى الوراء، كان يرى بناته مرة في السنة على الأكثر، والآن هو ولينا ليسا على تواصل حتى.

ربما بي على حق. لكن...

«صحيح أنني أؤيد وضع معايير مرتفعة، ولكنني أعتقد أنك ربما تتبعين الطريقة الخاطئة. عليك أن تتوقفي عن التفكير وتبدئي العمل».

أنهيت قهوتي ووقفت، وقد أصدر الكرسي صوتًا مزعجًا على الأرضية الخرسانية. بدا المقهى كملجأ حربي مطلي بالنيوون، وقد سبب لي الشعور بعدم الراحة.

سألت بي بينما وقفت أحمل حقيبتي: «البدء في ماذا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟».

قلت بغطرسة وأنا أقودها خارج المقهى: «لإيجاد نوع مختلف من الرجال لك».

نظرت بي حولها متحيرة وسألت: «المكتبة؟ لم أكن أعلم حتى بوجود مكتبة في شورديتش».

قلت بصرامة: «يجب أن تصبحي عضوة، المكتبات في طريقها للانقراض، وهذه مأساة».

بدت بي كأنها تشعر بالذنب، وقالت: «صحيح» بينما وقفت تتفحص الرف الأقرب، الذي ملأته روايات رومانسية. ثم صاحت: «أوه، سآخذ هذا الرجل»، مشيرة إلى رجل دون

قميص على غلاف رواية لميلز وبون.

أمسكتها من ذراعيها ووجهتها نحو قسم الجرائم والإثارة. فعلى الأغلب لم نكن لنجد رجلًا إذا وقفنا نتسكع بجوار الروايات الرومانسية، فالشخص الآخر الوحيد في الأفق هو سيدة تبدو مراوغة، وقد هربت من زوجها لبضع دقائق وتخطط للاستفادة من الوقت أقصى استفادة. آه نعم: هناك رجل أشقر الشعر يرتدي الجينز وقميصًا يتصفح كتب جون جريشام. حسنًا، يبدو بالتأكيد جديرًا بالاعتبار.

همست: «ما رأيك؟» متراجعة خلف بعض كتب الطبخ وأشرت إلى بي لتلقي نظرة.

مالت بي لتلقي نظرة على الرجل الأشقر، ثم قالت بصوت يغلفه الأسى: «أوه، نعم، ربما! أوه، لا، انتظري، انظري للحذاء... هذا التصميم يشير لطفل مدلل من نخب أكسفورد وكامبريدج»، ثم استطرت: «أتوقع راتبًا بستة أرقام وعقدة نقص سامة زرعها فيه والده المتسلط».

ذكَّرتها: «لا تصادري على أحد وانفتحي على جميع الخيارات، هل تثقين بي يا بي؟».

«أوه، أنا... نعم، في الواقع أثق بك».

فردت أكمامي، وقلت: «في هذه الحالة، هيا سندخل».

«هل تعتقد أن المرأة يجب أن تغير لقبها وتتبنى لقب زوجها عندما تتزوج؟».

«أوه، إممم، حسنًا، في الواقع أعتقد أن هذا خيار شخصي جدًّا، لذلك...».

«ماذا عن المساعدة في الأعمال المنزلية؟ هل تجيد التنظيف بالمكنسة الكهربائية؟».

«أنا... كفء، إذ جاز لي. عذرًا، هل يمكنني أن أسأل ما الذي...».

«هل تَعدُّ نفسك رومانسيًّا؟».

«نعم، أعتقد ذلك، إذا...».

«وعلاقتك الأخيرة يا عزيزي. كيف انتهت؟».

حدق الشاب في وجهي وفمه مفتوح قليلًا. نظرت إليه أنتظر إجابته.

سيعذرك الناس في كثير من الأشياء عندما تكونين سيدة مسنة.

«إنها... لقد توقفت عن حبي، حقًّا».

قلت، وأنا أربت على ذراعه: «أوه، يا إلهي، كم هذا حزين!».

بدا مرتبكًا: «عذرًا، كيف كنا... كنا نتحدث عن روايات جون جريشام، ثم أصبحت ... تسألين أسئلة ... والآن ... أصبحت تلك الأسئلة ... شخصية جدًّا».

ترددت وأنا أحاول تذكر التعبير. ذكره فيتز ونحن نتناول الشاي في الليلة الماضية. قلت: «أنا ألطف الأجواء وأمهد الطريق».

«أنت تلطفين...».

«من أجل صديقتي، بي. بي!».

ظهرت بي من وراء الأرفف، وهي تشير لي بأن أصمت، ثم قالت: «إيلين! أوه، يا إلهي، أنا آسفة جدًّا، هذا محرج تمامًا» ثم قالت: «هيا يا إيلين، لنذهب، لقد أخذنا ما يكفي من وقت الرجل...».

منحته ابتسامة خفيفة من ابتساماتها المبهجة، فاتسعت عينا الرجل الأشقر ومال الكتاب من بين يديه بضعة سنتيمترات، كما لو أنه نسي أنه من المفترض أن يمسك به.

قال: «لا توجد مشكلة... إممم».

قلت: «بي، هذا الشاب يرغب في اصطحابك لتناول القهوة في ذلك المقهى الجميل بالخارج، أليس كذلك يا عزيزي؟».

بدأ وجه الرجل الاحمرار بشكل جذاب وقال: «في الحقيقة، أود ذلك، بالتأكيد».

عندما عدت إلى المنزل، قام فيتز من فوق الأريكة، بوجه عابس، وقال: «إيلين، لديَّ أخبار سيئة».

وضعت يدي على صدري: «ماذا حدث؟ ما الأمر؟».

«لا، لا، ليس بالأمر السيئ! فقط عن نادي سيلفر شورديتشرز الاجتماعي الخاص بنا».

اخترنا أنا ومارثا وفيتز هذا الاسم لنادينا، الليلة الماضية، بعد كأس كبير من الشراب. أعتقد أنه رائع. كما قررنا جميعًا أن نحاول الجري في اليوم التالي، وهي ليست فكرة رائعة، وقد تم التخلي عنها بسرعة بسبب ركبتي، وشهور الحمل المتأخرة لمارثا، والكآبة الصباحية التي تعتري فيتز، أيًّا كانت.

«تقريبًا أحب الجميع الفكرة، وقد حصلنا على موافقة المالك أيضًا، ما دامت الأعداد لا تتجاوز خمسة وعشرين ولا يتعرض أي شيء للكسر. لكن هناك سيدة في الشقة 6 غير سعيدة بذلك»، أكمل فيتز، وهو يساعدني في خلع سترتي: «تقول إنها لا توافق على إعطاء الكثير من الغرباء صلاحية دخول المبنى».

عبست وقلت: «هذا يعني أنها تقيم حفلات أعياد الميلاد للجميع على الأسس نفسها، أليس كذلك؟»

ضحك فيتز، وقال: «نقطة وجيهة. سأرسل لها بريدًا إلكترونيًّا وأشرح لماذا...».

لوحت له بيدي: «لا مزيد من رسائل البريد الإلكتروني وهذا الهراء. سأذهب وأتحدث معها».

أومأ فيتز برأسه، ممسكًا سترتي في يديه. وقال: «أوه، حسنًا».

ذهبت فلم أجدها في المنزل. فكرت في ترك ملاحظة تحت الباب، لكن لا، هذا ليس أفضل من البريد الإلكتروني. أريد من هذه السيدة أن تنظر إليّ وجهًا لوجه وتشرح بالضبط لماذا لا تريد بعض السيدات والرجال المسنين، أن يستمتعوا بدروس فنية لطيفة وغداء في مكان قريب من شقتها.

عدت غاضبة متذمرة على طول الممر إلى شقة لينا مرة أخرى. دفع فيتز جهاز لينا المحمول نحوي عبر طاولة الإفطار بيننا، بمجرد أن استقررت فوق مقعدي.

قال: «هذا سيسعدك، ظل الهاتف يصفّر بالرسائل الجديدة».

موقع التعارف مفتوح بالفعل على الشاشة. لقد كنت أزور الموقع كثيرًا في الآونة الأخيرة، وأرسل بشكل رئيسي إلى فتى الريف العجوز، الذي اتضح لاحقًا أن اسمه هوارد، والذي بدا أيضًا أنه لطيف جدًا. في اليوم الذي قررت فيه إعادة قراءة محادثتنا، فوجئت بأننا تبادلنا بالفعل كمية كبيرة من الرسائل.

فتى الريف العجوز: كيف حالك اليوم، إيلين؟ كان يومًا هادئًا هنا. ليست هناك أحداث كثيرة، كما تعرفين.

فتى الريف العجوز: أستمر في قراءة رسائلنا وأفكر فيك. لقد تعارفنا لفترة قصيرة، لكن الأمر يبدو كأننا صديقان قديمان فتى الريف العجوز: آمل ألا يكون هذا سابقًا لأوانه! أشعر فقط بأنني محظوظ جدًّا لأنني التقيت بك هنا. في يوم هادئ مثل اليوم، من الرائع أن أستطيع العودة إلى محادثتنا.

تنهدت. يبدو هوارد متلهفًا، يا له من رجل. لست معتادة الرجال الذين يتحدثون عن مشاعرهم كثيرًا هكذا. لست متأكدة مما أشعر به حيال ذلك.

ثم فكرت في ليتيتيا، المنحنية على طاولتها بين أجراسها الهوائية، تنتظر توصيلاتها من شركة أيسلندا، وتساءلت عما إن كان ربما يشعر بالوحدة الشديدة. ومن الجميل حقًّا أنه يُقدِّر الوقت الذي نقضيه في الحديث.

إيلين كوتون *79*: مرحبًا هوارد، آسفة لأن يومك ليس جيدًا. هل لديك جيران يمكنك التحدث معهم؟

فتى الريف العجوز: جميعهم شباب وعصريون! لن يهتموا بالتحدث معي.

ترددت. هل سيكون من السابق لأوانه ذكر نادي شورديتش الاجتماعي؟

ليكن إذن! لم لا؟

إيلين كوتون *79*: أحاول إقامة نادٍ اجتماعي قد يعجبك. إنه مخصص لمن هم فوق سن السبعين في منطقتي. لدينا بعض المشاكل في بدء النشاط في الوقت الحالي، لكن بمجرد أن نبدأ، هل ستكون مهتمًّا بالمجيء؟ أعلم أنك في غرب لندن، أليس كذلك؟ لكن سيسعدنا كثيرًا أن تأتي!

تأخر هوارد قبل أن يرد على غير المعتاد، فبدأت أشعر قليلًا بالسخافة. ربما كانت عبارة «سيسعدنا كثيرًا أن تأتي» مُبالغًا فيها. لكن، أخيرًا..!

فتى الريف العجوز: سأحب أن آت! هل ستكونين موجودة؟

إيلين كوتون 79: بالطبع!

فتى الريف العجوز: إذن لا أستطيع الانتظار حتى نلتقي شخصيًّا.

ابتسمت، لكن قبل أن أتمكن من الرد، أضاءت الشاشة برسالة جديدة.

فتى الريف العجوز: ربما يمكنني المساعدة بطريقة ما. أجيد إنشاء المواقع الإلكترونية اعتدت أن أفعل ذلك بوصفه جزءًا من عملي. هل ستكونين مهتمة بأن أُنشئ واحدًا لناديك الاجتماعي؟

إيلين كوتون 79: ذلك حقًّا مثير للاهتمام! نعم، يبدو ذلك رائعًا. لكن في الوقت الحالي، نحتاج إلى الحصول على إذن من شخص آخر في المبنى، ومن المفترض أن نحصل على ذلك قريبًا.

فتى الريف العجوز: لا أستطيع الانتظار لأكون جزءًا من ذلك!

ابتسمت. ثم جاء إشعار جعلني أقفز من مكاني.

مستخدم جديد زار ملفك الشخصي.

حلقت بإصبعي فوق الإشعار، مشوشة، ثم تذكرت ما شرحته لي بي عن كيفية إبقاء المحادثة مفتوحة في مربع آخر.

ضغطت.

اسم المستخدم: أرنولد 1234

لا صورة ملف شخصي، لا وصف، لا شيء. هذا أمر غير معتاد بهذا الموقع. يقول ملفي الشخصي كل أنواع المعلومات عني؛ من الأماكن المفضلة لقضاء عطلاتي، إلى كتبي المفضلة.

ضيقت عينيّ متشككة. بالطبع، هناك الكثير من الأشخاص الذين يحملون اسم أرنولد في العالم. إنه اسم ليس نادرًا.

لكن لا أستطيع التوقف عن التفكير في...

ضغطت على زر إرسال رسالة على الشاشة.

إيلين كوتون *79*: مرحبًا أرنولد! لاحظت أنك تتصفح صفحتي وفكرت في أن ألقي التحية.

عدت إلى محادثتي مع فتى الريف العجوز. سيكون من السهل جدًّا أن يختلط عليَّ الأمر وأرسل رسالة للرجل الخطأ. لا أقول إنني أتلاعب بالرجال، بالطبع .

فتى الريف العجوز: سأقضي مسائي مع كتاب جيد، أعتقد! ماذا تقرئين في الوقت الحالي؟

إيلين كوتون *79*: أعيد قراءة أعمال أجاثا كريستي مرة أخرى. لا أملُّ منها أبدًا!

وفي هذه الأثناء، في النافذة الأخرى:

أرنولد *1234*: إيلين؟ أنا أرنولد ماكنتاير من الشقة المجاورة.

كنت أعلم ذلك! ماذا يفعل هذا الرجل العجوز على صفحتي في موقع اللقاءات العاطفية؟ ضغطت على ملفي الشخصي وقرأته مرة أخرى كما لو كنت أنظر من خلال عيون أرنولد، فشعرت بالخجل. بدا الأمر غير مريح بشكل مريع فجأة، وغبيًّا جدًّا، فكيف أجرؤ أن أقول إنني مفعمة بالحياة وأبحث عن مغامرة جديدة؟!

إيلين كوتون *79*: ماذا تفعل هنا يا أرنولد؟؟؟

ندمت على علامات الاستفهام الثلاث بمجرد أن ضغطت زر الإرسال؛ لأنها لا تعبر عن العجرفة التي أحاول التعامل بها مع أرنولد طوال الوقت.

أرنولد *1234*: الشيء نفسه الذي تفعلينه.

تنهدت بحدة.

إيلين كوتون *79*: حسنًا، هنيئًا لك، لكن هلا بقيت بعيدًا عن صفحتي؟!

أرنولد *1234*: آسف يا إيلين. كنت فقط أبحث عن بعض الأفكار لما أكتبه في صفحتي. لا أجيد هذا النوع من الأشياء.

لنت قليلًا.. لم يخطر ذلك ببالي.

إيلين كوتون *79*: ساعدتني صديقة لينا في إعداد صفحتي. لماذا لا تطلب المساعدة من جاكسون؟

أرنولد *1234*: أطلب نصيحة من جاكسون؟ سينتهي بي المطاف مع فتاة بائسة تُدعى بتونيا أو نارسيس أو شيء من هذا القبيل.

ضحكت بشدة.

إيلين كوتون *79*: «في تلك الحالة ستكون محظوظًا يا أرنولد ماكنتاير!».

يا إلهي، لقد نسيت هوارد للحظة هناك. عبست، وضغطت مرة أخرى للعودة إلى المحادثة الصحيحة. لا أريد أن أتشتت مع الرجال القدامى من هاملي.

فتى الريف العجوز: لم أقرأ لأجاثا كريستي من قبل، لكنني سأفعل الآن بعد أن أوصيت بها! أي كتاب يجب أن أبدأ به؟

ابتسمت، وأنا أكتب بالفعل. الآن، هذا هو الأسلوب الذي أفضله.

# 17 لينا

ألقيت نظرة على ساعتي، وأصابعي تنقر على عجلة القيادة. إنني أجلس في مقعد السائق بسيارة المدرسة، التي تُتاح، على ما يبدو، لجدتي بين الحين والآخر، حتى تتمكن من أخذ العصبة إلى البينجو. جلست بجواري نيكولا؛ عميلتي الجديدة - والوحيدة - في دوري كسائق تاكسي تطوعي لكبار السن في كنارجيل. لا بد أنها في الخامسة والتسعين على الأقل - لم أرَ أي شخص لديه هذا الكم من التجاعيد من قبل - لكن شعرها البني يشوبه خصلات قليلة من الرمادي، ولديها حواجب كثيفة ودقيقة أضفت عليها مهابة وجعلتها تبدو مثل أستاذ جامعة غريب الأطوار. حتى الآن، قضت معظم رحلاتنا معًا في إطلاق أحكام غير مبررة ومعقدة عن أي سائق نمر به على الطريق، إنها وقحة جدًّا ومضحكة تمامًا. لقد قلت لبي إن لدي صديقة جديدة الآن.

بالإضافة إلى كونها مسنّة جدًّا، وقاسية جدًّا في أحكامها، نيكولا أيضًا وحيدة. أخبرتني عندما التقينا لأول مرة أنها لم تعرف معنى الوحدة حتى توفي زوجها قبل أربع سنوات، الآن يمكن أن تمر أيام، وأحيانًا أسابيع، دون أن تلتقي بأعينها أحدًا. لا يوجد شيء مثل ذلك، على حد قولها. هذا لا يُصدق.

لقد استغرق الأمر عدة أيام أحاول أن أكتشف طريقة جيدة لإخراجها من المنزل، ثم أخيرًا توصلت إلى الفكرة بعد أن طلبت مني أمي أن أصطحبها للبينجو. كانت البينجو هي الحل المثالي. وكلما زاد عددنا، كان أفضل، بصراحة، ولا سيما الآن بعد أن قررت دعوة والدتي، التي لم أُجرِ معها محادثة طبيعية منذ عام وشهرين.

سألت نيكولا، محدقة فيّ: «لماذا تبدين متوترة هكذا؟».

«لست متوترة».

لم تقل شيئًا، لكن عينيها عكستا عدم تصديقها.

«الأمر متعلق بوالدتي. نحن لا... لم نكن على وفاق، وقد تأخرت في النزول». ألقيت نظرة على ساعتي مرة أخرى. ذهبت والدتي إلى درس اليوجا في تاونتينجهام وطلبت مني أن أمر عليها لأقلَّها من هناك، وهو بعيد جدًّا عن طريقي، لكنني ظللت أحاول جاهدة ألا أنزعج.

«هل حدثت خلافات بينكما؟».

«نوعًا ما».

«مهما كان الأمر، أنا متأكدة أنه لا يستحق الشجار مع والدتك. الحياة أقصر من ذلك».

«حسنًا، لم تسمح لي بإقناع أختي بتجربة علاج سرطان محتمل لإنقاذ حياتها. وها هي أختي ماتت».

سكتت نيكولا ثم قالت بأسف: «حسنًا.. يا إلهي!».

في تلك اللحظة، انفتح باب السيارة وركبت والدتي. لاحظت، مع شعور بالألم، أن النافذة إلى جانب نيكولا مفتوحة على مصراعيها.

قالت والدتي: «علاج محتمل لإنقاذ حياتها؟». سقط قلبي بين قدمي إزاء نبرة صوتها، إذ كانت تقطر غضبًا. لم تتحدث إليَّ بهذه الطريقة منذ أن كنت طفلة. أكملت: «ماذا كان العلاج المحتمل لإنقاذ حياتها يا لينا؟».

أجبت ممسكة عجلة القيادة، دون أن ألتفت: «أريتك، أريتك الأبحاث، أعطيتك ذلك الكتيب من المركز الطبي في الولايات المتحدة...».

«آه، الكتيب، صحيح. العلاج الذي نصح الأطباء كارلا بعدم تجربته. العلاج الذي قال الجميع إنه لن ينجح، وكل ما سيفعله أنه سيطيل ألمها...».

«ليس الجميع».

«عذرًا، الجميع ما عدا طبيبك الأمريكي الذي أراد أن يكلفنا عشرات الآلاف من الجنيهات مقابل بعض الأمل الزائف».

ضربت يدي بقوة على عجلة القيادة والتفتت لمواجهتها. رأيت وجهها محمرًا من الانفعال، الاحمرار الذي تناثر على جلد صدرها وأغرق خديها. غمرتني بموجة من الخوف تقريبًا، لأننا بالفعل نتحدث عن هذا، نحن بالفعــل نُجري هذه المحادثة، إنها تحدث.

«الأمل. الفرصة. كنتِ دائمًا تقولين طوال حياتي إن نساء كوتون لا يستسلمن، ثم عندما جاء الأمر الأكثر أهمية من أي شيء آخر في العالم، تركتِ كارلا تستسلم».

تنحنحت نيكولا... صِرنا محرجتين، التفتنا لها أنا وأمي بفمين مفتوحين، كما لو أنه تم القبض علينا وسط حديث.

قالت نيكولا لأمي: «مرحبًا. أنا نيكولا ألديرسون». بدت كأنها قد اخترقت فقاعة، إذ انكمشنا نحن الاثنين في كرسيينا.

ردت أمي، وهي تستقر في مقعدها وتربط حزام الأمان: «أوه، مرحبًا، عذرًا، أعتذر جدًّا. كم هو فظيع منا أن - أن - أنا آسفة جدًّا».

تنحنحت والتفتُّ مجددًا إلى الطريق، بقلب ينبض بشدة لدرجة أنه كاد يجعلني أشعر بالاختناق، كما لو أنه كان يحاول الخروج من حلقي. لقد تأخرت على بقية مجموعة البينجو، الآن، أدرت المفتاح وبدأت التحرك.

... فاصطدمت مباشرة بعمود حديدي.

تبًّا. تبًّا. كنت أعلم مسبقًا بوجود العمود هناك، وقد سجلت ذلك بذهني عندما أوقفت السيارة هنا، إذ قلت لنفسي: عندما تنطلقين، لا تنسي العمود الذي يخرج عن مجال رؤيتك.

يا إلهي!

قفزت خارج السيارة الفان عابسة، أغطي وجهي بيديّ.

وجدت الجانب السفلي الأيمن من غطاء المحرك متضررًا بشدة.

قالت أمي وهي تقفز من الشاحنة خلفي وتصفق الباب بقوة: «في الحقيقة لا... لقد سئمت هذه المحادثات غير المكتملة معك. آسفة يا نيكولا لكننا لم ننتهِ بعد».

قالت نيكولا: «لا بأس، سأغلق النافذة، حسنًا؟»

قالت أمي ويداها مكورتان على جانبيها. «كيف تجرئين على قول إنني تخليت عن ابنتي؟!».

كنت ما أزال أحاول استيعاب ما حدث للسيارة من ضرر: «أمي، أنا...».

ارتفع صوت أمي: «أنت لم تريها كل يوم، ولا دخولها الطوارئ بين الحين والآخر، والتقيؤ المروع المستمر، والأوقات التي كانت فيها ضعيفة تمامًا بحيث لا تستطيع الذهاب إلى الحمام. كانت تتخفى وراء قناع من الشجاعة عندما تزورينها، ولم تريها مطلقًا في أسوأ حالاتها!».

أطلقت شهقة صغيرة. آلمني ما قالته. «كنت أريد أن أكون معها أطول وقت ممكن». شعرت بوخز في عينيّ، كنت على وشك أن أبكي. أكمَلت: «أنت تعرفين أن كارلا لم ترد أن أترك وظيفتي، وأنا لم أستطع أن أكون هنا طوال الوقت يا أمي، أنت تعرفين ذلك».

«لكنني كنت هنا طوال الوقت، ورأيتها، وشعرت بما شعرت به. أنا أمها!».

ضيقت أمي عينيها، كعينيْ قطة، مما أثار رعبي. تحدثت مرة أخرى قبل أن أستطيع الرد، تدفقت الكلمات من فمها بصوت حاد ومرتفع لا يبدو كصوتها المعتاد.

«هل هذا هو السبب الذي تركتِنا من أجله وأخرجتِنا من حياتك؟ لتعاقبيني، لأنك تعتقدين أنني لم أحاول بما فيه الكفاية من أجل كارلا؟ إذن دعيني أخبرك بشيء يا لينا. لا يمكنك أن تتخيلي كم كنت أرغب أن يكون طبيبك الأمريكي على حق، لن يَسَعك تخيل ذلك. فقدان كارلا جعلني أتساءل في كل دقيقة من كل يوم: لماذا أحيا، وإذا كانت هناك أي طريقة أعتقد أنني كنت سأستطيع بها إنقاذ ابنتي الصغيرة، لأخذت بها». شهقتْ بخدين مبللين بالدموع، وأكملت: «لكن ذلك لم يكن لينجح يا لينا، وأنت تعرفين ذلك».

قلت واضعة يدي على وجهي: «ربما كان سينجح، ربما».

«وأي نوع من الحياة كانت لتحظى به كارلا لو نجح؟ كان ذلك خيارها يا لينا».

صرخت: «حقًّا؟ لقد كانت مخطئة أيضًا!»، وقد تركت يديّ على جانبي، وأحكمت قبضتيهما، وأكملت: «أكره أنها توقفت عن القتال، وأكره أنك توقفت عن القتال من أجلها. والآن تلومينني وتقولين إنني تركتك؟ وتقولين إنني عزلت نفسي؟». شعرت بعواطفي تغلي بشدة في بطني، وهذه المرة لم أكبتها في داخلي، وأردفت: «لقد انهرتِ تمامًا! وكنت أنا من حافظ على كل شيء، كنت أنا من نظم الجنازة وتولى الأوراق، وأنتِ انهرت. لذا لا تتحدثي عني كأنني تركتك. أين كنت عندما فقدت أختي؟ أين كنت، بحق السماء؟».

تراجعت أمي قليلًا. أدركت أنني حقًّا أصرخ. لم أصرخ في وجه أي شخص بهذا الشكل في حياتي.

«لينا...».

عقبت، وأنا أمسح وجهي بكُم ثوبي وأفتح باب السائق بعنف: «لا! لا، لقد انتهيت».

قالت نيكولا: «أنت، في حالة غير مناسبة للقيادة».

وبأصابعي المرتجفة، أدرت المفتاح. أصدرت السيارة صوتًا متقطعًا ثم بدأت العمل. جلست أحدق في الطريق أمامي، يملؤني الشعور بأن كل شيء خارج سيطرتي.

فتحت نيكولا بابها، فنظرت إليها، وسألتها بصوت يقطر حزنًا: «ماذا تفعلين؟».

أجابت: «لن أَدَعك توصلينني إلى أي مكان».

فتحت بابي أيضًا، لأن نيكولا لا يمكنها النزول من الفان دون مساعدة. كانت أمي لا تزال واقفة حيث تركتها، ذراعاها مطويتان حول جسدها، وأصابعها ملتفة حول ضلوعها. ولوهلة، أردت أن أركض نحوها وأدعها تلاطف شعري، كما اعتادت أن تفعل عندما كنت طفلة.

لكن بدلًا من ذلك، تحولت بناظري بعيدًا وساعدت نيكولا على النزول من المقعد المجاور. آلمني جسدي، كما لو كنت قد قضيت ساعات في صالة الألعاب الرياضية. وقفنا نحن الثلاثة هناك، بينما أنا وأمي ننظر في كل اتجاه وأي مكان إلا إلى بعضنا. اضطرب الهواء من حولنا.

قالت نيكولا: «حسنًا إذن؟».

المزيد من الصمت.

قالت نيكولا مرة أخرى: «لا؟ لا أحد سيقول شيئًا؟».

شعرت بالعجز عن قول أي شيء، فظللت أحدق في الأسفلت، وشعري يرسم خطوطًا رطبة على خدي عند ارتطامه به.

قالت نيكولا: «لا أعرف شيئًا عن عائلتك، لكن ما أعرفه هو أن الأمطار على وشك أن تبدأ الهطول بغزارة، وسنضطر إلى الوقوف هنا مكتوفي الأيدي في منتصف الطريق حتى تهدأ لينا بما يكفي لتقود، لذا كلما أسرعنا في حل كل هذا، كان أفضل».

قلت: «أنا هادئة ... أنا هادئة».

نظرت نيكولا إليَّ بتشكيك وهي تقول: «أنت ترتجفين مثل ورقة شجر، والماسكرا وصلت إلى ذقنك».

ثم تحركت أمي، ومدت يدًا واحدة، وقالت: «أعطني المفاتيح، سأقود».

«أنت غير مؤمَّن عليك للقيادة». كرهت صوتي هنا، كان متقطعًا وضعيفًا.

اقتربت أمي منا، بينما اقتربت حافلة أيضًا.

قالت أمي: «حسنًا، نطلب مساعدة أحد للتأمين؟».

قالت نيكولا وهي تنظر إلى والدتي من الأعلى إلى الأسفل: «لست متأكدة أنك أنت أيضًا قادرة على القيادة، فحالك ليست بأفضل منها».

قلت: «نستقل الحافلة؟».

عقبت نيكولا: «إممم، ممكن».

أشرت، ثم لوحت بذراعي، ثم لوحت بكلتا الذراعين، فتوقفت الحافلة.

قالت السائقة عندما توقفت بجانبنا: «يا إلهي، ماذا حدث هنا؟ هل أنتن بخير؟ هل وقع حادث؟».

قالت نيكولا، وهي تبدأ الصعود: «بالمعنى المجازي فقط يا عزيزتي، هل أنتِ مستقرة عاطفيًّا؟ أعني ألن تشرعي في البكاء في أي لحظة؟».

ردت السائقة: «مم، أنا بخير، شكرًا».

«عظيم، عظيم. ادخلن إذن يا سيدات، هيا بنا».

انتهى الأمر بي وأمي جالستين على جانبين مختلفين من الحافلة، كل منا تنظر مباشرة إلى الأمام. جلست ببطء في مقعدي، والدموع تتلاشى. جعلني التمخط أشعر بتحسن كبير، وكأنها نهاية رسمية لكل هذه الدموع التي ذرفتها، ومع توجهنا نحو هاملي، تلاشى ذلك الشعور المرعب بفقدان السيطرة على نفسي، وزال الضيق من ضلوعي وهدأ تسارع أنفاسي.

لست متأكدة تمامًا مما حدث للتو، لكن ليس هناك الكثير من الوقت للتفكير في ذلك الآن، أخذت سائقة الحافلة مسارًا مختلفًا عن مسارها المعتاد لتوصيلنا إلى القرية، لكن مع ذلك، وصلنا متأخرات.

تجمع رواد لعبة البينجو عند زاوية شارع بيويت وشارع ميدلينج، أمام متجر القرية، وكان المطر قد بدأ الهطول قبل بضع دقائق، ومعظم اللاعبين يمكن التعرف عليهم بصعوبة داخل المعاطف الضخمة والمعاطف المقاومة للماء.

سألت نيكولا بجانبي، بينما كنا نقترب من مجموعة من هواة البينجو: «ماذا نفعل؟ ليست لدينا سيارة لنأخذهم إلى ساحة لعب البينجو. هل أقول لهم أنه قد أُلغي؟».

قلت، وأنا أمسح وجهي: «عفوًا؟ لم يُلغَ. كل ما يتطلبه الأمر هنا هو قليل من التفكير الإبداعي».

«هل أنت متأكدة أنك قادرة على ...» توقفت أمي عن الكلام عندما رأت تعبير وجهي. وقالت: «حسنًا، ما الذي تحتاجين إليه؟».

قلت: «أقلام فلوماستر، وكراسي، ومنديل للوجه، لإزالة الماسكرا عن ذقني»

«سبعة وعشرون! اثنان وسبعة! واحد وثلاثون! ثلاثة وواحد، هذه مجموعها واحد وثلاثون!».

لقد بحَّ صوتي من الصراخ بعد كل ذلك البكاء. إنني ممتنة لطابعة جدتي، ربما استغرق الأمر نصف ساعة من العذاب البطيء، لكنها في النهاية أنتجت خمس عشرة لوحة بينجو*. خلال ذلك الوقت، اختفت والدتي (ربما كان ذلك أفضل)، لكن بقية عشاق البينجو في هاملي جلسوا على كل الكراسي الموجودة في منزل جدتي، بالإضافة إلى ثلاثة كراسي من عند أرنولد. بعد شيء من التذمر الأولي، بدا أن لاعبي البينجو معجبون بتجهيز المكان، وعندما قمت بإعداد بعض أطباق التسالي التي خزنتها جدتي في الفريزر ووزعت بعض العصير، تحسنت أجواء الغرفة بشكل ملحوظ.

لقد أعدت ترتيب غرفة المعيشة بحيث أتمكن من الوقوف في المقدمة، حيث يوجد التلفاز، ويمكن لعصبة البينجو جميعًا رؤيتي، وأيضًا سماعي، لكن ذلك لم يَسِر بشكل جيد».

صرخ رولاند: «ماذا؟ هل كانت تلك تسعة وأربعين؟».

صرخت بينيلوبي ترد عليه: «واحد وثلاثون!».

«واحد وعشرون؟».

صاحت مرة أخرى: «واحد وثلاثون!».

اقترحت: «ربما ينبغي أن تجلس بينيلوبي بجوار رولاند لكي تكرر له ما أقول».

أشارت بيتسي بجدية: «لم نكن لنواجه هذه المشكلة في قاعة البينجو».

قال رولاند، وهو يرتشف بسعادة من الزجاجة: «لكن العصير ليس بهذه الجودة في قاعة البينجو».

علقت بينيلوبي: «ولفائف المقبلات الصغيرة تلك لذيذة أيضًا».

كتمت ابتسامة وعدت أنظر إلى مُولِّد الأرقام العشوائية على هاتف كاثلين، إذ إن هاتفي الآن - المعروف سابقًا بهاتف الجدة - بدائي جدًّا ولا يحتوي على مثل هذه الميزات، لكن كاثلين جاءت لإنقاذي وأعارتني هاتفها الذكي. صرخت: «تسعة وأربعون! هذه أربعة وتسعة!».

قال رولاند: «ظننت أنك قلت تسعة وأربعين! ألم تقولي تسعة وأربعين بالفعل؟».

صرخت بينيلوبي: «لقد قالت واحد وثلاثين!».

«سبعة وثلاثون؟».

صاح صوت آخر: «ثلاثة وثلاثون» كانت تلك نيكولا، من خلف رولاند، تعلو وجهها نظرة شريرة، التقطت نظرتها وقلبت عيناي تأنيبًا.

ثم همست لها: «هذا لا يساعد!» فرفعت كتفيها بلا اعتذار.

سأل رولاند: «هل قال أحد ثلاثة وثلاثين؟».

صاحت بينيلوبي ببهجة: «واحد وثلاثون!».

«أربعون -».

صاح باسيل: «يا إلهي. رولاند، ارفع صوت سماعة أذنك!».

حلَّ صمت قصير، ثم ضجت غرفة المعيشة بالضوضاء. فركت عيني، كانتا تؤلمانني من البكاء. رن جرس الباب فتجمدت في مكاني. كنت أعلم مَن بالباب.

لم أمتلك الشجاعة بما يكفي لإخبار جاكسون عبر الهاتف أن سيارة المدرسة، التي أعارني إياها بلطف، قد صدمتها وأنها حاليًا متروكة خارج تونتينجهام. كان من الأفضل مناقشة ذلك وجهًا لوجه.

أسرعت إلى الباب، والذي لم يكن بالأمر السهل مع وجود كل هذه العقبات؛ من الكراسي إلى العكازات.

كان جاكسون يعتمر قبعة صوفية رمادية مائلة تغطي نصف أذنه اليسرى، والقميص الذي يرتديه تحت سترته مجعد لدرجة يبدو كأنه قام بكيِّ التجاعيد عمدًا.

ابتسم لي عندما فتحت الباب، وسأل: «هل أنت بخير؟».

أجبته: «إمممم... ألا تدخل؟».

تقدم إلى الرواق، ثم مال برأسه، مستمعًا إلى الفوضى المنبعثة من غرفة المعيشة، فرمقني بنظرة فضولية.

قلت: «تغيير في خطة البينجو». شعرت بالتوتر، قلت: «هناك شيء... نوعًا ما أحتاج إلى التحدث معك عنه. كان هناك حادث صغير، بالسيارة الفان. التي سمحت لي باستعارتها»

لم يغضب جاكسون فورًا: «ما حجم الأضرار؟».

«سأدفع مقابل كل شيء، بالطبع، إذا لم يكن مشمولًا بالتأمين. وسأذهب إلى حيث تركتها وأقودها إليك أو مباشرة إلى المرأب أو أيهما يناسبك بمجرد مغادرة هذه المجموعة. وأعلم أنني قادمة لمساعدتك في طلاء صفك، هذا الأسبوع، لكن إذا كان هناك أي شيء آخر يمكنني فعله لتعويض - لتعويض ما يبدو أنه فوضى تسببت بها في حياتك حيثما أستطيع...».

سكتُّ وقد تركت الجملة مُعلقة، بينما بدا على جاكسون أنه يريد أن يضحك.

«لا بأس».

«حقًّا؟».

خلع قبعته ومسح شعره، وقال: «حسنًا، ليس كل شيء على ما يرام، لكنك أكثر قسوة على نفسك مما أستطيع أن أكون، وهذا إلى حد ما يحرمني من أي متعة قد تنبع من توبيخك».

«أوه، آسفة...» لم أتمالك نفسي فضحكت، وأكملت: «لا أقصد، آسفة، بل شاكرة. شكرًا على عدم كونك غاضبًا. لقد كان يومًا سيئًا».

«والآن لديك لاعبو بينجو في غرفة معيشتك».

«نعم، يوم سيئ أخذ منحى غريبًا جدًّا. هل ترغب في الانضمام؟ لدينا عصير تفاح وحلوى وفطائر».

قال جاكسون: «عصير التفاح؟ وليس شراب العسل؟».

«ماذا؟».

ظهرت غمازة في أحد خديه، وقال: «حسنًا، لن أستغرب أنك تستغلين هذه الفرصة لاستعراض مباهج ذات طابع قروسطي في أمسيتك. هذا كل شيء».

صحتُ: «لن أنحدر إلى مثل هذه المستويات!».

قال، مشيرًا إلى كومة العينات على الطاولة الجانبية: «ما هذا؟».

اللعنة. «مممم...».

رفع بعض المربعات الصغيرة من القماش. كنت أريها بينيلوبي بينما كانت لفائف المقبلات تُطهى. إنها رائعة... تبدو كأنها جاءت مباشرة من وينترفيل. والعينة التي حملها جاكسون

أثناء حديثنا كانت بلون ذهبي جميل بنمط متكرر لتنين على شعار النبالة.

قلت، وأنا اتقدمه إلى غرفة المعيشة: «أفكر في... تغيير التصميم».

«تغيير تصميم منزل جدتك؟ إلى التنانين؟».

قلت: «أنت تعرف جدتي! إنها تحب الأساطير».

ارتسمت ابتسامة على وجهه، لكنه أعاد لي قطعة القماش، ثم سرنا جنبًا إلى جنب إلى غرفة المعيشة؛ إلى أن توقف عند الباب ونظر إلى الفوضى بوجه خالٍ من التعبيرات.

«هل تعتقد أن جدتي ستغضب إذا عرفت أنني جعلت غرفة المعيشة فوضوية هكذا؟ هل هذا ما يدور برأسك؟».

أجاب بنصف ابتسامة: «في الواقع كنت أقول لنفسي كم أن هذا مشهد يليق بإيلين كوتون».

عندما رأيت جماعة مراقبة الحي مرة أخرى، في اليوم التالي، في باحة القرية، بدا لي كأنهم غادروا منزل جدتي منذ دقائق قليلة فقط. إنه اجتماعنا الثاني للجنة يوم مايو، وهو اجتماع مهم.

كنت قد أعددت نفسي بشكل جيد، هذه المرة. فقد أحضرت عينات من المكسرات المحمصة بالعسل والفواكه السكرية واللحوم المحمصة. كما وضعت قائمة بالفئات المستهدفة في مهرجان عيد مايو، ووضعت تفاصيل تبين مدى مثالية طابع القرون الوسطى للزوار.

سألت بيتسي: «كل من يؤيد فكرة لينا يرفع يده؟».

لم تُرفع أي أيادٍ.

عقبت بينيلوبي: «آسفة يا عزيزتي، لكن جاكسون يعرف ما هو أفضل».

كان جاكسون نبيلًا للحد الذي جعله يُظهر قليلًا من الخجل. لم يُحضر أي أوراق تخص اقتراحه، لم يُحضر حتى عينات طعام. لقد وقف فقط، بدا بشكل فوضوي لكنه ساحر، وقال بعض الأمور عن ألعاب جوز الهند والقبعات الشمسية ورمي الحلقات على الأناناس. وهنا كان سحره في أوجِه: سامانثا ترغب في أن تأتي متنكرة في شكل برتقالة ساتسوما.

أوه، انتظروا لحظة...

كانت هناك يد واحدة مرفوعة! يد واحدة!

وقف أرنولد في المدخل رافعًا ذراعه في الهواء. قال: «أنا أؤيد فكرة لينا، آسف يا بني، لكن فكرتها تتضمن الصقور».

ابتسمتُ له مسرورة، أما جاكسون، كعادته، فبدا مستمتعًا بكل ما يحدث. ما الذي قد يثير غضب هذا الرجل؟

عقبت بيتسي: «لم أكن أعلم أنك جزء من لجنة عيد مايو يا أرنولد».

قال بهدوء، وهو يدخل ساحبًا في يده كرسيًّا للجلوس: «أنا جزء من اللجنة الآن».

«حسنًا، لا تزال هناك أغلبية كبيرة لصالح الطابع الذي اختاره جاكسون، كما تعلمين جيدًا يا لينا».

قلت بأكبر قدر من اللطف: «نعم أعلم، هذا جيد. ليكن الطابع استوائيًّا إذن».

شعرت بالضيق، بالتأكيد، أردت الفوز. لكن جمع كل تلك المعلومات كان أكثر متعة مررت بها منذ زمن، وعلى الأقل حصلت على دعم أرنولد - حتى إنني جعلته يحضر اجتماع لجنة

القرية. أتحرق شوقًا لرؤية وجه جدتي حين تسمع أن أرنولد الصامت قد شارك في شيء يخص الصالح العام.

شكرت أرنولد بصوت مهموس، فمنحني ابتسامة خاطفة، في حين استمر الاجتماع. بمجرد أن بدأ باسيل الثرثرة مجددًا عن السناجب، غيرت مكان جلوسي وجلست بجانب أرنولد، متجاهلةً استياء رولاند الواضح من تغييري ترتيب الجلوس.

سألته بهدوء: «ما الذي دفعك للحضور؟».

رفع أرنولد كتفيه وقال: «شعرت بالرغبة في تجربة شيء جديد».

همست: «تريد أن تفتح صفحة جديدة، أليس كذلك؟».

أخرج من جيبه كتابًا صغيرًا بغلاف ورقي يحمل عنوان «جريمة في قطار الشرق السريع». لاحت بعينيْ بيتسي نظرات رعب بينما جلس أرنولد مسترخيًا وفتح الكتاب على الصفحة التي توقف عندها، على الرغم من أن باسيل كان يتحدث في تلك اللحظة.

قال لي أرنولد، متجاهلًا التحديق من جانب بقية اللجنة: «لا تبالغي أنت أيضًا، جئت أساسًا من أجل البسكويت».

مهما يكن. أرنولد يشبه تمامًا شخصية شريك الكرتونية: الغول الأخضر الغاضب الذي نسي كيف يكون لطيفًا مع الناس. وأنا أخطط لأن أكون حماره. لقد دعوته بالفعل لتناول الشاي، هذا الأسبوع، وقد قال بالفعل إنه سيأتي، لذا نحن بالتأكيد نحرز تقدمًا.

وإذا كان أرنولد الغاضب يمكنه حضور اجتماع لجنة القرية، فإن أي شيء ممكن. بينما اقترب الاجتماع من نهايته، راقبت بيتسي وهي تتجه ببطء إلى حامل المعاطف، بينما تلف وشاحها الحريري حول حلقها. حسنًا، حتى وإن كنا بدأنا علاقتنا بالطريقة الخطأ، فماذا في ذلك؟ لا يفوت الأوان أبدًا على تغيير الأمور، هذا ما قلته لأرنولد سابقًا.

تقدمت بخطوات واسعة، ورأسي مرفوع، وسرت بجانبها وهي تغادر الباحة.

قلت: «كيف حالك يا بيتسي؟ أريد أن أدعوك لتناول الشاي في الوقت الذي يناسبك، أنت وزوجك، أود مقابلته».

نظرت إليّ بحذر، وقالت وهي تلبس سترتها: «كليف لا يحب الخروج».

«أوه، آسفة هل هو مريض؟».

قالت وهي تبتعد: «لا».

سرت بجانبها: «أعلم أنك بالتأكيد افتقدت وجود جدتي والحديث معها. آمل إذا كنت كذلك فعلًا... وإذا احتجتِ إلى المساعدة يومًا ما، أو إلى شخص تتحدثين معه، أن تأتي إليّ».

نظرت إليّ بذهول: «أنت تعرضين المساعدة عليّ؟!».

«نعم».

سألت: «وما الذي ستكونين قادرة على فعله؟». واستغرق الأمر لحظة لأدرك أنها تردد ما قلته لها أول حين زارتني أول مرة.

قلت بصراحة: «أنا آسفة، كان ذلك تصرفًا وقحًا مني، عندما قلت ذلك. أنا فقط غير معتادة أن يقدم الناس المساعدة ويقصدوها فعلًا، ليس عندما يتعلق الأمر بوفاة كارلا. عادةً لا يحب الناس التحدث عن الأمر مباشرة. لقد فوجئت».

سكتت بيتسي لفترة. سرنا خلالها بصمت في شارع لين السفلي.

قالت أخيرًا، وهي تشير برأسها إلى الرصيف أمامها: «أعلم أنك أنت من جعل المجلس يعالج هذه الحفر».

«أوه، نعم، لم يكن الأمر مرهقًا. كان يجب عليهم القيام بذلك منذ زمن بعيد. لقد أجريت فقط بعض المكالمات».

قالت بجمود، بينما افترقنا كل في طريقها: «لم يمر مرور الكرام».

# 18 إيلين

تطلَّب الأمر خمس محاولات للوصول للمرأة المتمردة التي تعيش في الشقة رقم 6. إنها بالفعل نادرًا ما تكون موجودة، لا أدري لماذا تتصرف بعجرفة حيال ما يفعله الناس في المبنى.

الميزة في الوقت الطويل الذي مر قبل مقابلتها أنه بحلول الوقت الذي وقفنا فيه وجهًا لوجه، كان غضبي قد برد، ولم يكن من الصعب تمامًا التظاهر باللباقة.

قلت عندما فتحت الباب: «مرحبًا، لا بد أنكِ سالي».

قالت سالي بنبرة متذمرة: «نعم؟ من أنتِ؟» كانت ترتدي بدلة ولا تضع أي مساحيق تجميلية، وشعرها الأسود مربوط على هيئة ذيل حصان مائل.

«أنا إيلين كوتون، أعيش مع فيتز ومارثا، في الشقة رقم 3».

رمقتني سالي، وقالت: «حقًّا؟». وصلني انطباع قوي بأنها لا تريدني هناك.

«جئت لأنني سمعت أنك اعترضت على فكرتنا في إقامة نادٍ اجتماعي صغير بالمنطقة غير المستغلة في الطابق السفلي من المبنى. هل يمكنني الدخول لنتحدث عن الأمر؟».

قالت: «أخشى أن يكون ذلك غير ممكن، أنا مشغولة جدًّا»، وقد تحركت بالفعل لإغلاق الباب.

قلت بحدة: «عذرًا، هل تنوين حقًّا إغلاق الباب في وجهي؟».

ترددت، وبدت متفاجئة قليلًا. فوقفت وبابها نصف مفتوح، مما جعلني ألاحظ أن هناك ثلاثة أقفال على جانبه وليس واحدًا.

لانت نبرتي وقلت: «أتفهم مخاوفك بشأن السماح للغرباء بدخول المبنى. أعلم أن العيش في هذه المدينة يمكن أن يكون مخيفًا. لكن تجمعات الغداء ستكون للسيدات والسادة المحترمين جدًّا، وسنبقي الباب الأمامي مغلقًا أثناء التجمع، لذا لن يتمكن أي شخص غريب من دخول المبنى. كبار السن فقط».

ابتلعت سالي ريقها. أعتقد أنها قد تكون أصغر مما افترضت... أجد صعوبة في تحديد أعمار الناس، هذه الأيام، وقد ضللتني الصرامة والبدلة.

قالت بنبرة حازمة ومباشرة: «انظري، ليس الأمر أنني لا أحب الفكرة. لكن مجرد كون الشخص مسنًّا لا يعني أنه لا يمكن أن يكون خطيرًا. ماذا لو دخل شخص ولم يغادر عندما يذهب الجميع، ومن ثم يبقى في المبنى؟».

أومأت برأسي: «حسنًا. ماذا لو تأكدنا من تسجيل الأسماء، ثم نحصي الجميع عند الدخول والخروج حتى لا يتسلل أحد؟».

مالت برأسها ثم قالت بجمود: «هذا... شكرًا، أعني... يبدو ذلك معقولًا».

حلَّ الصمت قليلًا.

كسرت الصمت: «إذن ستوافقين على السماح للنادي بالمضي قدمًا؟ أنتِ الشخص الوحيد المتبقي».

رمشت، ثم قالت: «حسنًا، نعم. حسنًا، ما دمنا سنحصي الجميع عند الدخول والخروج».

صافحتها: «بالطبع. كما اتفقنا، كان من دواعي سروري مقابلتك يا سالي».

أظهرت سرورًا مبالغًا فيه قليلًا، لكن للضرورة أحكام.

«وأنت أيضًا يا إيلين».

سرت عائدة إلى شقة لينا.

أخبرت فيتز، وأنا أتجه إلى غرفة نوم لينا: «حصلنا على موافقة سالي من الشقة رقم 6».

راقبني فيتز وأنا أمر بجواره وفمه مفتوح، ثم قال: «كيف فعلت ذلك؟!»

بعد بضع ليال، كنت أنا وتود جنبًا إلى جنب على أريكته في غرفة المعيشة بمنزله الفخم. كانت ذراع تود مشبكة بذراعي، وملمس جلده يبث الدفء في أوصالي الباردة.

رن هاتف، لم أتحرك؛ لأنه في الغالب يكون هاتف تود، وعادة ما يكون هناك شخص مهم جدًّا على الطرف الآخر من الخط - منتج، أو وكيل أعمال. مد يده إلى هاتفه على الطاولة، لكنه وجد شاشته سوداء. نظرت إلى هاتفي: ماريان تتصل.

سحبت الهاتف مسرعة.

«مرحبًا».

قالت ماريان: «أمي».

أخذث ماريان تبكي.

«ماريان حبيبتي، ما الأمر؟».

قالت: «أنا آسفة، كنت أحاول بجد لمنحك بعض المساحة. لكن... أنا فقط... لا أستطيع».

«أوه يا حبيبتي، أنا آسفة جدًّا». ثم تابعت: «هل أصابتك نوبة...».

«لا، لا، ليس هناك شيء من هذا القبيل يا أمي. وقد كنت أعتني بنفسي، أقسم لك، كنت أتناول طعاما جيدًا، وأقوم بتمارين اليوجا».

تنفست بعمق. اليوجا لا تساعدني، الوقوف على ساق واحدة والانحناء، وكل ذلك، لكن اليوجا ساعدت ماريان بشكل كبير. إنها الموضة الوحيدة التي واظبت عليها، ليس فقط لأشهر بل لسنوات، بدأت ممارستها عندما شُخِصّ مرض كارلا لأول مرة. عندما تتوقف ماريان عن ممارسة اليوجا، أعلم أن الأوضاع سيئة.

«هذا جيد يا حبيبتي. إذن هل حدث شيء مع لينا؟».

«لقد خضنا في تلك المشاجرة الفظيعة في وسط الطريق ليلة الاثنين، ولبقية الأسبوع لم أستطع التوقف عن التفكير في كيف أنها... إنها غاضبة جدًّا يا أمي. تكرهني. لم أكن هناك عندما احتاجت إليَّ، والآن... الآن فقدتها».

«هي لا تكرهكِ يا عزيزتي، وأنت لم تفقديها. إنها تتألم وغاضبة ولم تعترف بذلك بعد، لكنها ستعترف قريبًا. كنت آمل أن يساعد هذا الوقت الذي تقضيانه معًا، لكن...».

غمرني شعوري بالإحباط ثم تابعت: «سأعود إلى هاملي».

جاء صوتها مصحوبًا بالدموع: «لا، لا، لا تفعلي ذلك. أنا بخير. لا أمر بنوبة من نوباتي تلك».

لكن من يمكنه الجزم بأنها ليست على مشارف إحدى هذه النوبات؟ وإذا كانت لينا تصرخ عليها في الشارع، فمن سيكون هناك للحفاظ على تماسك ماريان؟

«سأعود وهذا قرار نهائي. أراكِ قريبًا يا عزيزتي». أغلقت الهاتف قبل أن تتمكن من الاعتراض.

عندما التفتُّ، كان تود ينظر إلي بحاجبين مرفوعين.

حذرته: «لا تقل شيئًا».

بدا مذهولًا، لكنه قال: «لم أكن لأتدخل».

قلت: «لا حديث عن العائلة، لقد اتفق كلانا... علينا أن نضع حدودًا».

«بالطبع».

وقف تود، يراقبني بحذر وأنا أحزم أغراضي. أتمنى لو كان بإمكاني التحرك بسرعة أكبر.

قال تود: «لكن...».

التقطت حقيبتي من الكرسي بجانب الباب، ثم قلت وأنا أغلق الباب خلفي: «سأتصل بك».

بمجرد أن خرجت من منزل تود، وجدت مقعدًا في الحديقة وجلست لألتقط أنفاسي. يعيش تود في جزء راقٍ من المدينة يسمى بلومزبري؛ حيث الكثير من المساحات الخضراء المحاطة بأسوار حديدية سوداء، والسيارات الفاخرة ذات النوافذ المظللة.

لا يَسَعني أن أتخيل أفرادًا من عائلة كوتون يتبادلون الصراخ في الشارع. هذه ليس طريقتنا في التعامل مع الأمور. كيف وصلنا إلى هذا؟

ما كان يجب أن أتركهما وحدهما معًا. كانت هذه الرحلة إلى لندن أنانية تمامًا، وأنا سعيدة لأن ماريان أعادتني إلى رشدي قبل أن تزداد حالتها سوءًا هناك في هاملي دون وجودي.

ظل الحمام يتنقل حول قدميّ بينما وقفت أبحث في حقيبتي حتى أجد مفكرتي. حسنًا، لقد دعانا روبرت إلى تناول بعض المشروبات في شقته مع أورورا الليلة، للاحتفال بالحصول على إذن لافتتاح نادي شورديتشر الاجتماعي. لا يمكنني التراجع عن ذلك الآن، لن تذهب ليتيتيا إلا إذا ذهبت أنا، وهي بحاجة إلى هذا. سأغادر غدًا، هذا نهائي. وسأتصل بلينا في الصباح.

لست متأكدة إن كنت سأتمكن من السيطرة على غضبي إذا تحدثت معها الآن.

عندما فتحت ليتيتيا الباب، استطعت أن أرى فورًا كم هي متوترة. كتفاها مرفوعتان إلى أذنيها، وذقنها مُنحنٍ نحو صدرها.

قلت مشجعة: «هيا، هيا». أنا أيضًا لست في الحالة المناسبة لهذا الحدث، لكننا التزمنا، وبالإضافة إلى ذلك، أنا فخورة بما نقوم به في تلك المساحة بالطابق الأرضي، حتى لو لم أتمكن من البقاء لأشهد حلم نادي شورديتشر الاجتماعي يرى النور.

قالت بحزن: «هل يجب علينا الذهاب؟».

قلت: «بالطبع! هيا، كلما ذهبنا مبكرًا، استطعنا المغادرة مبكرًا».

كانت مارثا وفيتز قادمين أيضًا، رغم أنني لم أكن متأكدة من أن مارثا تستطيع النزول على الدرج، هذه الأيام، مع ذلك البطن الضخم، حتى إنها لم تعد تستطيع تحمل الذهاب إلى المكتب، لذا فهي عادة ما تجلس على الأريكة، وقدمها على طاولة القهوة والحاسوب المحمول متوازن بشكل غير مستقر على بطنها. زممت شفتيّ بينما توجهنا نحو شقة روبرت وأورورا.

قالت أورورا وهي تفتح باب الشقة: «سيدة كوتون! أدين لك باعتذار شديد عن سلوكي السيئ عندما التقينا أول مرة».

قلت: «أوه، مرحبًا» وأورورا تحوطني بذراعيها معانقة. لديها لهجة إيطالية واضحة.

قالت أورورا، وهي تمد يدها إلى وجه ليتيتيا: «وأنت بالتأكيد ليتيتيا، ما هذه الأقراط الرائعة!»

نظرت ليتيتيا إليّ بعينين يملؤهما الذعر الواضح. أعتقد أن لمس الوجه كان أكثر مما قد تحتمله. فأمسكت ذراع أورورا مشجعة وأنا أقول: «هيا لتريني شقتك الجميلة، أليس كذلك؟».

قالت أورورا: «بالطبع! زميلاك في السكن موجودان بالفعل هنا»، وقد أشارت إلى الأريكة الرمادية الأنيقة، حيث استقرت مارثا، وقدماها في حجر فيتز. شعرت بقلبي يخفق بالمودة وأنا أشاهد الاثنين يتشاكسان. لم أعرفهما منذ فترة طويلة. ما كان يجب أن أتعلق بهما إلى هذا الحد، الليلة سأضطر إلى إخبارهما أنني سأغادر.

قالت أورورا لي: «هذه هي أحدث منحوتاتي» فأطلقت شهقة صغيرة وأنا أتبع عينيها ليقع بصري على تمثال عارٍ كتماثيل الإغريق.

قلت لأورورا: «رائع».

أجابت بحماس: «أليس كذلك؟ الآن، إذا تبعتني إلى المطبخ، فسأعد لك كوكتيلًا...».

قال فيتز بحزم: «لا، بالتأكيد لا!».

«ماذا تعني بلا؟».

«لا يمكنك المغادرة».

لوح في وجهي محذرًا بزيتونة محمولة على عود أسنان. تصنع أورورا وروبرت كوكتيلات رائعة، رغم أنني كنت مشككة بعض الشيء بشأن الزيتونات على أعواد الأسنان في البداية. قال فيتز إنها علامة على شيء ساخر. الآن غمرني ذلك الشعور بثقل الرأس مجددًا، وأنا جالسة بين مارثا وفيتز على الأريكة، وكأس الشراب في يدي.

قال فيتز: «سيدة كوتون - أعني إيلين، هل حققتِ ما أتيتِ هنا لأجله؟».

«حسنًا...» لم أستطع الكلام حيث لوح لي فيتز ليوقفني.

«لا، لم تفعلي! نادي سيلفر شورديتشرز بالكاد بدأ! لم تقابلي فتى الريف العجوز، وبالتأكيد لم تنته من مساعدتي في السير على الطريق الصحيح فيما يتعلق بحياتي».

هممم. لم أدرك أنه لاحظ أنني كنت أفعل ذلك.

«هل نساء كوتون يستسلمن؟ لأن إيلين كوتون التي قابلتها لم تبد لي أنها تستسلم».

قلت له مبتسمة: «ليس هذا مرة أخرى، يجب أن أذهب يا فيتز».

«لماذا؟». خرجت «لماذا»، تلك المرة، من مارثا.

عادةً، لم أكن لأعطي إجابة صادقة عن سؤال كهذا. ليس إذا كانت بيتسي أو بينيلوبي من تسأل. لكنني فكرت في مارثا وهي تلوح لي بيدها وتبكي وهي تخبرني كم كانت خائفة من قدوم الطفل، فأخبرتها بالحقيقة.

«ماريان تحتاج إليَّ، إنها لا تستطيع التأقلم بمفردها، ولينا هي التي جعلت الأمور أسوأ». حدقت في الشراب، ربما أكون قد شربت قليلًا، وكان هذا شيئًا قبيحًا جدًّا. أكملت: «لقد تشاجرت مع والدتها، وصرخت عليها في الشارع! هذا ليس من شيم آل كوتون».

علقت مارثا بلطف، وهي تنقل مشروبها من يد إلى أخرى: «ربما هذا ما يتطلبه الأمر لوضع حد للخلافات».

عقب فيتز: «نعم، تمامًا. إنهما بحاجة إلى تصفية الأجواء بينهما. نصف المشكلة هي أن لينا ظلت تكتم كل شيء طوال السنة الماضية. هل رأيتِها وهي على الهاتف مع أمها؟ عشرون ثانية من الحديث المقتضب ثم ترتسم نظرة الجمود تلك على وجهها كأرنب في حالة من الذعر التام - قلدها بشكل مذهل - ثم تترك تلك المحادثة مثل بحار لديه ثقب في قاربه». سكت ثم سأل مارثا: «هل التشبيهات مناسبة؟».

عبست مارثا وفركت أنفها.

قال فيتز بشكل حازم: «لينا غاضبة من كارلا بقدر ما هي غاضبة من ماريان، وأكثر من أي منهما، هي غاضبة من نفسها، لأنها وقفت عند هذه المشكلة ولم تستطع حلها حتى بالكثير

من المجهود الذهني و - ماذا تسميه؟ العصف الفكري».

قالت مارثا: «من الجيد أنهن يعبرن عن مشاعرهن، الشجار أحيانًا يكون تطهيريًّا».

أخبرتهم: «لكن ماريان هشة، إنها تعيش حالة من الحزن على ابنتها. كيف للصراخ في وجهها أن يساعدها؟!».

سألت مارثا بلطف: «هل ترينها هشة؟ لطالما بدا لي أنها قوية جدًّا».

هززت رأسي: «أنتما لا تعرفان القصة كاملة. في العام الماضي، كانت تعاني نوبات رهيبة. لم تكن تدعني أدخل المنزل، وكنت أقف هناك أطرق على الباب مرارًا وتدعي أنها ليست بالداخل. أتذكر أن آخر نوبة كانت هي الأسوأ.. لم تخرج لعدة أيام. في النهاية، استخدمت مفتاحي للدخول، ووجدتها جالسة على السجادة تستمع إلى أحد تلك التسجيلات الرهيبة، تلك التي يتحدث فيها رجل ببطء عن كيف أن الحزن أشبه بمنشور ضوئي وكيف يجب على المرء أن يَدَع النور يتسرب إلى كينونته أو شيء من هذا القبيل. كان الأمر كـ...».
سكتُّ حين لاحظت الألم يملأ ملامح مارثا. قلت: «ماذا؟ ماذا قلت؟».

قالت مارثا، واضعة يدها على بطنها: «لا، لا، بالتأكيد لا».

سأل فيتز: «بالتأكيد لا ماذا؟».

«آه يا عزيزتي». كان ذلك صوت ليتيتيا، لم تتحدث منذ فترة طويلة، مما جعلنا جميعًا مندهشين بعض الشيء، والآن بدا وجهها هي أيضًا مندهشًا. أشارت إلى بطن مارثا، وقالت: «هل كانت تلك انقباضة؟».

ردت مارثا، وهي تتنفس من أنفها: «لا تقلقي، أشعر بهذا منذ وقت الغداء، إنها ليست انقباضات حقيقية».

قالت ليتيتيا، وهي تحدق في مارثا: «لا! كيف يمكنك أن تعرفي؟».

قالت مارثا: «لأنني لست مستعدة بعد، وأنا لن ألد قبل ثلاثة أسابيع أخرى».

قال فيتز، وهو ينظر بحاجب مرفوع: «حسنًا، لست متأكدًا فحسب من أن الطفل يعرف جدولك الزمني».

قالت مارثا من بين أسنان كاد يحطمها الضغط: «لا، بل يعرف! إنه - أووووه، آآه، آآه!».

أمسكت مارثا يد ليتيتيا، حيث كانت تقف إلى جانبها، فصرخت ليتيتيا.

قالت مارثا، وهي تميل برأسها مرة أخرى على الأريكة: «حسنًا، حسنًا، تمام. انتهينا. ماذا كنا نقول؟ آه، نعم، إيلين كنتِ تتحدثين، استمري ماذا عن نوبات ماريان؟».

حدقنا جميعًا إليها.

قالت: «كل شيء على ما يرام. أعني، أنا فقط أحتاج للذهاب إلى المستشفى إذا كانت الانقباضات ... إذا كانت الانقباضات ...» مالت مرة أخرى إلى الأمام، وتقلصت ملامحها، مع إصدار أصوات أنين مقلق. أعترف بأنني كنت أعرف ذلك الصوت جيدًا.

أخبرتها: «مارثا، حبيبتي... تلك تبدو كأنها انقباضات حقيقية جدًّا».

لهثت مارثا بمجرد أن انتهت الانقباضة، ثم قالت: «ما زال الوقت مبكرًا جدًّا. لا... لا أستطيع...».

قال فيتز، وهو يضع يديه على كتفيها: «مارثا، تعلمين عندما تقولين إن أحد العملاء يتصرف بطريقة غير معقولة تمامًا ولا يمكنه رؤية ما هو واضح أمامه. مثل تلك المرأة التي ظنت أن غرفة المعيشة لديها كبيرة بما يكفي لوضع شريط لحمل اللوحات؟».

لهثت مارثا: «نعم، وماذا؟».

قال: «أنتِ تقلدين تلك المرأة الآن».

بعد عشر دقائق، تحول أنين مارثا إلى صراخ.

أخبر فيتز روبرت وأورورا: «نحتاج إلى أخذها إلى المستشفى». والحقيقة أنهما لم ينتظرا كلام فيتز، وراحا من فورهما يتعاملان مع الأمر، إذ راحت أورورا تجري هنا وهناك لتحضر الماء وتكتب أسئلة على جوجل؛ وروبرت، الذي عمل مسعفًا في شبابه، بدأ يردد لمارثا النصائح التي يتذكرها عن الولادة، والتي لم تهدئ مارثا، لكنها جعلت بقيتنا يشعرون بتحسن قليلًا.

سألتُ فيتز: «ماذا كانت خطة مارثا للولادة؟».

قال، معبرًا عن استيائه: «ليس لديها خطة، كانت معتمدة في البداية أن يوصلها زوجها - قبل طلاقهما - إلى المستشفى بسيارته».

قلت: «لكنه ليس هنا، ما الخطة البديلة إذن؟».

وجه الجميع أنظارهم إليَّ.

عرض روبرت: «لديَّ دراجة نارية».

صححت أورورا: «سكوتر!» فتجهم وجه روبرت.

قال فيتز، وهو يدلك ظهر مارثا التي تئن على ذراع الأريكة: «لست متأكدًا من أن ذلك مناسب. كم من الوقت قد ننتظر وصول أوبر؟».

تحقق روبرت من هاتفه وصفر مصدومًا: «خمس وعشرون دقيقة».

«خمس وعشرون ماذا؟؟؟؟». كانت مارثا تصرخ، بصوت لا يشبه صوتها على الإطلاق. ثم أكملت: «هذا مستحيل حرفيًا! يوجد دائمًا أوبر حولنا متاح للوصول في غضون خمس دقائق! كقانون من قوانين الفيزياء! آه يا إلهي، أشعر بأن روحي تفارقني!».

قالت ليتيتيا:حسنًا، تنفسي». حدقتُ إلى ليتيتيا بنظرة غاضبة فقالت: «ماذا؟إن المرأة إذا أتاها المخاض، يقولون لها أن تتنفس، تلك هي معلوماتي!».

أطلقت مارثا أنينًا مختلطًا بصراخ، ونزلت على الأرض متخذة وضع القرفصاء.

صاح فيتز: «لم يكن من المفترض أن أكون شاهدًا على هذا، من المفترض أن أكون في الأسفل أدخن السيجار حاملًا كأس الشراب وأروح وأجيء في كل الاتجاهات، أليس كذلك؟ أليس هذا ما يفعله الرجال في هذه الحالات».

ربتت على كتفه، وقلت: «دعني أتعامل مع الأمر». أخذت وسادة من الأريكة لأضع ركبتي عليها ونزلت بجوار مارثا. «فيتز، اذهب واطرق أبواب الجيران. لا بد أن هناك شخصًا لديه سيارة. أورورا، أحضري بعض المناشف»، نظرت إليَّ مارثا بذعر فقلت: «المناشف احتياطية فقط». أكملت: «وروبرت... اذهب وعقم يديك».

«هيا للداخل! هيا!». كانت تلك سالي من الشقة رقم 6.

لقد كانت الحالة الطارئة تجربة رائعة لتقوية الروابط بين الجيران في المبنى. أستطيع أن أقول أخيرًا إنني عرفت كل جار منهم على حدة. كنت مندهشة عندما تقدمت سالي للمساعدة، على الرغم من أنها لم تكن مضطرة لذلك: فهي الوحيدة في المبنى التي لديها وسيلة نقل، وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه إليها، كان صوت صرخات مارثا يتردد في كل الممرات.

علق فيتز متسائلًا: «كل ما أعرفه عن سالي أنها مديرة صندوق تمويل وتعيش في الشقة 6، ومع ذلك فأنا الآن ليس لدي أي مشكلة في ركوب سيارتها الفان الضخمة، التي يبدو كأنها

تعود لقاتل متسلسل. هل هذه الروح المجتمعية يا إيلين؟ الثقة في الجار، وكل ذلك؟ يا إلهي...».

أمسكت مارثا يده بقوة، ومالت بجبينها على مسند الرأس في المقعد الأمامي؛ وعندما تراجعت، لاحظتُ أنها تركت بقعة داكنة ضبابية من العرق على القماش. كانت في حالة سيئة، ذلك الطفل لن يتراجع.

صرخت سالي: «تحركوا يا قوم، تحركوا».

ولم أكن متأكدة من كانت تخاطب مع أنها هي من كانت في مقعد القيادة. خرجت بالسيارة من باحة انتظار السيارات بعد بسلسلة من الأبواق الغاضبة. «حالة طارئة! معي طفل يُولد في الخلف!» صرخت من النافذة، ملوحة بذراعها لسائق تاكسي غاضب: «لا وقت للمجاملات!».

تعريف سالي للمجاملات واسع جدًّا وبدا أنه يشمل معظم قواعد الطريق. فقد خالفت كل إشارة حمراء، وضربت مرآة إحدى السيارات، وسارت فوق ثلاثة أرصفة، وصرخت في أحد المشاة لأنه تجرأ على عبور ممر المشاة في اللحظة الخطأ. وجدت الأمر مبهرًا بالنظر إلى امرأة حريصة على تأمين نفسها في منزلها تقود وكأنها في لعبة الاصطدام. لكنني شعرت بالسعادة لأنها حريصة كل هذا الحرص على الوصول في أسرع وقت. على الرغم من أنني لم أتمكن بعد من معرفة سبب امتلاكها هذه الفان الكبيرة، بوصفها امرأة تعيش وحدها في وسط لندن. آمل حقًّا أن يكون فيتز مخطئًا - سأشعر بالسوء إذا تبين أنها قاتلة متسلسلة.

أعادتني مارثا من أفكاري بصراخ طويل وصاخب ومشوب بالألم.

أخبرتها بلطف: «كدنا نصل، ستكونين في المستشفى بعد وقت قصير»، رغم أنني لم أكن أملك أي فكرة عن مكاننا.

«أموتُ» صرخت مارثا بها، وعروقها تبرز على جبهتها، ممسكة ذراعي بقوة مفاجئة، وقبضة متوحشة لا تأتي إلا مع الألم.

قال فيتز: «لن تموتي يا عزيزتي، ستنجبين طفلكِ وستعيشين حياة هنيئة طويلة».

تذمرت مارثا: «يا إلهي، لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع فعل ذلك!».

قلت: «بالطبع يمكنك ذلك! لا تفعلي فقط حتى نصل إلى المستشفى، يا عزيزتي».

# 19 لينا

أنا الآن في الدفعة الخامسة من خَبز البراونيز. لقد اكتشفت أربع طرق مختلفة تمامًا لصنع البراونيز بشكل سيئ: حرقها، عدم طهيها بشكل كافٍ، نسيان تبطين الصينية، وتفويت إضافة الطحين (وهي لحظة حقيقية من الانحدار).

لكن هذه الدفعة مثالية. كل ما يتطلبه الأمر هو التطبيق، والممارسة، وربما حالة ذهنية أكثر هدوءًا. لقد بدأت هذه العملية وأنا غارقة في ضباب افتقاد كارلا وأدور في عاصفة من الغضب على والدتي وبحر من التساؤل عما أفعله بحياتي، وأعتقد أن البراونيز قد تكون مثل الخيول: يمكنها أن تشعر بمستويات توترك.

لكن الآن، أنا هادئة، لديّ براونيز، وأخيرًا، بعد العديد من عطلات نهاية الأسبوع التي عجز عن أن يأتي إليّ فيها... إيثان هنا.

يلقي بحقائبه ويعانقني فور فتحي الباب الأمامي.

أخبرته وهو يضعني أرضًا: «مرحبًا بك في الجنة الريفية!».

قال إيثان: «يبدو أن هناك شيئًا محترقًا؟»، ثم، بعدما لاحظ تعبير وجهي، أضاف بسرعة: «لكنه لذيذ! محترق بطريقة لذيذة! مشوي؟ مشوي على الفحم؟ تلك طرق رائعة لحرق الأشياء».

«لقد صنعت براونيز، عدة مرات، لكن انظر!» قدته بفخر إلى طبق مربعات الشيكولاتة المثالية على طاولة الطعام الخاصة بجدتي.

أمسك واحدة وأخذ قضمة ضخمة، ثم أغلق عينيه مع أصوات أنين، ثم قال وهو يمضغ: «حسنًا، إنها لذيذة حقًّا».

«نعم! كنت أعلم ذلك».

قال إيثان: «أنتِ دائمًا متواضعة»، ثم أمسك قطعة القماش التي علقتها على كتفي وقال: «انظري إليك، تخبزين! وها أنتِ تحملين قطعة قماش مطبخ على كتفك!».

أمسكت قطعة القماش مرة أخرى وضربته بها: «اخرس!».

«لماذا؟ أنا أحب ذلك». اقترب مني وقال: «هذا يزيدك جاذبية».

احمر وجهي خجلًا ودفعته بعيدًا، وتوجهت إلى المطبخ: «هل تريد شايًا؟».

تبعني إيثان وهو يقول: «أريد شيئًا لكنه ليس شايًا».

«قهوة؟».

«تخمين خاطئ» احتضنني من الخلف، ويداه تلتفان حول خصري.

استدرت بين ذراعيه: «أنا آسفة - أشعر بأنني لست جميلة بما يكفي الآن. لقد قضيت معظم اليوم في البكاء، وكان أسبوعًا غريبًا جدًّا. العودة هنا جعلتني...».

قال إيثان، مع تلميح ماكر في حاجبيه: «تتحولين إلى جدتك؟».

تراجعت للخلف: «ماذا؟».

«أمزح فقط!».

«لماذا قلت ذلك؟».

«قضاء يومك في الخبز، ترتدين مريلة...» لاحظ أنني لم أضحك، فاستدرك: «بربك يا لينا، أنا أمزح!» أمسك يدي وحاول أن يديرني لأواجهه، وقال: «لنخرج، خذيني إلى مقهى».

«هذا ليس مكانًا مناسبًا للمقاهي». درت بشكل غير مريح.

«لا بد أن هناك مقهى في مكان ما. ما اسم تلك البلدة الصغيرة القريبة؟ دايفديل؟».

«ديريديل، إنها على بُعد أكثر من ساعة. وعلى أي حال، فكرت في أن نذهب لرؤية أرنولد هذا المساء، جاري قال إنه سيعد لنا لحم الضأن للعشاء»، حاولت الابتسام، «إنه متذمر قليلًا، لكنه شخص طيب ورائع».

قال إيثان: «يجب أن أعمل هذا المساء حقًّا، يا ملاكي»، وترك يدي ليتجه إلى الثلاجة، ويسحب زجاجة شراب.

«أووه، لكن...».

قبلني على خدي وهو يجلب فتاحة الزجاجات من الدرج. وقال: «أنتِ مرحب بكِ للمساعدة. أنا أبحث عن فرص جديدة في المشروع الذي حدثتكِ عنه، الأسبوع الماضي.. أعلم كم تحبين التحديات».

قلت: «أشعر بأنني محاطة من كل جانب بالتحديات في الوقت الحالي، لكي أكون صادقة»، ثم أدرت عينيّ عندما شغل إيثان التلفاز.

قال: «مباراة ميلوول ستبدأ، فكرت أن نتركها في الخلفية أثناء العمل».

لم يكن فعلًا مهتمًّا باستكشاف الفرص الجديدة أو مباراة ميلوول عندما طلب الذهاب إلى المقهى. ابتلعت ريقي، مذكّرة نفسي بأنه جاء من بعيد لرؤيتي، وهو محق. أنا في وضع معقد في الوقت الحالي، لقد جعلتني حالة الحزن تلك... أعود إلى الوراء قليلًا. بوسعي أن أرى كم أن هذا محبط له.

كما أنه لم يكن متحمسًا لهذه العطلة الريفية، أليس كذلك؟

نظر إليّ من الأريكة، ورأى تعبير وجهي، فَلان. قال: «أنا أتصرف بحماقة، آسف»، ثم قام وأمسك يدي، وأكمل: «لا أجيد التعامل مع هذه الحياة الريفية، يا ملاكي. أعطني بعض الوقت للتأقلم مع النسخة الجديدة منك؟».

قلت بعبوس، وجلست بجانبه على الأريكة: «أنا لست نسخة جديدة، ولست جدتي».

سحبني إليه، حتى استقر رأسي على صدره حيث وجدت راحتي وعزائي. جرت العادة أن أكون على حافة اليأس التام عندما تجتاحني مشاعر الخوف والحزن متى لم يكن إيثان إلى جانبي. كنت بحاجة إلى هذا؛ أن يلف ذراعه حولي، وأذني تستمع إلى نبض قلبه. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي تشعرني بالأمان والسكينة.

أرخيت عضلاتي المتوترة ووضعت رأسي عليه، فقبّل قمة رأسي.

قلت: «سأخبر أرنولد أننا سنذهب إلى هناك لتناول لحم الضأن في يوم لاحق».

في صباح اليوم التالي، استيقظت مبكرًا لأجري، وعندما خرجت من الحمام، وجدت إيثان مستيقظًا.

قال إنه سيأتي إلى اجتماع لجنة عيد مايو، على الرغم من أنه يبدأ في الساعة الثامنة صباحًا اليوم (لماذا يا بيتسي؟)، وعلى الرغم من أنني أعطيته مخرجًا واضحًا («إذا كنت بحاجة للعمل ...»).

عندما دخلنا باحة القرية معًا، دارت كل الرءوس نحونا. إيثان، الذي بدا مذهولًا بعض الشيء، تمتم: «يا إلهي» قبل أن يرسم أفضل ابتساماته التي تعبر عن «وجه استقبال العملاء» ويبدأ التعريف بنفسه.

قال مخاطبًا بيتسي: «مرحبًا، أنا إيثان كولمان».

تحدث بصوت عالٍ وببطء، كما لو كانت بيتسي صماء، فارتفع حاجباها. ثم فعل الشيء نفسه مع جميع الأشخاص المسنين في الغرفة - في الواقع، تراجعت بينيلوبي قليلًا إثر صوته، على الرغم من أنه من المفترض أنها اعتادت صراخ الناس، نظرًا لأنها تعيش مع رولاند. اللعنة. كان ينبغي أن أوجهه قليلًا قبل أن نصل إلى هنا.

كان جاكسون آخِر من يصل إلى الاجتماع، كما هو معتاد، ليس متأخرًا بما يكفي ليكون متأخرًا، لكنه دائمًا الأخير، ودائمًا ما يُستقبل بجوقة من التحيات المُحبة من كبار السن. لمح إيثان، الذي أدرك وصوله فوقف مرة أخرى، ومد يده ليصافحه.

«إيثان كولمان».

«جاكسون».

قال إيثان، مُخفضًا صوته ومبتسمًا لجاكسون: «من الجيد أن أعرف أن هناك شخصًا آخر تحت سن المائة هنا».

حدق جاكسون فيه للحظة، ثم قال: «هؤلاء أشخاص طيبون».

«أوه، بالطبع! بالطبع. أنا فقط لم أكن أتخيل وجود كل هؤلاء الجدات. كنت أتخيل أن الأمر سيكون كله عمال مناجم ومزارعين هنا، تعرف، من يتحدثون بلهجات شعبية شبابية» (أتبع إيثان كلامه ببعض المؤثرات الصوتية محاولًا شرح اللكنة التي يعنيها).

شعرت بتوتر. عبس وجه إيثان بعد أن قام بتقليد لهجة يوركشاير، كما لو أنه يحاول أن يبدو غبيًا، لست متأكدة حتى أنه يعرف أنه قام بذلك، لكن الأمر جعل عينيْ جاكسون تضيقان قليلًا.

سأله جاكسون: «المعذرة، من أنت؟».

كرر إيثان: «إيثان كولمان»، ثم عندما واجه تعبير جاكسون الفارغ، اعتدل قليلًا، وقال: «صديق لينا».

انتقلت عينا جاكسون إلى وجهي، وقال: «آه، لقد جئت للزيارة إذن».

«كنت سآتي من قبل، لكن من الصعب عليّ الابتعاد عن لندن، هناك أشخاص يعتمدون عليّ، ملايين على المحك، وأشياء من هذا القبيل».

لقد قال هذا كله بنبرة جدية وليس بسخرية. شعرت بالخجل، وأنا واقفة وأضع يدي على ذراعه.

«هيا يا إيثان، دعنا نجلس».

سأل إيثان، متجاهلًا إشارتي: «ذكرني، ما عملك يا جاكسون؟».

قال جاكسون: «أنا معلم، لا ملايين على المحك. مستقبل الطلاب فقط».

«لا أعرف كيف تفعل ذلك. لا أستطيع أن أقضي كل يوم مع الأطفال دون أن يدخل عقلي في غيبوبة».

كنا نقف في مركز الباحة بالتحديد، وأعضاء لجنة التخطيط ليوم مايو يراقبوننا من مقاعدهم، مفتونين تمامًا، كما لو أن هذا عرض مسرحي. سحبت ذراع إيثان؛ فخلصها مني، ورماني بنظرة عبوس.

قلت بحدة: «هل ستجلس، من فضلك؟».

ضاقت عينا إيثان وقال: «ماذا؟ أنا وجاكسون نتعارف».

قال جاكسون: «أنتِ محققة، يجب أن نبدأ»، ثم ذهب إلى مقعده.

عندما جلس جاكسون، سمح لي إيثان بأخذه إلى كرسيه. خفضت بصري عند قدميّ، وقلبي ينبض بالخجل.

قالت بيتسي، بسعادة ظاهرة: «حسنًا، حسنًا، كم هذا مثير! إمم، دعونا نتحدث عن مواقد النار. لينا، هل أنتِ جاهزة؟».

أخذت نفَسًا عميقًا.

قلت: «بالطبع»، وأخرجت قلمي ودفتر الملاحظات من حقيبتي. حاولت أن أعيد التركيز إلى رأسي. إيثان لا يقصد أي أذى؛ لكن كل ما في الأمر أنه يحاول فرض عضلاته ويصبح عدوانيًّا بعض الشيء عندما يعتقد أن هناك رجلًا آخر من طراز رفيع في المكان نفسه. سيفهم الجميع ذلك عندما يعود إلى طبيعته. ثم يمكنه فقط أن ينال ودهم في مرة أخرى. لا بأس، ليست كارثة.

سأل إيثان: «هل تسجلين ملاحظات الاجتماع؟».

تورد خداي مرة أخرى: «نعم، هذا ما كانت تفعله جدتي».

ضحك إيثان حينئذ، ضحكة مرتفعة جدًّا جعلت الجميع ينظرون إليه.

«متى كانت آخر مرة سجلت فيها ملاحظات اجتماع يا لينا كوتون؟».

قلت، مع الحفاظ على صوتي منخفضًا: «منذ فترة». شعرت بجاكسون يراقبنا.

تنحنحت بيتسي بصوت عال بعض الشيء.

قلت: «آسفة! مواقد النار. أنا جاهزة يا بيتسي».

تجاهلت نظرات إيثان وتابعت تدوين الملاحظات. وجوده هنا جعل الاجتماع يبدو مختلفًا، جعلني أرى الاجتماع من وجهة نظره، مثلما يفعل شخص عندما يشاهد برنامجك التليفزيوني المفضل وفجأة تدرك مدى رداءة الإنتاج. لمحت جاكسون يراقب إيثان أيضًا، بملامح جامدة تستعصي على التفسير.

أحاول التركيز على الاجتماع. شرحت بيتسي للوافد الجديد (أي إيثان) أن عيد مايو مهرجان تقليدي يتم الاحتفال به هنا في هاملي منذ سنين ولأجيال متتالية، وقد بالَغَت في وصف القيمة التاريخية لشيء لا يتعدى كونه مجرد مهرجان بريطاني محلي سطحي وتقليدي جدًّا، فقط مع إضافة سارية مايو.

من المدهش أنه لم يُنجز أي شيء مهم في الاجتماع، باستثناء أنني كُلفت بالعثور على ملكة مايو وملك مايو للعرض، وهو ما سيكون صعبًا، حيث إن الأشخاص الوحيدين الذين أعرفهم في هاملي موجودون بالفعل في اللجنة، ولا أحد منهم يود القيام بذلك. لكنني لم أرد أن أرفض طلب بيتسي، لذا سأحتاج للتفكير في شيء.

جمعت أغراضي وغادرت الاجتماع بمجرد انتهائه.

نادى إيثان وأنا أتجه نحو الباب متجنبة بيوتر، الذي وقف يحاول مساعدة بينيلوبي في سحب رولاند من مقعده: «لينا، لينا، تمهلي!».

همست، بينما تحطو إلى الخارج: «ماذا كنت تفعل هناك؟». كان الجو ممطرًا، مطر كثيف يتساقط بشكل جانبي وقد وصل إلى ياقة معطفي على الفور.

راح إيثان يسبُّ، إنه يكره أن يبتل شعره: «يا إلهي، هذا المكان!» ظل يشكو، وهو ينظر إلى السماء.

«أتعلم؟ إنها أيضًا تمطر في لندن».

قال إيثان، وهو يمشي بسرعة لمواكبتي: «لماذا أنتِ غاضبة مني؟ هل السبب ما قلته عن سكان الشمال؟ بالله عليك يا لينا، اعتقدت أن جاكسون هو من النوع الذي يمكنه تقبل المزاح. لماذا تأبهين لمشاعره، على أية حال؟ لا تتوقفي عن ترديد إن الجميع انحاز إليه في حادثة الكلب وكيف جعلك تشعرين بالذنب...».

«في الحقيقة، لا أتوقف عن الحديث عن مدى شعوري بالسوء تجاه الكلب. جاكسون شخص طيب حقًّا، ولم يتعامل معي بهذا الشكل على الإطلاق. أنت من تصرفت بطريقة مزعجة ومغرورة، وأنا أعمل جاهدةً على أن أترك انطباعًا جيدًا عني أمام هؤلاء الناس، و...».

«على رِسلكِ».

جر إيثان ذراعي ليتوقف بي عند موقف الحافلات: «هل تدركين ما تقولين؟ أنا إيثان مزعج ومغرور؟ حقًّا؟».

«كنت أعني...».

بدا مجروحًا: «يجب أن تكوني في صفّي يا حبيبتي، أليس كذلك؟ لماذا كل هذا الاهتمام برأي هؤلاء الناس فيك؟».

أجبت باستسلام: «لا أعلم، حقًّا».

ما الذي أفعله؟ أولًا، صرخت في والدتي، ثم في إيثان. أحتاج إلى السيطرة على نفسي.

قلت وأنا آخذ يديه: «أنا آسفة، كنت مجنونة بعض الشيء، في الأيام القليلة الماضية، أو ربما الأسابيع الماضية».

انحنى إيثان للأمام وقبّلني على أنفي: «هيا، دعيني آخذك إلى المنزل لتأخذي حمامًا دافئًا، ما رأيك؟».

توجب على إيثان العودة إلى لندن تقريبًا بمجرد أن عدنا من الاجتماع، وكان هذا، على الأرجح، شيء إيجابي: حيث كان من المفترض أن أقضي اليوم أساعد جاكسون في تزيين فصل الصف الأول كشيء أكفر به عن ضياع هانك. كنت آمل أن يساعد إيثان، لكنني حقًّا لا أرغب في لقاء آخر بينه وبين جاكسون، على الأقل ليس حتى يحصل إيثان على وقت أطول ليهدأ ويدرك أنه يحتاج للاعتذار.

وصلت شاحنة جاكسون إلى موقف السيارات، بمجرد أن خرجت من السيارة أجاثا الفورد كا، وأنا أتعرق قليلًا بفضل مكيف الهواء. لم أحزم ملابس كافية للعمل، لذا ذهبت مرتدية بنطلونًا ضيقًا أسود وسترة من الصوف اقترضتها من جدتي، والتي رأيت أنها مناسبة تمامًا لأعمال الدهان، لأنها تحمل بالفعل بقعة كبيرة من الطلاء الأرجواني عند الصدر. (من المثير للاهتمام عدم وجود شيء في منزل جدتي مطلي بالأرجواني). وجاء جاكسون مرتديًا بنطال جينز ممزقًا وقميصًا من قماش الفلانل. منحني ابتسامة سريعة بينما وضع علب الطلاء والفرشات أرضًا ليفتح الأبواب.

«مرحبًا، هل تفضلين استخدام أسطوانة الطلاء الإسفنجية أم أسطوانات رش الطلاء؟»

قلت: «ممم، أسطوانات الرش». شعرت ببعض الدهشة، كنت أتوقع تحية أكثر برودة بعد ما حدث، صباح اليوم.

تابعته بينما يحمل الطلاء إلى الفصل. من الغريب رؤية مدرسة دون أطفال يركضون في كل مكان، ما يجعلك تدرك مدى صغر وضعف كل شيء فيها؛ من الكراسي البلاستيكية الصغيرة، إلى المكتبة الملونة المليئة بكتب ورقية ممزقة.

قلت: «جاكسون، أنا آسفة جدًّا بشأن إيثان وكونه...».

بدأ جاكسون تجهيز الأشياء، ووضع كل ما يحتاج إليه بثبات. توقفت يداه للحظة، بدت عيناه زرقاوين جدًّا تحت شمس منتصف الصباح، التي تسللت من نافذة الفصل. كان حليق

الذقن، والشعر القصير الذي كان يميز خط فكه اختفى.

قال: «كان يحاول أن يكون مرحًا، بينما هي ليست طبيعته».

استخدم جاكسون مفكًّا ملطخًا بالطلاء لرفع غطاء العلبة، وأكمل: «أنا آسف أيضًا، كان يمكنني أن أكون أكثر ترحيبًا».

أملت رأسي وفكرت أن هذه نقطة منطقية أيضًا، شعرت بارتياح ومددت يدى لآخذ فرشاة، بدأنا أولًا طلاء الجدار في نهاية الغرفة، جنبًا إلى جنب. لاحظت أن ساعد جاكسون يغطيه بعض النمش الشاحب. عندما مر بجانبي لإشعال الضوء، غمرت رائحته أنفي، كانت الرائحة التي تفوح منه رائحة الهواء الطلق، الهواء البارد المخلوط برائحة التراب. كانت رائحة تشبه رائحة المطر.

قال أخيرًا: «لم أشكرك على مساعدتك لي في جعل سامانثا تحظى بالمرح عندما كانت هنا في عيد الربيع، لم تتوقف عن الحديث عنك بعدها».

عقبت بابتسامة: «إنها فتاة جميلة جدًّا».

قال جاكسون، وهو يعبس: «لقد أصبحت ذكية جدًّا بالنسبة لي بالفعل، تسأل أسئلة أكثر مما يسأل طلاب فصلي مجتمعين. ودائمًا تفكر، مثلك تمامًا في الواقع».

سكتُّ متفاجئة.

نظر إليّ، ثم قال: «ليس شيئًا سيئًا، إنه فقط الانطباع الذي أحصل عليه».

«لا، هذا صحيح. إلا أنه يكون قلقًا بدلًا من التفكير، في معظم الأوقات، لذا آمل ألا تكون سامانثا مثلي، لمصلحتها. دماغي لا يعرف متى يتوقف عن التفكير. أراهن أنني أستطيع التفكير في عشرين سيناريو سيئًا قبل أن تتمكن أنت من التفكير في واحد».

قال جاكسون: «لم أكن يومًا من محبي السيناريوهات السيئة».

انحنى ليغمس فرشاته في الدلو، أصبح معصماه مغطيين الآن بالطلاء، وبقع جديدة أكثر بزوغًا من النمش.

يا إلهي، كم أتمنى أن أفكر بهذه الطريقة. يا للبساطة!

قلت: «أريد فقط أن أكون متأكدة أنني أفعل الشيء الصحيح. أنا قلقة بشأن - لا أعرف، أتعرف تلك الكتب التي كنت تطالعها وأنت طفل، التي تتيح لك اختيار ما يحدث بعد ذلك، وتذهب إلى صفحة مختلفة بناءً على ما اخترته؟».

أومأ جاكسون برأسه: «نعم، أعرفها».

«حسنًا، كنت دائمًا أحاول تخطي الصفحات لأتمكن من معرفة أفضل خيار».

«أفضل خيار لماذا؟».

«ماذا تقصد؟».

«أفضلهم بالنسبة لك؟».

«لا، لا، أعني فقط... الأفضل. الشيء الصحيح الذي يجب فعله».

«ها، شيء مثير للاهتمام».

حاولت طرح موضوع جديد، موضوع يبعث على راحة أكبر.

«هل يمكنني أن أسألك من كان ملك وملكة مايو في العام الماضي؟ يجب أن أجد شخصًا للقيام بذلك، وأعتقد أن تلك ستكون نقطة بداية جيدة».

حلت فترة طويلة جدًّا من الصمت.

قال جاكسون في النهاية: «كنت أنا وماريجولد».

أسقطت فرشاتي.

«تبًّا!». مددت يدي نحو قطعة القماش الرطبة ووضعتها على الأرضية الفينيل، في الوقت المناسب لتفادي الكارثة.

سأل جاكسون، ونظره يعود إلى الجدار مرة أخرى: «هل كل شيء على ما يرام؟»

«نعم، بخير. عذرًا... أنت وماريجولد؟ شريكتك السابقة؟» أدركت متأخرًا أنه لم يكن ينبغي أن يعرف أنني أعرف بأمر ماريجولد، فجدتي هي من أخبرتني وليس جاكسون. لكنه لم يبد متفاجئًا. أعتقد أن سبب ذلك أنه يعيش في هاملي: على الأغلب اعتاد انتشار النميمة والأخبار الشخصية.

«كانت دائمًا تحب القيام بذلك عندما كنا معًا»، رغم ثبات وحذر يديه أثناء الطلاء، لكن فكه كان يتشنج. «لقد عادت من أجل ذلك».

«مع سامانثا؟».

توقفت يداه لفترة وجيزة: «نعم».

«هل سيأتون هذا العام؟».

«أتمنى ذلك. أنا محظوظ، فماريجولد تصور في لندن لفترة، لذا فهي في المملكة المتحدة لبضعة أسابيع».

عضضت خدي من الداخل وعقبت: «هذا رائع، أنا سعيدة من أجلك»، ثم استطردت بحذر: «عندما تحدثت عن زميلتي في السكن مارثا، ذلك اليوم، لم أقصد... أن جميع الرجال يتخلون عن أبنائهم، لم يكن ذلك مقصدي، أنا آسفة لأنني ضايقتك».

صب المزيد من الطلاء. وقفت أشاهده وهو يميل العلبة بعناية دون أن يسقط أي طلاء على الأرض.

تنحنح وقال: «ماريجولد تواصل القول إنهما ستنتقلان للعيش هنا وتستقران في لندن، لكن مر أكثر من سنة. والزيارات تتناقص بشكل متزايد».

قلت مرة أخرى: «أنا آسفة».

«لا بأس. لم تقصدي أي أذى، أنتِ فقط - كما تعرفين - مباشِرة قليلًا في طريقة عرضك للأمور».

«همم. دائمًا ما أجد لقب (مباشرة) هذا في تقييماتي في العمل».

ابتهج صوته قليلًا: «حقًّا؟ وأنا يُطلق عليَّ لقب (يجيد التعامل في الأزمات) والتي تعني أنني «هادئ أكثر من اللازم».

«بينما (مباشرة) هو ما يقولونه الآن بعدما لم يعد يُسمح لهم بأن يطلقوا على النساء لقب (متسلطة)».

قال: «أشك في أن أحدًا سيجرؤ على قول إنك متسلطة، باستثناء بيتسي» ثم ضحك لدرجة القهقهة.

«أنا متأكدة أن بيتسي قالت أسوأ من ذلك».

«عليك فقط أن تعطي هؤلاء القوم بعض الوقت ليألفوكِ».

رمقني بنظرة ساخرة، ثم أكمل: «ماذا كنت تتوقعين؟ دخلت هاملي بحذاء المدنية وأفكاركِ الكبيرة، وكأن هذه بلدة صغيرة في أمريكا وأنتِ نجمة من نيويورك، ونحن جميعًا في أحد أفلام الكريسماس...».

«لم أكن أتصرف بطريقة استعراضية! ومنذ أن وصلت إلى هنا، ظللت أفكر من منظور جدتي. أما أنت، يا سيد (لن يحدث هذا في بلدتي)، بكلبك الشيطاني، وشاحنتك الكبيرة، وإخافتك لصديقي...».

«أنا أخفت صديقك؟».

«لا، أنا أمزح فقط». لم يجب علي أن أقول ما قلته - هذا سيضايق إيثان إذا عرف. «أعني، كما تعلم، الجميع يهابونك هنا ويكنون لك الاحترام، وينتظرون كل كلمة تقولها، رغم... رغم أنك لطيف على نحو لا مثيل له».

اتسعت ابتسامته: «على نحو لا مثيل له؟».

«أعني، بطريقة لا تُصدق، على نحو لا مثيل له»

كانت الابتسامة لا تزال موجودة، لكنه تجاهل زلتي اللغوية ولم يعلق عليها، تبادلنا الأماكن لأقوم بطلاء الحواف إلى جانبه.

قال جاكسون بعد لحظة: «اسمعي، الطابع الذي اخترتِه لعيد مايو كان أفضل من النمط الاستوائي الذي اخترته أنا».

«أوه، لا...» ثم توقفت وسكتُّ ثم استطردت: «نعم في الواقع كان كذلك».

«أنا منزعج بعض الشيء حيال الكيفية التي سار بها الأمر، خاصة أنني ضغطت على اللجنة نوعًا ما بكارت ابنتي».

«كما أنك أقمت جلسة كوكتيلات استوائية سرية دوني، وجعلتني أرتدي زي أرنب عيد الربيع وأقفز وكأنني حمقاء».

ضحك جاكسون: «لم أكن أحاول جعلك تبدين حمقاء، اعتقدت أنك ستحبين أن تشاركي في هذا التقليد المهم في هاملي».

«كما أنك أردت الانتقام مني لأنني أخذت الدكتور بيوتر إلى فريق طابع العصور الوسطى، رغم أن ذلك لم يستمر طويلًا».

دارت عيناه في كل اتجاه.

«أنا على حق! كنت أعلم ذلك!»، ضربته بفرشاة الطلاء؛ فتفادى ذلك بسرعة مذهلة، مبتسمًا.

قال، متفاديًا فرشاة الطلاء مرة أخرى: «يا للعار، لا تعرفين كيف تصيبين الهدف!».

أصبته في ذراعه ببقعة كبيرة من الأخضر الفاتح. ثم لوَّح بأسطوانة الطلاء نحوي، فرفعت حاجبي، ووقفت في حالة استنفار.

«اختبرني فقط».

كان أسرع بكثير مما توقعت وأصابني مباشرة في أنفي.

صرخت بغضب: «لم أكن أعتقد أنك ستستهدف الوجه!».

أومأ جاكسون برأسه مبتسمًا: «الهجوم المثالي هو الهجوم غير المتوقع».

رفعت قميصي لمسح أنفي، وعندما أنزلته مرة أخرى، رأيت عينيه تبتعدان عن بطني المكشوف، تنحنحت وقد شعرت بأن الأمور أصبحت سخيفة قليلًا، استدرت مرة أخرى نحو الجدار، واستعدت جديتي.

قال جاكسون، متبعًا خطاي: «على أي حال، كنت أريد أن أسألك عن مدى انفتاحك على فكرة دمج الطابعين».

حدقت فيه: «الاستوائي والقرون الوسطى؟ هذا ببساطة غير منطقي. ماذا سنفعل، نقيم سباقات للببغاوات بدلًا من الصقور؟ المبارزات بالموز؟».

بدأ يفكر بالأمر.

قلت: «لا! هذا سخيف!».

«حسنًا، ماذا عن نمط القرون الوسطى، لكن مع الكوكتيلات؟».

ندَّت عني صيحة استهجان! بدا الأمر فوضويًا جدًّا.

بدا جاكسون مسرورًا، وقال: «إنه مجرد مهرجان قروي... من يأبه إن لم يكن مثاليًّا؟ وهذه هي الطريقة الوحيدة لكسب باسيل في صفك. يبدو أن ذلك الرجل يحب دايكيوري المانجو، بالإضافة إلى أننا اتفقنا بالفعل مع صانعي الكوكتيلات».

قلت وإصبعي موجه لوجهه: «حسنًا. لكن يجب أن تقف أمام جميع أعضاء اللجنة وتعلن أنك تدعم الطابع الذي اخترته تمامًا لأنه أفضل بكثير!».

«فيما عدا أنه ليس به أكشاك للكوكتيل».

دمدمت غاضبة، فابتسم جاكسون، وظهرت غمازتاه.

قال، ومد يده: «حسنًا، اتفقنا»، صافحته فشعرت بالطلاء الرطب بين أصابعنا.

قلت: «وأيضًا ستكون ملك مايو، وسأحرص على أن يكون الزي غريبًا تمامًا؛ انتقامًا من ارتدائي آذني الأرنب».

ضحك جاكسون وعقب: «آه، يا فتاة، لقد قدمت لك خدمة، عندما منحتك دور أرنب عيد الربيع. إنه تقليد يخص عائلة كوتون بالأساس»، قالها وعاد للطلاء.

تجعد أنفي؛ من المفاجأة، وقلت: «لا تخبرني أن جدتي ترتدي تلك الملابس».

«ليست جدتك، لكن أمك كانت تقوم بهذا الدور، وكارلا قامت به مرة واحدة».

«كارلا؟ حقًّا؟ لم أكن أعلم».

«عندما كانت... في السابعة عشرة، ربما؟».

قلت: «احكِ لي». وقد نسيت الطلاء تمامًا، لأنني اشتقت كثيرًا لسماع قصص عن أختي، كما لو كانت لا تزال في العالم، ولا تزال قادرة على مفاجأتي بأشياء تخصها.

«أعتقد أن جدتك أجبرتها على ذلك، وأنت كنتِ بالجامعة وقتها. كنت أتدرب على وظيفة معلم، وعدت إلى هاملي للعطلة، وصادفتها وهي تخفي البيض. نظرت إليّ بعينين يشع منهما الغضب. وقالت: «إذا أخبرت أحدًا بهذا، فسأخبر الجميع أنك تدخن وراء الشجر».

ضحكت مبتهجة، طريقته في تقليد كارلا عبقرية. ابتسم لي مرة أخرى، وسقط ضوء الشمس على عينيه.

«ثم بدأت تتحدث عن كيف أن هذا كله استيلاء حداثي على طقوس عتيقة أو شيء من هذا القبيل، تعرفين رأي كارلا بشأن هذا النوع من الأشياء، وفجأة خرجت أورسولا من زاوية ما - كانت في السادسة حينئذ تقريبًا - فاندفعت كارلا، وذيل الأرنب يتراقص. أرادت أن تظنها الفتاة أنها أرنب عيد الربيع الحقيقي. حافظت على سحر الأسطورة للأطفال، مثلما فعلت أنت من أجل سامانثا».

تنفست ببطء، وفرشاة الطلاء معلقة في الهواء. عندما تفتقد شخصًا، فإنك على الأغلب تنسى أن لديه جوانب في شخصيته غير تلك التي تعرفه بها... جوانب يُظهرها فقط عندما

يكون الآخرون حوله.

في الأسابيع القليلة الماضية، تحدثت عن أختي أكثر مما فعلت في السنة الماضية كلها. في هاملي، يذكر الناس كارلا دون أن يرمش لهم جفن، أما في منزلي بلندن، فيتلعثم أصدقائي عند ذكر اسمها، يراقبونني بعناية، خائفين من قول الشيء الخطأ. دائمًا ما أُقدِّر لإيثان أنه يدفع دفة الحديث بعيدًا عن ذلك الأمر إذا كنا خارجين لتناول العشاء، يقول إنه يعرف أن الحديث عن كارلا سيؤلمني.

نعم، يؤلمني، لكن ليس كما كنت أعتقد. كلما تحدثت عنها، زادت رغبتي في الحديث، كما لو كان هناك سد في دماغي في مكان تتشكل فيه الشقوق ويتسرب الماء من خلالها، وكلما زادت التدفقات، زادت رغبة السد في التحطم.

# 20 إيلين

كانت ليلة طويلة، مثل أي ليلة تُقضى في غرفة انتظار بالمستشفى. أتذكر ولادة ماريان، ولينا، وكارلا. لكن أكثر ما أتذكره هو اليوم الذي تم فيه إدخال كارلا المستشفى لأول مرة. الطريقة الحذرة التي ألقى بها الطبيب تحذيره: أخشى أن تكون الأخبار غير جيدة. الذعر الفظيع الذي بدا على وجه ماريان، وكيف كانت يداها تقبضان على ذراعي وكأنها على وشك السقوط. ولينا، تفعل ما كانت تفعله دائمًا، تضغط على فكها وتطرح كل الأسئلة اللازمة. ما خياراتنا؟ دعونا نتحدث عن الخطوات التالية. مع كل الاحترام يا دكتور، أود الحصول على رأي ثانٍ بشأن تلك الفحوصات.

في حوالي الواحدة صباحًا، تذكر فيتز فجأة أنني امرأة مُسنة وقد أحتاج للذهاب إلى المنزل للنوم، لكن لم يكن من الصواب ترك مارثا. نمت على الأرض تحت كومة من سترات وجاكيتات روبرت وفيتز. لم أنم على الأرض منذ فترة طويلة جدًّا كنت أشعر بالألم في كل مكان. كأن أحدًا فكك جسدي وأعاد تركيب جميع الأجزاء مرة أخرى، أما رأسي فكاد ينفجر.

أتى فيتز ليأخذني مع اقتراب وقت الغداء، كنت لا أزال غافية، لكنني كنت قد انتقلت من الأرض إلى كرسي. بدا عليه الارتباك، لكنه كان سعيدًا أيضًا.

قال: «لقد جاء الطفل! إنها فتاة».

حاولت الوقوف بسرعة كبيرة وأسندت رأسي بيدي.

سأل فيتز وهو يساعدني على الوقوف: «هل أنت بخير؟».

«أنا بخير، لا تقلق بشأني. كيف حال مارثا ووليدها؟ وهل كلمت صديقات مارثا؟ هل كلمت ياز؟».

ابتسم فيتز وقال: «حدثناها عبر مكالمة الفيديو، حملت الهاتف حتى تتمكن من رؤية مارثا والطفل. إنها على متن طائرة عائدة الآن».

عقبت: «جميل».

انعطفنا عند الزاوية، فشهقت بقوة، مستندةً بيدي إلى حائط الغرفة. رأيت امرأة شابة في سريرها، شعرها مجعد، ووجهها يصرخ بالإرهاق.

قال فيتز: «سيدة كوتون، غرفة مارثا من هذا الاتجاه».

أدرت وجهي بعيدًا مع شعور بالغثيان، هذا المكان يؤذيني كثيرًا.

سألت بصوت يرتجف: «هل عائلتها هنا الآن؟».

قال فيتز: «نعم، والدها بالداخل معها».

قلت: «إذن، هي لا تحتاج إليّ، أعتقد أن الأفضل أن أعود إلى المنزل».

بدا كما لو كان يفكر في الذهاب معي، لكنني سعدت لأنه لم يعرض ذلك عندما ابتعدت. كان من المستحيل العثور على مخرج في هذا المكان الذي لا نهاية له. أخيرًا وجدت طريقي للخروج من المستشفى وتنفست جرعة من الهواء الجاف والملوث.

اتصلت بلينا بيدين ترتجفان بشدة، لدرجة أنني لم أستطع العثور على رقمها على ذلك الهاتف البائس بسهولة، لكن كان الأمر مهمًّا. أستطيع فعل ذلك. أحتاج فقط إلى - هذا الشيء اللعين - هل يمكن - ها، أخيرًا، إنه يرن.

قالت: «مرحبًا يا جدتي!».

بدا صوتها أخف من المعتاد، مثل نسمة. كنت غاضبة منها، الليلة الماضية، لكنني الآن مرهقة، وقد حدث الكثير منذ البارحة، لذا ليس لدي الطاقة للجدال معها. إنه الحل البريطاني التقليدي لأي خلاف عائلي، على أي حال. إذا تصرفت كما لو أنه لم يحدث شيء، فإن التظاهر بعدم الغضب يصبح في النهاية عدم غضب فعليًا بمرور الوقت.

قلت: «مرحبًا يا عزيزتي. أنا أتصل فقط لأخبرك أن مارثا وضعت طفلتها، طفلة جميلة، وكلتاهما بأمان وصحة، وعائلتها هنا».

«لاااا!» سكتت للحظة، ثم تابعت: «أعني، لم أقصد شيئًا سيئًا، لكن لم أرد تفويت هذا! كان من المفترض ألا تلد إلا بعد أسابيع! سأتصل بها، لا... يجب أن آتي لزيارتها! سأتحقق من مواعيد القطارات». سمعت صوت أصابعها تنقر فوق أزرار الحاسوب، بينما سكتت هي.

سألت: «هل أنت بخير يا جدتي؟».

«أشعر فقط ببعض القلق لكوني في مستشفى. أفكر في كارلا، لست في أفضل حالاتي».

لان صوتها: «يا إلهي، جدتي». توقف صوت الكتابة.

أغلقت عينيّ للحظة ثم فتحتهما مرة أخرى؛ لأنني لا أستطيع أن أبقى ثابتة على قدمي وعيناي مغلقتان.

«أعتقد أنني يجب أن أعود إلى المنزل يا لينا. بقائي هنا يجعلني أتصرف بحماقة».

«لا! ألا تستمتعين بوقتك؟».

تعثرت؛ كنت قد بدأت المشي، في طريقي إلى سيارات الأجرة المتوقفة خارج المستشفى، لكن توازني اختل بسبب الهاتف على أذني. استندت إلى الحائط بيدي الحرة وتسارعت

نبضات قلبي. أكره شعور السقوط، حتى إن تداركت الموقف ولم أسقط.

قالت لينا عبر الهاتف: « هل أنت بخير يا جدتي؟».

«نعم يا حبيبتي. بالطبع. أنا بخير».

«يبدو صوتك مهتزًا قليلًا. خذي قسطًا من الراحة، يمكننا التحدث عن ذلك غدًا. ربما حتى وجهًا لوجه، إذا جئت إلى لندن لرؤية مارثا».

لينا ستعود إلى لندن. نعم. والأمور ستعود إلى طبيعتها، وتعود على النحو الذي ينبغي أن يكون عليه... أنا سعيدة لذلك... أعتقد أنني بالفعل سعيدة، على أي حال، أنا فقط متعبة، لا أستطيع أن أحدد شيئا الآن.

عدت إلى الشقة، نمت لبضع ساعات، استيقظت وقد انتابتني مشاعر فظيعة، مترنحة ومريضة، كأنني في بداية الإصابة بالإنفلونزا. وجدت رسالة نصية على هاتفي المحمول من بي، تدعوني للخروج لتناول الشاي. لا أظن أنني أستطيع. أجبتها، ثم نمت مجددًا قبل أن أتمكن من شرح السبب.

بعد ساعة تقريبًا، سمعت طَرقًا على الباب. نهضت ببطء من السرير. وقد آلمني رأسي في اللحظة التي وقفت فيها، جفلت، وضغطت كفي على جبهتي. وصلت إلى الباب في النهاية، رغم أن ذلك استغرق وقتًا طويلًا، لدرجة أنني لم أتوقع أن يكون الشخص الذي طرق الباب لا يزال هناك. شعرت كم أنا كبيرة في السن. أعتقد أن ذلك الشعور ظل يلازمني منذ أن تعثرت خارج المستشفى.

كانت بي عند الباب، تحمل حقيبة ورقية كبيرة، عرفت أن بها طعامًا؛ من رائحتها، رمقتها بعينيّ، مرتبكة.

سألتُ بعبوس: «إيلين، هل أنتِ بخير؟».

سألتُ وأنا أحاول تنسيق وضع شعري قدر الإمكان: «هل أبدو بحالة سيئة؟».

قالت بي آخذة ذراعي إلى الداخل: «تبدين شاحبة، متى كانت آخر مرة أكلتِ فيها أو شربتِ؟».

حاولت أن أتذكر: «أوه، يا إلهي».

قالت بي: «تعالي اجلسي»، وأخذتني إلى الكرسي الذي أحضرته مارثا عندما أخبرتها أنني لا أستطيع التعامل مع الكراسي العالية السخيفة التي يجلسون عليها وقت الطعام. «جلبت لك طعامًا خفيفًا، نقانق وبطاطس مهروسة مع صلصة».

سألت مندهشة: «نقانق وبطاطس مهروسة من المطعم؟!»، بينما بدأت في سحب حاويات بلاستيكية من الكيس الورقي.

قالت مبتسمة وهي تضع كوبًا كبيرًا من الماء أمامي: «إنه سحر تطبيق دليفروو، اشربي ذلك، لكن ربما ليس بسرعة كبيرة. دائمًا ما تتقيأ جايمي عندما تشرب الماء بسرعة كبيرة إذا كانت مريضة. لينا أرسلت لي رسالة تقول إن مارثا أنجبت، وقد خمنت أنك كنت تعتنين بها، وليس بنفسك. والآن أنتِ مريضة قليلًا؟».

أومأت برأسي، وشعرت بالخجل إلى حد ما. لقد تصرفت بغباء، نمت على الأرض، ونسيت أن أتناول الطعام بشكل صحيح. أنا في التاسعة والسبعين، ولست في التاسعة والعشرين، وينبغي أن أتذكر ذلك، وأتصرف على هذا الأساس.

قالت بي: «ستصبحين على ما يرام في وقت قصير، كيف حال مارثا؟ ».

«مارثا لا تزال بالمستشفى في الوقت الحالي ».

تناولت رشفة من الماء. لم ألاحظ كم كنت عطشى، كانت حنجرتي جافة جدًّا لدرجة أنها آلمتني. قلت لها: «تمكنت ياز من إيجاد منزل يصادف استحسان مارثا أخيرًا، لكنه للإيجار

وليس للتمليك، وستتشاركان مبلغ الإيجار أيضًا، من المفترض أن تتسلما مفاتيحه اليوم».

أدارت بي عينيها في محجريهما، وذهبت لتحضر لنا أطباقًا من الخزانة.

قالت: «حسنًا، هذا غير عملي، لا يمكنكِ الانتقال من منزل إلى منزل في اليوم الذي تنجبين فيه».

قلت: «أعلم، لكن لا أستطيع إخبار مارثا بذلك». وأردفت وأنا أعتدل في جلستي: «آه صحيح، كيف كان موعدك مع الرجل من المكتبة؟».

ضحكت بي: «شربتِ نصف كأس من الماء وعدتِ إيلين كوتون مرة أخرى». دفعت لي طبقًا من البطاطس المهروسة والنقانق، وهي تقول: «تناولي ذلك، وسأخبرك بكل شيء».

أخذت قضمة من البطاطس المهروسة، ومضغت، ثم نظرت إليها منتظرة. رفعت عينيها بتعبير مُحب مختلط بالإحباط، وهو تعبير عادةً ما يعلو وجهها عندما تتحدث عن جايمي.

قالت وهي تأخذ شوكتها: «كان الموعد رائعًا، إنه ذكي ومضحك و... ليس من نوعي على الإطلاق، لكن بالمعنى الإيجابي» أضافت، وهي ترى أنني أفتح فمي للتحدث: «لكن بعد ذلك، تحدث كثيرًا عن كيف أنه لا يتعامل جيدًا مع الأطفال بمجرد أن ذكرت جايمي». رفعت كتفيها، وأكملت: «أعتقد أنك متفقة معي بخصوص أن زوجي المستقبلي عليه أن يكون لطيفًا مع الأطفال، وأنها نقطة يجب ألا تُحذف من قائمة شروطي».

يا للخسارة! لكن لا بأس، لم يكن من المرجح أن أنجح من أول محاولة.

«ينبغي عليك أن تحاولي البحث في حانة راقية بعد ذلك. هذه نصيحتي الآن».

نظرت بي إلي بمكر: «الأسبوع الماضي، كنت ستقولين إنك ستأخذينني إلى إحداها بنفسك. لكنكِ الآن تفكرين في العودة إلى هاملي، أليس كذلك؟».

«لقد أخبرتك لينا، أليس كذلك؟».

«كانت قلقة عليك».

«لم أقرر بعد» وضعت شوكتي لبرهة، وتنفست بعمق، الطعام يجعلني أشعر أكثر بالمرض، على الرغم من أنني متأكدة أنه سيفيدني على المدى الطويل، أكملت: «وينبغي ألا تقلق بشأنى».

سألت بي، ورفعت حاجبيها: «أوه، لأنك لا تقلقين بشأنها؟».

«بالطبع أقلق، إنها حفيدتي».

مضغت بي لبرهة، وبدت جدية: «هل يمكنني أن أخبرك بشيء يثير قلقي عن لينا؟».

ابتلعت ريقي: «بالطبع».

«أعتقد أن سيسي تدبر لها شيئًا».

ضيقت عينيّ: «سيسي؟». إنها الفتاة التي أرسلت رسالة نصية إلى هاتف لينا عن المشروع الذي يتقدم وينجح في غيابها.

تقول بي، وهي تصب لي كأسًا آخر من الماء: «لقد رأيتها تتناول القهوة مع إيثان في سوق بورو. هو استشاري وهي مساعِدة، من المحتمل أن كل ما في الأمر أنه لقاء عمل، لكن لا أزال أود أن أعرف إذا كان إيثان قد ذكر ذلك للينا».

«هل تعتقدين...».

لفّتْ بي كوبها بين يديها: «لا أعرف. لكن، أعني... هل تثقين بإيثان حقًّا؟».

قلت: «إطلاقًا»، ووضعت كأس الماء على الطاولة بقوة شديدة، حتى تناثر الماء على المنضدة. قلت: «لماذا لديه ثلاثة هواتف؟ ماذا يفعل حقًّا في جميع رحلات الصيد تلك؟ كيف يكون حذاؤه دائمًا لامعًا هكذا؟».

نظرت لي بي نظرة غريبة: «هذا لأنه يدفع لشخص ليقوم بتلميعه يا إيلين، لكن بالنسبة للنقاط الأخرى: متفقة معك. نعم، كان يدعم لينا عندما توفيت كارلا، أشهد له بذلك. لكنه يستفيد من الأمر منذ ذلك الحين. من وجهة نظري يبدو أنه توقف عن المحاولة. إنها فترة مهمة بالنسبة لها، وهو بعيد تمامًا».

«بينما، عندما يواجه أزمة في العمل، من يكون إلى جانبه ليلملم القطع المفقودة ويساعد في العروض التقديمية؟».

«هي من تفعل، أليس كذلك؟».

«طوال الوقت، تفعل ذلك. في يومٍ ما، اقترح فكرة رائعة للتعامل مع العملاء الغاضبين، وقد أحبها الجميع. بعد الاجتماع فقط أدركتُ أين سمعت الفكرة من قبل، كانت لينا قد اقترحتها لي عندما كنا في مشروع أبجو. كانت فكرتها، وليست فكرته، لكنه لم يقل كلمة واحدة لينسب إليها الفضل»، تنهدت وأكملت: «لا يعني ذلك أن لديه القدرة على خيانتها، على الرغم من ذلك. ربما يعني العكس. أعني أن الرجل يتعامل مع وجودها على أنه أمر مسلَّم به، لكنه يجب أن يرى أن حياته ستكون أصعب بكثير من دونها».

من تجربتي، لا يفكر الرجال بهذه الطريقة. قلت، محاولة أخذ لقمة أخرى من الطعام مع تراجع شعور الغثيان قليلًا: «مممم...».

قالت: «لا أعلم. أعتقد أن الأمر كان مجرد... أعني أن رؤية إيثان في ذلك المقهى وهو يحدق في عينيْ سيسي...».

«كان يحدق؟».

«أعلى درجات التحديق!».

سألتُ، بينما فركت رقبتي التي بدأت تؤلمني: «ماذا نفعل؟ هل يمكنك استدراجه؟».

قالت بي بنظرة مرِحة: «أعتقد أنك تشاهدين الكثير من دراما الجريمة مع مارثا، لن أقوم باستدراج أي شخص، شكرًا».

«حسنًا، وأنا أيضًا لا يمكنني استدراجه بالطبع، أليس كذلك؟ ... هيا يا فتاة تحملي المسئولية».

ضحكت بي: «حسنًا لن أقوم باستدراجه! سأكتفي فقط... بمراقبته!».

أود أن أظل هنا وأفعل الشيء نفسه، لن يشتبه في الأمر إذا كنت أنا من يراقبه، لا أحد يشك أبدًا بالمرأة العجوز.

قالت بي بسعادة: «أوه... عظيم! لا بد أنك بدأت تشعرين بتحسن، فها قد علا وجهك قناع المكر».

# 21 لينا

كنت قد استعددت تمامًا للعودة إلى لندن في الصباح التالي للولادة، لكن عندما أجابت ياز على هاتف مارثا، أخبرتني، بكل لطف ممكن، أن مارثا لا تزال في طور التأقلم على الوضع الجديد، وبالكاد تطيق وجود ياز معها، وأنها لا ترغب في زوار حتى مرور بضعة أسابيع لتسترد صحتها ولا تضطر للاهتمام بنظافة المنزل ونظافتها هي نفسها.

قالت ياز باعتذار: «لقد منعت حتى والدها من المجيء للإقامة، آسفة يا لينا».

سمعت مارثا في الخلفية تقول: «مرري لي الهاتف!».

قلت: «مرحبًا!». وضعت الهاتف على وضع مكبر الصوت، بينما وقفت أنظم مطبخ جدتي، لكنني عدت وأمسكته. أحتاج إلى صوت مارثا ليكون أقرب إلى وجهي، فهذا أقرب ما يمكنني فعله لاحتضانها. «يا إلهي، كيف حالك؟ وكيف حال الرضيعة فانيزا؟».

قالت مارثا بجدية: «إنها مثالية. أعلم أنه من الكليشيهات أن أقول ذلك، لكنني أعتقد حقًّا أنها كذلك، لينا، على الرغم من أن الرضاعة الطبيعية أقل بكثير مما توحي به لوحة مادونا والطفل. إنها تؤلم، إنها نوعًا ما... تعض».

عبس وجهي.

«لكن القابلة تقول إنها ستأتي وتساعدني في إيجاد وضع مناسب للرضاعة، وسنحل الأمر في وقت قصير، أليس كذلك يا طفلتي الجميلة؟». على الأغلب كانت الجملة الأخيرة موجهة إلى فانيزا، وليس إليّ. أكمَلَت: «كم كانت ياز رائعة! إذ ساعدتني في إيجاد شقة رائعة لي وللرضيعة في كلافام! أليس هذا رائعًا؟ لكن على أي حال، ليس هذا ما أردت قوله

يا عزيزتي، أردت أن أقول... أوه، أنا آسفة لعدم دعوتك للقدوم. أحبك، لكن... الوضع لا يزال فوضويًّا، وأريد التركيز على الطفلة فقط...».

«لا تقلقي، أفهم تمامًا. تحتاجين إلى وقتك مع فانيزا أيضًا».

«حسنًا. شكرًا، يا حبيبتي. لكن هذا أيضًا ليس ما أردت قوله. ماذا كنت أريد أن أقول يا ياز؟».

يا إلهي، هكذا كانت مارثا بعدما تتناول خمس كئوس من الشراب وتظل مستيقظة دون نوم. هل هذا ما يعنيه الناس عندما يتحدثون عن «عقلية الرضيع»؟ لكنني ابتسمت. بدت سعيدة جدًّا، مُشبَّعة بالسعادة. من الرائع سماعها، ويكفي أن لها صديقة جميلة كياز بجوارها.

قالت ياز، في الخلفية: «أردتِ أن تقولي لها أن تمنع جدتها من العودة إلى هاملي».

«نعم! لينا. لا يمكن لجدتك العودة إلى المنزل الآن، من المفيد لها أن تكون هنا في لندن. لقد رأيتها كل يوم في الشهر الماضي، وبصراحة، هذا التحول في شخصيتها، دبت معه الحياة فيها من جديد، وأصبحت تبتسم أكثر من الطبيعي بعشر مرات. في الأسبوع الماضي، دخلت ورأيت أنها وفيتز يرقصان معًا على أنغام أغنية Good vibrations!».

امتدت يدي الفارغة إلى موضع قلبي، فصورة جدتي مع فيتز وهما يرقصان معًا لا تقل في جمالها عن الصورة التي أرسلتها ياز لي مؤخرًا للطفلة فانيزا.

استمرت مارثا: «وهل تعلمين أنها تقابل ممثلًا؟ وأنها جعلتنا جميعًا نحول منطقة الطابق السفلي من المبنى إلى مساحة مجتمعية؟».

«حقًّا؟ المنطقة التي بها الأرائك الملطخة بشكل عشوائي تلك؟» ثم، سكتُّ لحظة أستوعب وقلت: «هل الممثل اسمه تود؟ إنها لا تخبرني بشيء عن حياتها العاطفية، وهذا مزعج

جدًّا!».

«أنتِ حفيدتها يا لينا. من غير المفترض أن تُبقيك على اطلاع بشأن علاقاتها».

قلت، واضعة يدي على صدري: «ومع ذلك تتطفل على علاقاتي، على الدوام».

ضحكت مارثا: «إنها تستمتع بوقتها هنا، وهي تعمل على هذا المشروع الجديد، نادٍ اجتماعي لكبار السن في شورديتش».

«هل يوجد كبار سن في شورديتش؟».

«بالطبع! من كان يعلم! على أي حال، لقد بدأت تنفيذ الفكرة، وهي متحمسة جدًّا لها، عليك أن تدَعيها تكمل ما بدأته!».

فكرت في باسيل، وكيف سَخِر من مشاريع جدتي التي لا تكتمل، وشعرت فجأة بأنني فخورة جدًّا بجدتي. «يبدو أن هذا المشروع رائع. أودُّ ألا تتخلى أبدًا عن طموحها بإحداث فرق في أي مكان تذهب إليه، حتى بعد عقود من الإحباط بسبب رجال مثل باسيل وجدي ويد، اللذين اعتادا الحط من عزيمتها.

قالت مارثا: «إن مكالمتها مع والدتك هي ما جعلتها تعتقد أنه يجب عليها العودة إلى البيت، شيء حول شجار ما؟».

«أووه».

«قولي لإيلين إنكِ ستصلحين الأمور مع والدتك وأراهن أنها ستبقى هنا، وهذا سيكون مفيدًا لك أيضًا يا عزيزتي. أعني الحديث مع والدتك».

التقطتُ قطعة القماش مرة أخرى فركت بقوة على الموقد: «آخر مرة تحدثنا فيها انتهت بشجار فظيع»، عضضت شفتيّ: «أشعر بالسوء حيال ذلك».

قالت مارثا بلطف: «قولي ذلك إذن، قولي لوالدتك ذلك».

«عندما أكون معها، كل المشاعر، أعني ذكريات وفاة كارلا، تهاجمني، كأنني أتلقى ضربة من جرافة».

قالت مارثا: «وقولي ذلك أيضًا، هيا، كلتاكما بحاجة لبدء الحديث».

اعترفت: «لقد كانت جدتي تريد مني أن أتحدث مع أمي عن مشاعري منذ شهور».

«ومتى كانت جدتك مخطئة في يوم من الأيام؟ لقد وقعنا جميعًا في حب إيلين بشكل جنوني، تعرفين، بما في ذلك فيتز، حتى إنني أفكر مثلًا في شراء واحدة من تلك الأساور التي كان يرتديها الناس في التسعينيات ويكتبون عليها شعارات، وأكتب عليها: ماذا كانت إيلين كوتون ستفعل؟».

مشيت لمدة طويلة بعد مكالمة مارثا، اتبعت مسارًا أركض فيه أحيانًا. لاحظت الكثير من التفاصيل في هذه الوتيرة البطيئة: هناك ألوان خضراء كثيرة هنا، جميعها مختلفة. أيضًا، كيف بُنيت تلك الجدران الحجرية بشكل جميل، حيث تم إدخال الأحجار مثل قطع الأحجيات. كيف يبدو وجه الخروف المستكين هذا كأنه يتهمني.

في النهاية، بعد عشرة كيلومترات غير مريحة من التفكير، اتصلت بأمي عند جذع شجرة بجانب مجرى مائي. إنه المكان الأكثر راحة وجمالًا هنا، وهو ما يبدو بيئة ضرورية لخوض محادثة صعبة.

«لينا؟».

«مرحبًا يا أمي».

أغلقت عيني للحظة بينما تغمرني المشاعر بغمارها. أشعر بأن هذه المرة أسهل قليلًا، نظرًا لأنني مستعدة لها.

«جدتي تريد العودة إلى هاملي».

ردت أمي بسرعة: «لينا، أنا آسفة جدًّا لم أقل لها أن.. لم أفعل حقًّا. أرسلت لها رسالة نصية، مساء أمس، وقلت لها إنه ينبغي عليها البقاء في لندن، أقسم بأنني فعلت. لقد شعرت بلحظة ضعف عندما اتصلت بها، وهي قررت...».

«لا بأس يا أمي، لستُ غاضبة».

ساد الصمت.

«حسنًا، بل أنا غاضبة...» ركلت حجرًا بطرف حذائي، فانطلق إلى مجرى الماء... «أعتقد أنك عرفتِ ذلك».

«كان ينبغي علينا أن نتحدث عن كل هذا بالشكل الملائم في وقت سابق. أعتقد أنني ظننت أنك ستفهمين مع مرور الوقت، لكن... لقد دعمتُ كارلا فقط فيما اختارته هي يا لينا. أنت تعرفين أنه لو أرادت أن تجرب عملية أخرى أو جولة أخرى من العلاج الكيميائي أو أي شيء آخر، كنت سأدعم ذلك أيضًا. لكنها لم تُرد ذلك يا عزيزتي».

بدأت عيناي تؤلمانني، وهي علامة منذرة بانهمار الدموع. كنت أعرف أن ما تقوله صحيح، حقًّا. إنه فقط...

قالت أمي: «أحيانًا يكون من الأسهل أن تغضبي بدلًا من أن تحزني». هذه الفكرة نفسها التي كنت سأقولها، ومن الطبيعي أن تعرف ذلك بوصفها أمي. «وكان من الأسهل لكِ أن تغضبي مني، بدلًا من أن تغضبي من كارلا، حسبما أتصور».

قلت، والدموع في عيني: «حسنًا، كارلا ماتت، لذا لا أستطيع أن أصرخ في وجهها».

قالت أمي: «حقًّا؟ أنا أفعل ذلك أحيانًا».

ضحكت نصف ضحكة.

واصلت أمي بهدوء: «أعتقد أنها ستشعر بالإهانة قليلًا لو عرفت أنك ترفضين الصراخ في وجهها لمجرد أنها ماتت، أنت تعرفين كم كانت تحب معاملة الجميع بالتساوي».

ضحكت مرة أخرى. وقفت أراقب عودًا عالقًا خلف صخرة، يتلاعب به تيار النهر، وتذكرت الأوقات التي لعبت فيها لعبة «بو ستكس» مع كارلا وجدتي في طفولتي، وكيف كنت أشعر بالغضب إذا علقت عصاي.

قالت أمي بهدوء: «أنا آسفة لأنني اتصلت بجدتك، كانت نوبة من نوباتي، وأحيانًا ما كنت أشعر بـ... الوحدة الشديدة».

ابتلعت ريقي وعقبت: «أنتِ لستِ وحدكِ يا أمي».

قالت أمي بعد لحظة: «سأتصل بها مرة أخرى. سأخبرها أن تبقى في لندن، وسأخبرها أنني أريدكِ أن تبقي ولن أقبل بغير ذلك».

«شكرًا لكِ».

«أنا أريدكِ أن تبقي، كما تعرفين، أكثر من أي شيء آخر، في الحقيقة. لم يكن الأمر متعلقًا بذلك. كان مجرد حاجة، حاجة إلى أمي».

راقبت الماء يتدفق. قلت: «نعم، نعم، أستطيع أن أفهم ذلك».

# 22 إيلين

عليّ أن أقول إن العمل مع فيتز على نادي سيلفر شورديتشرز جعلني أرى ذلك الرجل بأعين جديدة تمامًا. كان يعمل لساعات طويلة في وظيفته الأخيرة - موظف استقبال في فندق فاخر - لكن كلما كان في المنزل، أجده هنا في الطابق السفلي يرسم شيئًا أو منكبًا على حاسوبه المحمول يقرأ عن إنشاء المنظمات الخيرية على الإنترنت. لقد تولى إدارة نادي شورديتشر بالكامل، حتى إنه صنع بعض الملصقات للنادي، مع شعار صغير، إنه أمر رائع. لقد كنت ألح عليه لأسابيع وأنصحه بأن يسعى أكثر في طريق تحقيق طموحاته المهنية، لكن صدقًا، لم أكن أعلم أنه يمتلك كل هذا في داخله.

صاح: «ها هي ذي!». كان واقفًا حيث علّق صورة كبيرة على الحائط».

قلت: «اللمسة النهائية المثالية!».

كانت صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود مكبرة للمبنى من الخمسينيات، عندما كان لا يزال مطبعة، وثمة مجموعة من الناس مجتمعين في الخارج، يتحدثون ويدخنون، وياقاتهم مرفوعة. وضعنا اللوحة كتذكير بأن هذا المكان ليس مجرد مجموعة من المنازل الفردية، إنه مبنى واحد أيضًا، وله تاريخه الخاص.

ابتسمت، ووقفت أتأمل المساحة التي أنشأناها، إنها جميلة. وضعنا أريكة حمراء تواجه تلك النوافذ الرائعة، وطاولة طعام طويلة في الجزء الخلفي من المساحة، والعديد من الطاولات الصغيرة مع كراسي متناسقة بشكل ساحر، جاهزة ومُعدة لاستضافة مسابقات دومينو والرومي.

شعرت بسعادة غامرة لوجودي هنا وأرى كل ذلك يتحقق، وسعادتي الكبرى كانت في السبب الذي لم يجعلني أعود إلى المنزل مبكرًا، وهو أن ماريان طلبت مني ألا أعود؛ سماعها

تقول كم تحتاج إلى هذا الوقت مع لينا، هما فقط... شعرت وكأنها رفعت عبئًا ثقيلًا عن صدري.

رن هاتفي. أحضره لي فيتز من جانب الأريكة. كانت بيتسي. أوه، اللعنة، كنت أنوي الاتصال بها. حتى الآن ظللت أتصل بها كل أسبوع، فقط هذا الأسبوع انشغلت بالتحضيرات، ونسيت تمامًا.

قلت بنبرة متصنعة: «بيتسي، لقد التقطت هاتفي للتو لأتصل بك، يا لها من مصادفة!».

قالت بيتسي: «مرحبًا، عزيزتي إيلين». عبست، فأنا على دراية كافية بطبقات صوت بيتسي، وأستطيع اكتشاف بهجتها الزائفة، مما يشي بيوم سيئ. شعرت بالسوء الشديد؛ كوني نسيت أن أطمئن عليها.

سألتُ بحذر: «هل أنت بخير؟».

قالت: «أوه، أحاول التأقلم. لقد اتصلت لأن حفيدي في لندن، اليوم».

«هذا رائع!».

حفيد بيتسي مخترع، دائمًا ما يحلم بابتكار أجهزة سخيفة وغير ضرورية، لكنه الوحيد في عائلتها الذي يبقى على تواصل معها بشكل منتظم، وهذا يجعلني أقدِّره بشدة. وإذا كانت تعرف مكانه، فهذا يعني أنه اتصل بها منذ وقت قريب، وهذا ممتاز. الآن يحتاج فقط إلى جعل والدته تفعل الشيء نفسه.

«وهذا هو الحفيد الذي اخترع الـ... الـ...»، أوه، لماذا فتحت هذا الموضوع! تركتني بيتسي أحاول التخمين قليلًا، ثم قالت بشموخ: «مغرفة الحمص، نعم هو. إنه في لندن من أجل اجتماع، وعندما أخبرني قلت له: يا لها من صدفة سعيدة، إيلين في لندن أيضًا! يجب أن تلتقيا لتناول الغداء!».

ضغطت شفتي. شعرت فجأة بأن بيتسي نسيت أن لندن تغطي أكثر من ألف وخمسمائة كيلومتر مربع وتضم أكثر من ثمانية ملايين شخص.

«لقد أخبرته بالفعل أن يتصل بك لترتيب اللقاء. فكرت أنك قد تكونين وحيدة هناك، وأنه سيكون من الجميل أن يكون لديك شخص تتحدثين معه».

لم أجرؤ على أن أخبرها أنني لست وحيدة على الإطلاق. ربما كنت كذلك في البداية، بالطبع، لكن الآن بالكاد أحظى بلحظة وحدي، ما بين مقابلة تود، والتخطيط لنادي شورديتشر، والنميمة مع ليتيتيا...

قالت بيتسي: لديه خبرة طويلة في مجال اللقاءات العاطفية، قد يكون قادرًا على إعطائك بعض النصائح في هذا الصدد».

بصوت متقطع سألتها: «اللقاءات العاطفية؟».

«نعم! هكذا يُسمي الأمر، على أي حال. إنه يستخدم كل هذه الأشياء الغريبة على هاتفه المحمول، ربما يمكنه أن يخبرك عنها».

قلت ببطء: «نعم، نعم، سيكون ذلك رائعًا. ذكريني يا بيتسي بحفيدك، كيف حاله؟ ما تاريخ علاقاته؟ آماله وأحلامه؟ آراؤه السياسية؟ هل هو طويل؟».

«أوه، حسنًا»، بدا أنها أُخذت بأسئلتي، لكن سرعان ما استعادت غريزة الجدة، ولم تستطع مقاومة إطلاق العنان لها، إذ راحت تتحدث بلا توقف لمدة خمس وعشرين دقيقة عنه. معلومات مثالية، بالضبط ما أبحث عنه. بل ربما أفضل، بدا واعدًا جدًّا بالفعل.

قلت عندما بدأت تلهث في النهاية: «يا له من رجل رائع! كم هو رائع يا بيتسي! هل سيتصل بي؟».

«نعم!» سمعت صوتًا من بعيد خلف بيتسي، ثم قالت وقد اضطراب صوتها: «يجب أن أذهب، سنتحدث قريبًا يا إيلين! حاولي أن تتصلي بي قريبًا، حسنًا؟».

وعدتها: «سأتصل، اعتن بنفسك».

بمجرد أن أنهيت المكالمة، فتحت واتساب. أصبحت أفضل بكثير في استخدام هذا الهاتف الآن، بفضل تعليمات فيتز، الذي ظل يلازمني لأيام بينما أتصفح الشاشة، ويومئ لي بالموافقة على هذه الخطوة، ويردعني عن القيام بتلك. وجدت رسالة من شخص لا أعرفه. مد فيتز رأسه وعلمني كيف أقبله في جهات الاتصال.

مرحبًا، السيدة كوتون، أنا حفيد بيتسي. أعتقد أنها أخبرتك بخصوص الغداء! ما رأيك بمطعم نووبى، الساعة الواحدة ظهر الغد؟ أطيب التحيات، مايك.

أرسلت رسالة إلى بي قبل أن أرد على رسالته.

مرحبًا بي. هل أنت متاحة للغداء غدًا؟ مطعم نووبى، الساعة الواحدة والربع؟ مع حبي، إيلين.

مايك ليس طويلًا جدًّا فحسب بل أيضًا وسيم بشكل مشجع، رغم أنه يمتلك أنف بيتسي نفسها، لكن لا يمكنه تغيير ذلك. لديه نظارات ذات إطار سميك وشعر بني متجعد قليلًا. جاء يرتدي بدلة رمادية، وكأنه جاء لتوه من اجتماع مهم جدًّا. حاولت ألا أتحمس أكثر من اللازم. جلسنا إلى طاولة مثالية: كبيرة بما يكفي لإضافة شخص آخر كما أتاحت لي رؤية الشارع حتى أتمكن من رصد بي عندما... نعم! لقد جاءت بالفعل! رائع.

قالت متسائلة: «إيلين؟، وقد بدت في حيرة وهي تقترب من الطاولة. نظرت إلى مايك، فبدأت تستوعب الأمر، وضيقت عينيها.

تحدثتُ قبل أن تبدأ التذمر: «أهلًا بي. أوه، مايك، آمل ألا تمانع، كان من المفترض أن ألتقي صديقتي بي لتناول الغداء اليوم، لذا دعوتها لتنضم إلينا».

تعامل مايك مع الأمر بهدوء رجل معتاد على المفاجآت. قال، وهو يمد يده: «مرحبًا، أنا مايك».

ردت بي بأكثر نبراتها جفافًا وبرودًا وتنفيرًا: «بي!».

قلت: «حسنًا، أليس هذا تجمعًا رائعًا؟ مايك، لماذا لا تبدأ إخبار بي بكل شيء عن دراستك؟».

بدا مايك مرتبكًا بعض الشيء. ثم قال، وهو يقف بشهامة ويترك كرسيه لبي: «دعيني أذهب وأطلب كرسيًّا آخر أولًا».

قالت بي: «شكرًا لك»، ثم بمجرد أن جلست في مقعدها الجديد، همست: «إيلين! ألا تخجلين! لقد أجبرتِ هذا الرجل المسكين على لقاء معي دون أن يعلم!».

قلت، وأنا أُمعن النظر في قائمة الطعام: «أوه، هراء، إنه لا يمانع».

«حقًّا؟! وكيف عرفت ذلك؟!».

نظرت إليها، وقلت: «إنه يصلح شعره في المرآة خلف المعطم الآن، يريدك أن تعجبي بمظهره».

نظرت حولها، ثم أمالت رأسها إلى الجانب، وقالت على مضض: «لديه وركان جذابان، على أية حال».

«بي!».

«ماذا؟! أردتني أن أحبه، أليس كذلك؟! ولم أر الكثير منه حتى الآن لأمدحه بشأنه! أوه، مرحبًا يا مايك». كان مايك قد عاد إلى الطاولة ومعه نادل وكرسي. قالت له: «آسفة جدًّا على الإزعاج».

قال ببساطة: «لا مشكلة على الإطلاق»، ثم خاطب النادل: «شكرًا جزيلًا، أقدِّر حقًّا الجهد الذي بذلته».

همستُ لبي: «مهذب مع النُّدل، إشارة جيدة جدًّا».

بدا مايك مستمتعًا. قال: «إيلين، تتمتعين بميزة ليست لديّ ولا لدى بي: أنت الشخص الوحيد على هذه الطاولة الذي يعرف كلينا. إذن لماذا لا تخبريننا لماذا أردت التوفيق بيني وبين بي، اليوم؟».

سكتُّ متفاجئة قليلًا: «أوه، ممم، حسنًا...».

التقطتُ تعبير بي الذي يحمل لونًا شريرًا من المتعة، بعد أن أطلقَت نظرة تقدير لمايك. ضيقت عيني لكليهما.

«لقد قضيت وقتًا طويلًا في السنوات القليلة الماضية وأنا أُبقي فمي مغلقًا بشأن شيء أو آخر، لكنني أدركت مؤخرًا أنه في بعض الأحيان من الأفضل أن تتدخل، كما نقول. لذا فلن تحاولا إشعاري بالخجل من محاولتي التوفيق بينكما. كما قالت بي: لا أعرف الخجل». رفعت يدي أمنع مايك حين فتح فمه ليقول شيئًا: «لا، لا، دعني أنه كلامي. بي مستشارة مالية ناجحة جدًّا وتخطط لإطلاق شركتها الخاصة قريبًا. مايك، لقد أنشأت مشروعك الخاص مؤخرًا حول... مغرفة الحمص». لوحت بيدي نحوهما: «تفضلا، تناقشا».

عدت إلى المنزل وأنا أشعر بالسعادة. لقد ترأست كل تفاصيل لقاء بي ومايك، وكان الأمر ناجحًا جدًّا. حسنًا، قضيا معظم الوقت في الضحك، على الأقل، وفي بعض الوقت كانا يضحكان عليّ، أعترف، لكن ذلك لم يكن مهمًّا. لقد كنت دائمًا أخاف بعض الشيء من أن

يضحك أحد عليّ، لكن عندما يكون الأمر وفق شروطك، وأنت نفسك تضحك أيضًا، يكون ممتعًا جدًّا كما اتضح.

جلست إلى طاولة الإفطار ومعي لابتوب لينا. وجدت ثلاث رسائل جديدة في انتظاري على موقع اللقاءات العاطفية.

تود أوف ستيدج: أراك مساء الغد، في منزلي.

عادةً أكره أن يأمرني أحد، لكن بطريقة ما عندما يفعل تود ذلك، لا يضايقني الأمر على الإطلاق. تنحنحت وكتبت ردي...

إيلين كوتون *79*: حسنًا، إذا كنت تصر على ذلك...

أوف! حسنًا، يجب أن يهدئني ذلك مرة أخرى، رسالة من أرنولد. ظننت أنني أخبرته أن يذهب بعيدًا ويتوقف عن التسكع في صفحتي، أليس كذلك؟

أرنولد *1234*: رأيت هذا وفكرت فيك...

ضغطتُ على الرابط أسفل رسالته، كان فيديو لقطة تأكل من حديقة كبيرة من البانسيه.

تفاجأت أنني ضحكت بصوت عالٍ.

إيلين كوتون *79*: هذا لا يعني شيئًا يا أرنولد ماكينتاير!

أرنولد *1234*: هناك الكثير من مقاطع القطط على الإنترنت. لقد كنت أشاهدها لساعات.

إيلين كوتون *79*: هل رأيت تلك التي مع البيانو؟

أرنولد *1234*: رائعة، أليس كذلك؟

ضحكت.

إيلين كوتون *79*: ظننت أنك لا تحب القطط.

أرنولد *1234*: لا أحبها. لكن مهما كنت تعتقدين، إيلين، أنا لست وحشًا، والوحش فقط هو من قد يعجز عن الاستمتاع بقطة تعزف على البيانو.

إيلين كوتون *79*: لا أراك وحشًا، أراك مجرد رجل عابس.

ظلت العلامة التي تشير إلى أن أرنولد يكتب على الشاشة لوقت طويل. أرنولد يكتب ببطء شديد.

وبينما أنتظر، عدت إلى صفحة ملفه الشخصي. كان لا يزال هناك القليل جدًّا من التفاصيل، لكنه أضاف الآن صورة ملف شخصية، صورة له مبتسمًا في الشمس مع قبعة قش تغطي رأسه بشعره المتساقط. ابتسمت، شكله في صورة الملف الشخصي كان يشبه تمامًا شكله الحقيقي، مما جعلني أشعر بالذنب قليلًا بشأن صورتي التي مر عليها عقد من الزمن، والتي التقطت في إضاءة مُرضية جدًّا، وظروف جعلتها تبدو مثالية.

أرنولد *1234*: أنا لست عابسًا طوال الوقت، بالتأكيد.

إيلين كوتون *79*: فقط عندما أكون موجودة، إذن...

أرنولد *1234*: أنت مستفزة جدًّا.

إيلين كوتون *79*: أنا؟

أرنولد *1234*: وربما ضيقة الأفق قليلًا أيضًا.

إيلين كوتون *79*: ضيقة الأفق! متى رأيتني بهذه الصفة؟!

أرنولد *1234*: عندما اكتشفنا أن سقيفتي تتجاوز قليلًا الخط الحدودي الفاصل بين منزلينا، وجعلتِني أعيد بناءها بالكامل.

ضحكت. لقد فعلت ذلك، يجب أن أعترف. كان أرنولد غاضبًا جدًّا، وكان ذلك مضحكًا.

إيلين كوتون *79*: يجب احترام قوانين الملكية يا أرنولد. وإلا، فكما يحب صديقي الجديد فيتز أن يقول... ماذا يميزنا عن الحيوانات؟

أرنولد *1234*: صديق جديد، ها؟

إيلين كوتون *79*: نعم...

أرنولد *1234*: صديييييق جديد، ها؟

ضحكت عندما أدركت قصده.

إيلين كوتون *79*: فيتز إنه زميل لينا في السكن! إنه في عمر حفيدي!

أرنولد *1234*: جميل.

أرنولد *1234*: أعني أنه من الجميل أنك كونت صداقات مع زملائك في السكن. كيف يبدو منزلهم إذن؟

تذكرت متأخرًا أن هناك رسالة أخرى تنتظرني. كانت من هوارد.

فتى الريف العجوز: مرحبًا، عزيزتي إيلين! لقد انتهيت للتو من قراءة رواية (مصيدة الفئران)، قررتُ قراءتها حين قلتِ إنها من الروايات المفضلة لديكِ، ويجب أن أقول إنني أحببتها أيضًا. يا لها من نهاية!

شعرت بدفء يحتل صدري. بدأت بكتابة رد. هوارد دائمًا ما يكون مهتمًّا جدًّا، من النادر أن تجد رجلًا يهتم بالاستماع أكثر من التحدث. لقد ناقشنا كل أنواع الأمور على هذا الموقع، أخبرته عن عائلتي، وأصدقائي، وحتى ويد. كان لطيفًا جدًّا وقال إن ويد أحمق ليرحل ويتركني. وفي الواقع أنا أتفق مع هذا الرأي تمامًا.

ظهرت رسالة أرنولد التالية، لكنني ضغطت على زر التقليص لأضعها بعيدًا عني.

# 23 لينا

عندما رن جرس الباب، كنت قد خرجت للتو من الحمام. ارتديت ملابسي سريعًا. توقعت أن يكون أرنولد، فقد أصبح يزورني لتناول كوب من الشاي بين الحين والآخر، وبعد إصرار مني، صار يحضر من الباب الأمامي بدلًا من باب المطبخ. أرسلت شعري إلى الخلف بينما ركضت نحو الباب.

عندما وصلت إلى الباب، اكتشفت أنه لم يكن أرنولد، بل هانك. أو بالأحرى، كان جاكسون ومعه هانك، لكن هانك خطف عينيّ أولًا، وهو يقف على ساقيه الخلفيتين في أقصى مدى له، يحاول بشدة الوصول إلي.

قلت: «مرحبًا»، بينما سحب جاكسون هانك إلى وضع الجلوس.

قال جاكسون: «هل تريدين أن تأتي في نزهة معي ومع هانك؟ هذا عرض صُلح، في حال عجزتِ عن فهم ذلك منه، أعني من هانك».

قلت: «أنا... نعم! نعم، بالتأكيد. شكرًا لك يا هانك». انحنيت انحناءة غريبة للكلب، ثم حاولت الاعتدال سريعًا كما لو أن ذلك لم يحدث. ثم قلت أشير إلى رأسي: «دعني فقط...» ثم، مدركة أن هذا قد لا يكون كافيًا، قلت: «شعري يحتاج إلى تصفيف».

نظر جاكسون إلى شعري، وقال: «أوه، صحيح. سننتظر».

قلت وأنا في طريقي للداخل: «تفضل بالدخول، الغلاية لا تزال دافئة إذا كنت ترغب في تناول مشروب. أوه، هل يريد هانك واحدًا؟ هناك أوعية بلاستيكية تحت الحوض».

قال جاكسون: «شكرًا».

عادة ما يستغرق تجفيف شعري نصف ساعة، لكن هذا لم يكن خيارًا متاحًا بالتأكيد. وقفت أمام مرآة غرفة المعيشة الخاصة بجدتي، وآنت وديك يتجولان بين كاحليّ، ورفعت شعري إلى وضع الكعكة التي أذهب بها للعمل، على الرغم من أن هذه التصفيفة غير مريحة لفروة رأسي أبدًا. يا إلهي هل كنت أذهب إلى العمل، كل يوم، بهذا الوضع؟ هذه التصفيفة تشعرني كما لو كان هناك شخص يسحب شعري طوال الوقت من الخلف. لا بأس عمومًا، سيفي بالغرض.

«أووه هل تركت هاتفي بالخارج؟». كنت قد اعتدت الوزن الصلب والثقيل لهاتف جدتي النوكيا في جيب بنطالي الخلفي، تساءلت عما إذا كنت سأحتاج إلى بعض الوقت، لأعتاد هاتفي الآيفون مرة أخرى عندما أعود إلى لندن.

خفضت ذقني لأكمل ربط الكعكة، وعندما رفعت رأسي وجدت جاكسون خلفي، بدا وجهه مختلفًا قليلًا في المرآة، مثلًا كان أنفه المعوج ينحني في الاتجاه الآخر.

استدرت لأواجهه فابتسم، وهو يمد يده بهاتف جدتي: «بدأت تعتادين قالب الطوب القديم هذا، إذن هل...».

ساد صمت طويل محرج بيننا، ثم استطرد:

«هل نخرج الآن؟».

«نعم، فكرة جيدة».

خرجنا من المنزل ونزلنا إلى شارع لين الأوسط. كنا نمشي بسرعة كبيرة، سرعة أكبر من أن تسمح لنا بالتحدث بشكل مريح. ممتاز، الصمت هو ما أريده بالضبط الآن.

بدا أن المشي ساعد في تبديد بعض التوتر المحرج بيننا. أما هانك فبدا مستمتعًا جدًّا، يسير بجانب جاكسون مباشرة، يهز ذيله. سحبت نفسًا عميقًا من هواء الربيع النقي حيث

امتدت التلال أمامنا. أستطيع أن أشم روائح عطرة لأشياء تتفتح في الشجيرات، وأن أسمع أصوات الطيور الصغيرة وهي تتنقل بين أغصان الأشجار فوقنا، إنه جمال الطبيعة. نعم، ركزي على جمال الطبيعة يا لينا، وليس على وسامة جاكسون.

سأل جاكسون، مشيرًا إلى هانك: «هل أنت جاهزة لأخذه؟»

تنحنحت وقلت: «نعم... بالتأكيد!».

أخرج من جيبه الخلفي مكافأة للكلاب، وهو يقول: «هنا»، شمها هانك على الفور، فرفع أنفه ونظر نحونا.

«حاولي أن تقولي له (امش بجواري)».

قلت: «امش بجواري يا هانك».

هبط هانك إلى جانبي، مانحًا إياي نظرة حب كنت أظنها مخصصة لجاكسون فقط. لكن اتضح أن الأمر كله يتعلق بالمكافأة التي ينتظرها، وقد شجعني هذا كثيرًا.

قلت، وأنا أنظر إلى أعلى لجاكسون: «انظر إلى هذا، لقد امتثل!».

ابتسم لي، فظهرت غمازاتاه، ثم انزلق نظره بعيدًا، غير مرتاح.

واصلنا السير، كانت خطواتنا هي الصوت الوحيد الذي أسمعه بجانب تغريد الطيور. وهانك كان مطيعًا بشكل رائع، ورغم ذلك أمسكت سلسلته بإحكام، فقط في حال حدث شيء.
أخذَنا جاكسون في مسار لا أعرفه، مررنا عبر غابة كثيفة وجميلة وباردة شرق القرية، حتى باتت هاملي على مرمى بصرنا مرة أخرى. من هناك تمكننا من رؤية الزقاق الصغير حيث تعيش بيتسي، خمسة أو ستة بيوت بيضاء متراصة بجوار بعضها، ووجهاتها تشير نحونا، ونوافذها تلمع بالضوء.

قال جاكسون، وهو ينظر إليّ من الجانب: «أنت تفرطين بالتفكير مرة أخرى، أليس كذلك؟».

«هل أنت حقًّا لا تستغرق بالتفكير؟ هل تمشي هكذا دون أن تفكر بشيء؟».

هز جاكسون كتفيه: «إذا لم يكن هناك شيء يحتاج للتفكير فيه، نعم». مذهل.

قلت: «في الواقع، كنت أفكر في بيتسي، أتساءل... أنا قلقة قليلًا عليها».

«همم. نحن جميعًا قلقون عليها».

قلت: «أرنولد قال ذلك أيضًا، لكن... لماذا لم يفعل أحد شيئًا إذن؟ هل تعتقد أن كليف يعاملها بشكل سيئ؟ هل ينبغي أن نساعدها على تركه؟ أن نقدم لها غرفة إضافية؟ أن نفعل شيئًا؟».

هز جاكسون رأسه وقال: «الأمر يتعلق بما تريده بيتسي، وهي لا تريد أيًّا من ذلك».

«لقد عاشت مع هذا الرجل لعقود، إذا كان يسيء معاملتها، فكيف يمكنك أن تعرف أن ما تريده هو الصواب؟!».

أومأ جاكسون برأسه: «ماذا تقترحين؟».

«أريد أن أذهب لرؤيتها».

«لن تدعوك أبدًا للدخول. حتى إيلين لم يكن يُسمح لها بدخول منزل بيتسي».

«مستحيل!».

هز جاكسون رأسه: «على حد علمي، كليف لا يحب الزوار».

كززت على أسناني: «حسنًا، ماذا لو طلبنا القليل من المساعدة من هانك؟».

قلت: «بيتسي، أنا آسفة جدًّا، لكن أعتقد أن هانك في حديقتك».

أومأت بيتسي برأسها من خلال المنفذ الضيق الذي فتحت الباب عليه. منزلها ليس كما توقعت على الإطلاق. كنت أعتقد أنه سيكون مليئًا بالورود الجذابة والعتبات الزاهية، لكنني وجدت مزاريب المنزل متدلية، والأطر حول النوافذ متقشرة، بدا كئيبًا وحزينًا.

«هانك؟ كلب جاكسون؟ كيف تمكن من دخول حديقتنا؟».

حسنًا، في الواقع كنت أحمله، وساعدني جاكسون لنلقي به من ارتفاع خطير إلى حد ما، لكنه هبط هبوطًا ناعمًا نسبيًّا في شجيرة كبيرة.

قلت، باسطة يدي بلا حيلة: «لا أعرف حقًّا، ذلك الكلب يمكنه التسلل للدخول والخروج من أي مكان».

نظرت بيتسي خلفها. لا أدري ما الذي يفعله هانك الآن في حديقتها.

قالت: «سأذهب لأحضره»، وأغلقت الباب في وجهي.

تبًّا. نظرت خلفي، وأطلقت صفيرًا خفيفًا؛ وبعد لحظة طويلة، ظهر جاكسون في نهاية الممر المؤدي إلى باب بيتسي. همست له: «لقد ذهبت لإحضاره!».

أومأ جاكسون بيده، وقال بهدوء: «لن تستطيع الإمساك به، ابقي فقط في مكانك».

وقفت بالباب، أضرب الأرض بقدمي في توتر. بعد حوالي خمس دقائق، فُتِح الباب قليلًا وظهرت رأس بيتسي منه وقد بدت أكثر ارتباكًا مما كانت عليه في المرة الماضية.

قالت بهدوء: «عليكِ أن تأتي وتحضريه بنفسك»، ألقت نظرة خلفها مرة أخرى. بدت أكبر سنًّا، وأكثر انحناء، لكن ربما كان ذلك بسبب وضع المنزل المهترئ. كانت سجادة الردهة ممزقة ومبقعة؛ ومصباح الظل معلق بشكل مائل يلقي ظلالًا غريبة وغير متساوية على الجدران الفاتحة.

نادى صوت ذكوري خشن من داخل المنزل: «بيتسي».

قفزت بيتسي. ليست قفزة عادية، بل أشبه برعشة.

ردت: «لحظة واحدة يا حبي! لقد دخل كلب حديقتنا، لكنني سأقوم بحل المشكلة!». همست إليّ، توجهني للدخول من الباب المغلق إلى يسارنا ودخول المطبخ الصغير المظلم: «تفضلي».

أخذتني إلى باب يؤدي إلى الحديقة، فتحته فظهر هانك وهو يركض عبر أحواض الزهور. شعرت ببعض الذنب. الحديقة هي الجزء الوحيد في هذا المكان الذي يبدو أنه يلقى اهتمامًا بالفعل، الشجيرات مقصوصة بعناية، وهناك أوانٍ معلقة على كل عمود سياج، متخمة بالأقحوانات واللبلاب الأخضر الفاتح.

قلت، وأنا أتحول بناظري إليها مرة أخرى: «كيف حالك يا بيتسي؟». لم ألاحظ من قبل كم أن شعرها رقيق، وكيف يظهر اللون الوردي الفاتح لفروة رأسها بين خصلاته. كما أن هناك طبقة سميكة من كِريم الأساس الملون بلون الخوخ تحت عينيها ، وتظهر التجاعيد حول فمها.

قالت بيتسي، وهي تسحب باب المطبخ خلفها بقوة: «أنا بخير، شكرًا لك. الآن، إذا لم تمانعي هل يمكنك إخراج ذلك الكلب من حديقتي؟».

نظرت إلى الخارج مرة أخرى وهالني المشهد: الكلب يحفر حفرة في وسط حديقة بيتسي، كان يجب أن أضع حدًّا لذلك.

ناديت: «هانك! هانك تعال!»، ثم - كانت هذه هي النقطة التي أعطاني جاكسون تعليمات صارمة بشأنها - ضغطت على كيس مكافآت الكلاب البلاستيكي بيد واحدة.

ارتفعت رأس هانك فجأة وتجمَّد في منتصف الحفر. وخلال نصف ثانية، انطلق نحوي. أطلقت بيتسي صرخة صغيرة، لكنني كنت مستعدة: أمسكت به قبل أن يغير رأيه ويعود للحديقة، وثبتت المقود في طوقه. استمر في القفز غير عابئ - بالطبع بعد أن حصل على وجبته الخفيفة - وظللت أدور معه لتفادي أن يتشابك المقود بي.

استطعت فهم ما كان يعنيه جاكسون الآن: بيتسي ليست بخير، أليس كذلك؟ لكن ماذا يمكنني أن أفعل لجعلها تصرح بذلك؟ قد لا يكون هذا أفضل مخطط لي. من الصعب جدًّا إجراء محادثة شخصية مع شخص عندما تحاول أيضًا إيقاف كلب لابرادور عن لعق وجهه.

حاولت أن أسأل، بينما وجَّه هانك انتباهه من بيتسي إلى سلة المهملات: «هل أنت متأكدة أن كل شيء على ما يرام؟».

قالت بيتسي: «كل شيء بخير، شكرًا لك يا لينا».

صرخ صوت ذكوري خشن: «بيتسي، ماذا يحدث؟».

تجمدت بيتسي. التقت عيناها بعيني ثم أبعدتهما سريعًا.

صاحت بصوت عالٍ: «لا شيء يا حبي، سأكون معك خلال لحظة».

«هل هناك أحد؟ هل سمحت لأحد بالدخول؟». لحظة من الصمت، ثم، بصوت منخفض، مثل تحذير: «لم تتركي أحدًا يدخل، أليس كذلك يا بيتسي؟».

قالت بيتسي، وعيناها تنظران إليّ مرة أخرى: «لا! لا أحد هنا غيري يا كليف!».

نبض قلبي بشدة، وشعرت بالبرودة.

سحبت مقود هانك أُخبِره أن يجلس. ولحسن الحظ استجاب هذه المرة. قلت بصوت منخفض: «بيتسي، ينبغي له ألا يتحدث إليك بهذه الطريقة، ويجب أن يُسمح لك باستقبال الأصدقاء، هذا منزلك أنتِ أيضًا».

ثم تحركت بيتسي، متجهة إلى الحديقة، تقودني إلى الممر الذي يمتد إلى الحديقة الخلفية، قالت بهدوء، وهي تفتح البوابة: «وداعًا يا لينا».

«بيتسي، من فضلك، إذا كان هناك أي شيء يمكنني القيام به لمساعدتك...».

أتى صوت كليف من الداخل: «بيتسي... أسمع أصواتًا، بيتسي...».

حتى أنا قفزت هذه المرة.

التقت عينا بيتسي بعيني مباشرة، وهمست: «أنتِ تتحدثين عن الحاجة إلى المساعدة، نظِّمي حياتك الخاصة قبل أن تأتي إلى هنا وتحاولي إصلاح حياتي يا آنسة كوتون».

ابتعدت قليلًا. كان هانك مُجهَدًا بجانبي، وعيناه على الممر من خلال البوابة المفتوحة.

«إذا غيرتِ رأيك، فاتصلي بي».

«أنتِ فقط لا تفهمين التلميحات، أليس كذلك؟ هيا للخارج». أومأت باتجاه البوابة وكأنها تتحدث إلى الكلب.

«أنتِ تستحقين أفضل من هذا، ولم يفت الأوان لتحظي بالحياة التي تستحقينها يا بيتسي».

بمجرد أن قلت ذلك، ذهبت وأُغلق الباب بهدوء خلفي.

كم أنا منزعجة من محدودية ما يمكنني فعله لمساعدة بيتسي. في اليوم التالي، بحثت عن خدمات محلية تقدم الدعم للنساء اللاتي يعشن في ظل علاقات مؤذية، لم أستطع أن أجد الكثير مما هو مخصص لكبار السن، لكن وصلت إلى بعض المصادر التي قد تساعدها، وطبعتها، وأصبحت أحملها في حقيبتي كلما كنت بالخارج في القرية تحسبًا لأي طارئ. طوال الأسبوع، ظلت باردة في تعاملها معي كما كانت دائمًا، وكلما حاولت التحدث معها، تُسكتني.

لم يتبق لدي الكثير من الوقت هنا، إن عيد مايو في عطلة نهاية الأسبوع التالية، ثم يحين موعد عودتي إلى لندن، وإلى العمل في الأسبوع الذي يليه، وجدت بريدًا إلكترونيًا من ريبيكا في صندوق بريدي لمناقشة المشروع، الذي سأعمل عليه عند عودتي إلى المكتب. فتحت البريد الإلكتروني وجلست أحدق فيه، شعرت كأنه موجه لشخص آخر غير الذي أنا عليه الآن.

في الوقت الحالي، كنت أركز فقط على عيد مايو. بدأت التجهيز للعيد، إذ أحضرت الخروف المشوي، ووجدت طريقة لتثبيت خمسمائة فانوس طائر على الأشجار حول الحقل؛ حيث سيكون الموقد الرئيسي، وقد قمت بنقل ست حقائب من الجليتر أخضر اللون القابل للتحلل إلى باحة القرية حتى يمكن فرشه على طول مسار العرض. (اتضح أن هذا هو ما تعنيه كلمة «جليتر» في قائمة المهام التي أعطتني إياها بيتسي. وقد قوبلت احتجاجاتي بأن الجليتر لا علاقة له بنمط العصور الوسطى، برد حازم: «لا تخلو احتفالات عيد مايو من الجليتر أبدًا»).

لا يمكنني التدخل ومحاولة مساعدة بيتسي دون موافقتها، لكن يمكنني مساعدتها في تنسيق حدث كبير.

وهناك شيء آخر يمكنني فعله أيضًا.

سألت نيكولا، وأنا أعدل سُترتها وأزيل بعض الوبر من كتفها: «ألا يمكنك أن تبدي أضعف؟».

رمقتني بنظرة حادة، فدوَّنت في ذهني ملاحظة مفادها أن أقلدها عندما أريد أن أنتقم من أحد زملاء العمل الوقحين في المرة المقبلة.

قالت: «تلك أقصى درجة ضعف يمكنني التظاهر بها، كنت أعتقد أنك قلت إنك ستأخذينني إلى ليدز للتسوق، لماذا تريدينني أن أبدو ضعيفة؟».

قلت: «نعم، بالتأكيد، للتسوق نحن فقط سنتوقف عند بعض شركات القانون الكبرى أولًا».

«ماذا؟».

«لن يستغرق الأمر دقيقة! جميع اجتماعاتنا محددة بعشرين دقيقة كحد أقصى».

عبست نيكولا: «فيم تحتاجين إليّ؟».

«أبحث عن راعٍ ممول لمهرجان عيد مايو». أكملت وأنا ألوح بيدي نحو نفسي: «لكنني، كما تعلمين، أشبه بسكان لندن ومندوبي الشركات، أما أنتِ فلطيفة ومسنّة وقد ننال تعاطفهم».

«أنا لست من هاملي حتى! وكيف دار بخلدك أنني قد أجلس هناك وأتظاهر بالوداعة لاستدرار عاطفة بعض المحامين الأثرياء تجاه المسنين».

قلت، وأنا أقود نيكولا نحو السيارة: «فقط لا تقولي شيئًا على الإطلاق، ربما يكون ذلك أكثر أمانًا».

ظلت نيكولا تتذمر طوال الطريق إلى ليدز، لكن بمجرد أن دخلنا غرفة الاجتماع الأولى، تحولت إلى مسنّة لطيفة مقنعة تمامًا، لدرجة أنني جاهدت نفسي ألا أضحك. قالت نيكولا: «إنه حدث مهم لقريتنا الصغيرة المسكينة، أتطلع إلى يوم مايو طوال العام» وقد تعاطف الحضور معها تمامًا، ووافقت شركة «بورت آند مورجان للمحاماة» على رعاية الحدث على الفور، أما الآخرون فقالوا إنهم سيفكرون في الأمر.

بدا شعور العودة إلى غرف الاجتماعات جميلًا، في الواقع. أيضًا كان من الجميل جدًّا الخروج من غرفة اجتماعات منتصرة، بدلًا من الخروج بأزمة تنفس. أرسلت رسالة نصية سريعة إلى بي أحكي لها ما حدث بينما كنا في طريقنا إلى السيارة. فردَّت:

«ما زلتِ قادرة على الإمساك بزمام الأمور والانتصار. هذه هي فتاتي لينا كوتون!»

بينما قدت السيارة للعودة إلى كنارجيل، جلست نيكولا تضحك مع كوب الموكا الضخم، الذي اشتريته لها كنوعٍ من الامتنان لها.

«لم أكن أتصور أن جعل رجال مثل هؤلاء يخرجون بعض المال سيكون سهلًا جدًّا! ماذا يمكننا أن نطلب منهم أيضًا، أليس كذلك؟ تمويل المكتبة المتنقلة؟ تمويل حافلة صغيرة؟».

كانت محققة نوعًا ما، في الواقع. رحت أفكر في المستند الذي لا يزال مفتوحًا على حاسوب جدتي: إستراتيجية بي آند إل للاستشارات. المسئولية الاجتماعية للشركات أصبحت أكثر أهمية من أي وقت مضى بالنسبة لجيل الألفية، تحتاج الشركات إلى تبني الأعمال الخيرية وفرص التطوع في قلب نماذج أعمالها، تحتاج إلى...

قالت نيكولا: «لينا؟ هذا هو منزلي».

توقفت فجأة.

«أوه! عذرًا! كنت في عالم آخر».

حدقت إليَّ بنظرة تشكك، ثم تمتمت وهي تفك حزام الأمان: «لا أعرف لماذا أسمح لك بأن تقليني إلى أي مكان من الأساس».

في صباح اليوم التالي، ذهبت إلى منزل أرنولد وطرقت باب سقيفته، إنه معتاد تناول قهوة الصباح هناك حوالي الساعة العاشرة، وأحيانًا أذهب لتناولها معه، سأكون صادقة، القهوة التي يعدها في الإبريق هي السبب الرئيسي، لكن الأمر أكثر من ذلك. أرنولد لطيف جدًّا. إنه

بمثابة الجد الذي لم أحظَ به؛ ليس لأنني لم يكن لدي جد، لكنْ، كما تعرفون، جدّي ويد بالكاد يمكن أن أَعُدَّه كذلك.

كان أرنولد هناك بالفعل، والقهوة جاهزة في انتظاري. كان قد وضعها فوق كتابه الأخير، فارتعشت عندما دخلت ورأيت البقعة البنية الكبيرة فوق الغلاف. نقلتها وأدرت الرواية، كانت *Whose Body?* لدوروثي إل. ساير، واحدة من الروايات التي تفضلها جدتي. يبدو أن أرنولد أصبح مهووسًا بروايات الجريمة مؤخرًا. لقد كان اكتشاف حبه للقراءة من أجمل المفاجآت في الوقت الذي قضيته في هاملي.

سأل أرنولد بينما ملأت فنجاني بالقهوة: «كيف حال والدتك؟».

أومأت برأسي بسخرية، فتنهد بعبوس.

«ألا تتوقفين عن التصرف وكأنني طفل تُعلِّمينه كيف يخطو خطواته الأولى؟ لم أكن سيئًا بتلك الدرجة قبل أن تأتي. أعرف كيف أكون مهذبًا».

لا يهم... أصر أرنولد على أن قراره بتغيير نفسه (شراء بعض القمصان الجديدة، الذهاب إلى الحلاق) والخروج أكثر (بدأ ممارسة اليوجا والذهاب إلى المقهى يوم الجمعة) كان قراره وحده، لكنني أعلم الحقيقة. لا يزال هو شريك وأنا حماره.*

قلت وأنا أمرر له كوبًا: «أمي بخير، في الواقع، أو كما تعلم، أقرب بكثير إلى أن تكون بخير مما كانت عليه منذ فترة».

منذ تلك المكالمة الهاتفية بعد الشجار، التقينا أنا وأمي ثلاث مرات: مرة لتناول الشاي، ومرتين لتناول الغداء. بدت المقابلات غريبة وحذرة، كأننا نعيد بناء شيء غير مستقر وهش. تحدثنا عن كارلا قليلًا، فكلتانا خائفة من الاقتراب كثيرًا. أشعرني ذلك بالقلق لدرجة التعرق. شعرت بأنني فتحت صندوقًا كنت قد كافحت بشدة للإبقاء عليه مغلقًا، لكنني أردت فتحه، من أجل أمي. ربما لم أكن أدرك حقًّا ما كنت أعنيه، عندما وعدت جدتي بأن

أبقى من أجل والدتي، لكنني أدرك ذلك الآن، أمي لا تحتاج إلى من ينجز مهامَّ من أجلها، بل تحتاج فقط إلى العائلة.

أعتقد أن جزءًا من سبب غضبي من والدتي هو شعوري بأنها يجب أن تعتني بي، وليس العكس. لكن أمي لم تستطع أن تكون الكتف التي أبكي عليها، خاصةً عندما انهارت هي نفسها تحت وطأة الحزن. هذا هو أصعب شيء في المآسي العائلية، فيما أعتقد، إذ قد تنهار شبكة الدعم لديك في لحظة، في الوقت الذي تكون في أمسِّ الحاجة إليها.

شرحت كل ذلك لأرنولد عندما رأيت فمه يختلج بابتسامة.

سألته: «ماذا؟».

رد ببراءة، وهو يمد يده نحو البسكويت: «أوه، لا شيء، تابعي».

ضيقت عيني.

«يبدو لي أن وقوفك إلى جانب أمك جعلك أخيرًا تتحدثين عن كارلا. وهو ما كانت والدتك تريده... أليس كذلك؟».

عدت للخلف في جلستي ورحت أضحك. فاجأني ذلك، فعقبت: «ماذا؟ أوه يا إلهي. أتعتقد فعلًا أنها تتحدث عن كارلا من أجلي؟ وليس للأمر أي علاقة بمساعدة أمي على التحسن؟».

قال أرنولد، وفمه مليء بالبسكويت: «أنا متأكد أنك تساعدينها أيضًا، لكن سيكون من الحماقة أن تظني أنها لا تحصل على ما تريده، تلك ماريان».

هأنذا هنا، أجعل من أمي مشروعي الأخير، وهي هناك، تجعلني الشيء نفسه تمامًا.

قال: «ربما إصلاح بعضكما بعضًا هو لغة الحب في عائلة كوتون».

حدقت إليه، فاغرة فمي، فابتسم لي بابتسامة عريضة.

قال: «استعرت كتابًا عن العلاقات من كاثلين».

سألته، متكئةً إلى الطاولة: «أرنولد! هل تفكر في التعرف على إحداهن؟».

أجاب: «وربما فعلت ذلك بالفعل»، ثم ظل يحرك حاجبيه بشكل مثير للأعصاب. لم يتسن لأي قدر من الإلحاح أو الاستعطاف أن يُنطقه بأي معلومات إضافية، ما استفزني بشدة، لذا كان عليّ أن أستسلم. أخذت آخر قطعة من البسكويت كعقاب على تكتّمه، بينما هو يصرخ بسلسلة من الشتائم القديمة من يوركشاير لدرجة أنني ضحكت بشدة حتى كدت أختنق بالبسكويت وأنا خارجة.

أرسلت لي أمي رسالة نصية لاحقًا تدعوني للحضور إلى منزلها في اليوم التالي. إنها المرة الأولى التي تقترح فيها أن أذهب إلى منزلها. وفي طريقي إلى هناك شعرت بالتوتر أكثر من أي وقت مضى، حيث تقلصت قبضتاي واسترختا تحت أكمام الهودي الذي ارتديته.

بمجرد أن فتحت الباب، شعرت بأنني بجاوزت الحد في علاقتي بأمي.

قالت أمي، ممسكة بي حين حاولت الهرب: «لا، لا، لا، لا، ادخلي يا لينا».

«لا أريد».

كان باب غرفة المعيشة مفتوحًا. والغرفة كما كانت تمامًا عندما توفيت كارلا، ينقصها فقط ذلك السرير الطبي. وجدت حتى ذلك الكرسي حيث كنت أجلس، ممسكة يدها بيدي، وبالتأكيد تخيلت السرير في مكانه كما لو أنه موجود فعلًا، فوقه أغطية وملاءات غير مرئية.

قالت أمي: «أحاول تجربة شيء جديد، هذا البودكاست الذي كنت أستمع إليه، من تلك الأستاذة، تقول إن النظر إلى الصور وسيلة رائعة لمساعدتك على معالجة الذكريات،

وفكرت، أردت أن أستعرض بعض الصور معك... هنا».

أخذت أمي يدي وضغطت عليها. لاحظت أن لديها أحد تلك الأظرف القديمة للصور من طراز بوتس في يدها الأخرى، وارتجفت عندما سحبتني لأقف على عتبة باب غرفة المعيشة.

«جربي فقط الدخول يا عزيزتي».

قلت، مشيرة إلى الصورة الموجودة على طاولة المدخل: «لا أستطيع حتى تحمُّل النظر إلى تلك الصورة. لا أعتقد أنني أستطيع رؤية مجموعة كاملة».

قالت أمي: «سنستعرض الصور ببطء، خطوة تلو خطوة بهدوء». هزت رأسها متأملة صورة كارلا في يوم تخرجها، كما لو كانت تراها للمرة الأولى. قالت: «تلك الصورة».

توجهت أمي نحو طاولة المدخل، التقطت الإطار، ثم نظرت إلي.

«هل نلقيها في القمامة؟».

صحت وقد اتسعت عيناي: «ماذا؟! لا»، وتوجهت نحوها لأمسك الصورة.

لكن أمي لم تترك الإطار، قالت: «كانت كارلا لتكره هذا الملل. لقد بقيت هذه الصورة هنا لفترة طويلة لدرجة أنني توقفت عن النظر إليها، لست متأكدة حتى من أنني أحبها كثيرًا. هل تحبينها؟».

ترددت، ثم تركت الصورة: «حسنًا، لا. في الواقع، أكرهها».

تأبطت أمي ذراعي وجرتني نحو الممر، بينما عبرنا عتبة غرفة المعيشة، مرت عيني بالمساحة حيث كان السرير، وانتاب معدتي الإحساس الذي تشعر به عندما تكون في سيارة مسرعة على جسر ما.

قالت أمي: «يجب أن تُلقى في السلة، إنها صورة فظيعة ولا تشبه كارلا قي الحقيقة»، ثم ألقتها في سلة المهملات في زاوية غرفة المعيشة.

قالت فجأة بينما ضغطت بيدها على بطنها: «ها قد فعلتها. أوه، شعرت بأن ذلك غريب بعض الشيء». تساءلت عما إن كانت مشاعرها غاضبة أيضًا، مثلما تفعل مشاعري، أكملَت: «هل كان ذلك تصرفًا فظيعًا من جانبي؟».

قلت، وأنا أحدق في سلة المهملات: «لا! كانت الصورة فظيعة. كنتِ فقط... متهورة، لكن على نحو إيجابي. كان ذلك تصرفًا إيجابيًّا، كان تصرفًا ماريانيًّا».

«ماريانيًّا؟!».

«نعم مارياني؛ نسبة لكِ. مثل ذلك اليوم الذي كرهتِ فيه فجأة ورق الحائط الأخضر وعُدنا من المدرسة لنجد أنك قمت بتمزيقه بالكامل».

ضحكت أمي: «حسنًا. إذا لم تلاحظي... أنت الآن في غرفة المعيشة»، ضغطت بقبضتها على ذراعي: «لا، لا تذهبي. تعالي واجلسي على الأريكة».

لم يكن الأمر سيئًا، كما ظننت في الواقع، أن أكون في الغرفة مرة أخرى. وكأنني لم أنس شكل المكان قط، كان محفورًا في ذاكرتي، حتى تلك البقعة القديمة في الزاوية بجانب المكتبة، وتلك البقعة الداكنة حيث نامت جدتي وتركت شمعة لتحترق على طاولة القهوة.

سألتُ أمي ونحن نجلس: «هل تحبين هذا الوضع كما هو؟ أعني هذا المنزل؟ لم تغيريه على الإطلاق منذ...».

عضت أمي شفتها وقالت، وهي تنظر حولها: «ربما ينبغي لي أن أفعل ذلك، ستكون أجمل إذا أصبحَت أكثر... لمعانًا»، فتحت حافظة الصور، وقالت: «الآن... النظر إلى الصور من المفترض أن ينقل الذاكرة إلى قسم مختلف من دماغي، أو شيء من هذا القبيل».

وبجهد كبير، كبحت رغبتي في إدارة عيني بمحجريهما. لا أدري من أي كتاب علمي زائف حصلت على هذه المعلومة، لكنني أشك بشدة في وجود تجربة حقيقية تثبت فعالية مثل هذه التقنية.

لكن... كانت أمي تصدق أن ذلك سيساعد، وربما هذا يكفي.

قلت مشيرة إلى صورة في حافظة الصور: «هذه في باريس». آلمني النظر إلى وجه كارلا المبتسم، لكنني أتحسن رويدًا رويدًا في التعامل مع هذا الأمر. عندما أتقبل الألم، يصبح الأمر أسهل قليل، مثل إرخاء عضلاتك بدلًا من الارتجاف عندما يكون الجو باردًا. «هل تذكرين الفتى الذي أقنعته كارلا بأن يعانقها على قمة برج إيفل؟».

قالت أمي: «لا أتذكر أنه تطلب الكثير من الإقناع».

وهي لم تعترف قط بمدى سوء لغتها الفرنسية».

قالت أمي: «كنت تعلقين على نطقها طوال الأسبوع، لقد جعلتِها تفقد صوابها».

انتقلنا من صورة إلى أخرى. بكيت، بكيت بقوة، وراحت دموعي تنساب بغزارة، وأنفي يسيل، وبكت أمي كثيرًا أيضًا، لكنها لم تبكِ بذلك النشيج المختنق الذي أتذكره منها بعد وفاة كارلا، عندما فُرض عليّ أن أتماسك بمفردي. هذه المرة، بَكت دموعًا يمكن مسحها. أدركت في هذه اللحظة أن أمي أصبحت تبلي بلاء حسنًا، لقد قطعت شوطًا طويلًا.

أخذنا استراحة لتناول الشاي ثم عدنا لننهي الصور. لم أكن متأكدة مما إذا كانت أي ذكريات قد انتقلت إلى أقسام مختلفة من دماغي، لكن عندما نهضت لتشغيل الضوء، لاحظت أنني مشيت عبر المساحة التي كان السرير يشغلها، كما لو كانت مجرد سجادة عادية.

شعرت بالذنب، في البداية. كأنني إن لم أتجنب ذلك السرير غير المرئي، أكون قد خنت ما حدث في هذه الغرفة. لكن بعد ذلك فكرت في كارلا في جميع تلك الصور، تبتسم، صاخبة،

وحلقاها يلمعان تحت ضوء الكاميرا، وأعرف أنها كانت ستخبرني بأنني أتصرف بشكل سخيف، لذا تحركت ووقفت في تلك النقطة؛ حيث كانت تستلقي في السابق.

وقفت ساكنة، وسمحت لذاتي بأن تفتقدها، سمحت لذلك الشعور بأن يتسرب إليَّ.

ولم أنكسر. آلمني ذلك الشعور بشدة، ألم حاد ومُركَّز، لكنني هنا، حيث ما حدث وليس معي إيثان ليحيطني بذراعيه، ولا حاسوب محمولًا أمامي، لم أكن أركض، ولا أعمل، ولا أصرخ. وكل ما كنت أخشاه من انهيار وفقدان للسيطرة لم يحدث. ألم افتقادها يكويني بناره، لكنني سأتحمله.

* إشارة إلى فيلم شريك Shrek (2001)، حيث يعتمد شريك على صديقه الحمار في تغيير نفسه.

# 24 إيلين

أرسلت لي بي رسالة نصية، أمس، لتقول إنها رأت إيثان وسيسي يتسللان من مبني الشركة لتناول الغداء معًا. ظل هذا يشغل بالي طوال النهار. حاولت أن ألهي نفسي بالنظر إلى الإعلانات التي صممها فيتز لنشرها في شورديتش، هل تجاوزت السبعين وتبحث عن لقاء مع سكان لندن مثلك؟ اتصل بهذا الرقم لتعرف المزيد عن نادي سيلفر شورديتشرز الاجتماعي!، لكن الإلهاء لم يفلح.

فكرت في كارلا. كانت ستفعل شيئًا حيال هذا الأمر لو كانت هنا، لم تكن لتسمح لإيثان بأن يتصرف بهذا الشكل مع لينا. كانت ستتصرف بشجاعة وسعة حيلة، وستفعل شيئًا.

حملت نفسي على الوقوف، وتوجهت إلى غرفة فيتز وطرقت الباب. كان ينبغي أن تكون كارلا هنا لأجل أختها. إنها مأساة لا توصف؛ أنها ليست هنا، لكنني هنا من أجل لينا. ويمكنني أن أكون شُجاعة وواسعة الحيلة أيضًا.

قال فيتز: «أعتقد أن هذا أروع شيء فعلته على الإطلاق، يا سيدة كوتون»، ثم توقف فجأة عن قيادة الشاحنة التي استعارها للتو من سالي من الشقة 6. ثم أكمل: «أووووه. انتظري، نعم، نعم، ها نحن ذا! لا تخبري أحدًا بما حدث عندما تحكي لهم قصص المراقبة تلك، حسنًا؟».

قلت بحزم: «لن يكون هناك حكي، فيتز، هذه مهمة سرية».

بدا سعيدًا: «مهمة! سرية! أوه، عفوًا، لم أدرك أنها لا تزال في مراحلها الأولى!».

انطلقنا على الطريق الرئيسي الذي وجدناه مزدحما تمامًا. بقينا نحن الاثنين نحدق في حركة المرور الممتدة أمامنا بينما يتسلل الناس بين السيارات.

قال فيتز وهو يصل إلى جيب سترته لإخراج هاتفه: «دعينا نتحقق من خرائط جوجل... حسنًا، تقول إن الأمر سيستغرق أربعين دقيقة للوصول إلى مكتب سيلماونت في هذا الزحام المروري.

تنهدت بإحباط، كنا نتقدم ببطء. حركة المرور أفرغت العملية برمتها من كل الدراما.

في النهاية وصلنا إلى مقر شركة سيلماونت، وقام فيتز بركن السيارة - ربما بطريقة غير قانونية - حتى نتمكن من الجلوس في مقهى مقابل مبنى سيلماونت. وبفضل بي، عرفت أن إيثان يعقد اجتماعًا هناك لحظة وصولي. وجدت الشارع قبيحا بشكل مفاجئ، طريق واسع تصطف على جانبيه مبانٍ قصيرة، وكل منها يحتوي على بعض النوافذ المغلقة بألواح خشبية، مثل أسنان ذهبية متضررة، حتى إن الزجاج الرمادي اللامع لمقر سيلماونت بدا نشازًا وسط كل هذا.

ارتشفت شايي وجربت الدونات التي أصر فيتز على شرائها لنا. اتضح أنه يجب تناول الدونات أثناء عملية المراقبة. بدت دهنية جدًا، فقد كونت حلقة تميل إلى الزرقة على المنديل بالفعل.

قال فيتز بحماس، مشيرًا نحو المبنى: «ها هو هناك!».

كان على حق: رأيت إيثان هناك، بحقيبته في يده، يلوح بشعره الداكن وهو يخطو خارج المكتب. إنه وسيم، أعترف له بذلك.

«ماذا نفعل الآن، يا سيدة كوتون».

قلت: «الآن نلعب دور العجوز اللطيفة، أحضر بعض المناديل، من فضلك لا أريد أن ألقي هذه الدونات. أنا متأكدة أن قطة ليتيتيا ستأكلها، إنها تأكل أي شيء».

عندما تمكنت من الخروج من الباب، كان إيثان على وشك أن يغيب في الطريق. رحت أحث الخطى، وأقطع الطريق مهرولة تقريبًا، واستغرق الأمر لحظة حتى لحق بي فيتز.

قال فيتز، موازنًا خطواته مع خطواتي: «يا إلهي، أنت سريعة بالنسبة لعجوز! انتظري، إذا دخلنا من هنا، فيمكننا اعتراض طريقه».

تبعت فيتز عبر زقاق ضيق يتسع بصعوبة لشخصين. برائحة نفاذة بين البول وشيء آخر استغرق مني لحظة لتحديده.

لكنني في النهاية تذكرت أنه الماريجوانا.

صرخ فيتز، مشيرًا إلى إيثان عبر الشارع: «هناك! أووه مهمة سرية! أخفض صوتك يا فيتز. عذرًا، الآن أتذكر».

ولكن الوقت كان قد فات، نظر إيثان نحونا بالفعل. اضطررت لاستغلال هذا لمصلحتي.

قلت بمرح، مخترقة حشود المشاة، قاطعة الطريق: «إيثان! عزيزي!». سمعت فيتز خلفي يلهث ثم يعتذر لشخص على دراجة نارية اضطر للانحراف قليلًا بسببنا. «يا لها من صدفة سعيدة؛ أن نعثر عليك هنا!».

قال، وهو يقبّلني على خدي: «مرحبًا إيلين، هل أنت بخير؟».

قلت، وأنا ألهث قليلًا: «بخير، شكرًا لك»، نظرت حولي، متمنية وجود مكان يمكنني الجلوس فيه للحظة، لكن بالطبع لم أجد مقاعد في الأفق. قلت: «في الحقيقة، أنا على وشك الانفجار، أحتاج إلى استخدام الحمام بشدة»، تحول صوتي إلى همس: «لست متأكدة أنني سأتمكن من الانتظار حتى أصل إلى المنزل! عندما تصل إلى مثل عمري، كما تعلم، المثانة لا تعود كما كانت، تبدأ تسريب ما بها».

ارتسم على وجه إيثان تعبير يشبه تعبير فيتز عندما يُبتر طرف من أطراف شخص في أحد مسلسلات الجريمة التي تعتاد مارثا مشاهدتها.

قال إيثان، مشيرًا إلى المبنى في نهاية الشارع: «شقتي هنا في الأعلى هل تودين الصعود واستخدام حمامي؟».

قلت: «أوه، أنت حقًّا لطيف، تفضل، سأتبعك».

وجدت أربعة أدلة في شقة إيثان:

1) إيصال على طاولة المدخل لوجبة لشخصين، بقيمة 248 جنيهًا. أعلم أن لندن مُكلِّفة؛ فالمبالغ التي تُدفع مقابل الخدمات والسلع هنا مبالغ باهظة، لكن يظل هذا مبلغًا كبيرًا من المال، أكبر من أن ينفقه المرء مع شخص مهما كان مجرد صديق أو زميل.

2) فرشتان للأسنان في الحمام، كلتا الفرشتين رطبتان، مما يشير إلى استخدامهما مؤخرًا. لماذا يستخدم إيثان فرشتين للأسنان؟

3) إلى جانب بعض زجاجات مستحضرات شعر لينا التي تعرفت عليها - جميعها مخصصة للعناية بالشعر المجعد - وجدت زجاجة صغيرة من المحلول للعناية بالشعر المصبوغ. لم تصبغ لينا شعرها قط. رغم أنني افترضت أنه يمكن أن يكون لإيثان، إنه فخور جدًّا بخصلاته الداكنة تلك.

4) لم أجد سلة مهملات في الحمام. هذا لا يشير بحد ذاته إلى الخيانة، لكنني وجدت في حياتي أنني نادرًا ما يروقني شخص لا يضع سلة مهملات في الحمام. دائمًا الرجال هم من لا يفعلون ذلك، ودائمًا تقريبًا هم الرجال الذين لا يمكنك الوثوق بهم.

عندما عدت أنا وفيتز إلى المنزل، قمنا بمقارنة ملاحظاتنا. لم يجد فيتز أي أدلة على الإطلاق، وهو أمر متوقع، وقد أخبرته أن النساء العجائز هن من يصبحن محققات ناجحات.

قلت بقلق: «لن تذكر هذا أمام لينا، أليس كذلك؟». اكتسبت تلك العادة السيئة، إذ أصبحت أخبر فيتز بكل شيء، إنه يعرف الكثير عن تود الآن، على سبيل المثال، ذات مرة، تناولت كأسين من الشراب، ثم طرح فيتز أسئلة صريحة جدًّا، مما كان مزعجًا قليلًا. عادةً لا أخبر أحدًا بمثل هذه الأمور الشخصية، حتى بيتسي. ربما يكون السبب هو العيش في لندن حياة شخص آخر. مهما كان السبب، فقد كان الأمر غريبًا جدًّا.

قال فيتز: «سيكون فمي مغلقًا تمامًا، يا سيدة كوتون»، ثم تحول وجهه إلى الجدية، وقال: «إذا كنت تشتبهين في وجود شيء يثير القلق حول إيثان، فأنا مستعد للتحقق منه. لينا تستحق الأفضل».

قلت: «نعم، هي كذلك».

«وأنتِ أيضًا، يا سيدة كوتون».

دفع فيتز حاسوب لينا المحمول نحوي عبر وسائد الأريكة. بدا لي أن الحياة في شقة لينا تدور حول هذه الأريكة. نتناول الطعام هنا، نشرب الشاي هنا، ولفترة من الوقت، كانت مكتب مارثا أيضًا.

سأل فيتز: «هل هناك أي رسائل جديدة؟ أوه، لديك رسالة من هوارد، انظروا إلى تلك الابتسامة! شكلك جميل جدًّا».

قلت له: «آه، اصمت. اذهب وافعل شيئًا مفيدًا يجب غسل الأطباق».

«حسنًا، حسنًا. سأتركك تراسلين معجبيك».

ابتسم فيتز واختفى إلى المطبخ. تراجعت إلى الوراء على الأريكة، وقرأت رسالة هوارد.

فتى الريف العجوز: «مرحبًا إيلين! أردت فقط أن أقول إنني جاهز لإنشاء ذلك الموقع لناديك الاجتماعي في أي وقت تكونين فيه مستعدة. سيستغرق الأمر يومًا واحدًا فقط

عندما تعطيني الموافقة. قُبلاتي».

كنت قد نسيت تمامًا عرض هوارد لإنشاء موقع لنا. ابتسمت.

إيلين كوتون *79*: «شكرًا جزيلًا لك، هوارد. ماذا تحتاج لتبدأ؟ قُبلاتي.

عضضت شفتي في تفكير وأنا أترقب رده. سيكون وجود موقع إلكتروني مثيرًا جدًّا، لكن ذلك لن يساعد في جذب الأعضاء لحفل الافتتاح. لقد بدأت أشعر بالقلق حيال ذلك قليلًا، على الرغم من أن فيتز كان يوزع تلك الملصقات في جميع أنحاء المنطقة. تساءلت فقط عما إذا كان الناس الذين نسعى إليهم ينظرون حقًّا إلى الملصقات على الجدران هنا. فالملصقات هنا في كل مكان، ومعظمها يتعلق بالفرق الموسيقية والنشاطات وما إلى ذلك. لقد ذكرنا في الملصقات أن وسائل النقل إلى المكان يمكن توفيرها - عرض تود حافلة جولته المسرحية، مشكورًا - لكن الناس الذين نريد الوصول إليهم قد لا يكونون ممن يتجولون بما فيه الكفاية ليروا الملصقات في المقام الأول.

واتتني فكرة. نقرت على المحادثة مع هوارد لأغلقها، وضغطت على «البحث عن شريك». ملأت جميع البيانات، لكنني فعلت ذلك بطريقة مختلفة قليلًا هذه المرة. العمر: 75 وما فوق. المواقع: شرق لندن، وسط لندن. ذكر أم أنثى؟ اضغط على كلا الخيارين.

هذا يُعدُّ جريئًا إلى حد ما، لكن الهدف نبيل. ضغطت على أول شخص ظهر في القائمة: نانسي ميلر، التي تبلغ من العمر ثمانية وسبعين عامًا. ضغطت على أيقونة الظرف الصغيرة لإرسال رسالة لها.

عزيزتي نانسي، آمل ألا تمانعي في أن أرسل لك رسالة، لكنني أُنشئ ناديًا في شورديتش لكبار السن فوق السبعين، وكنت أتساءل عما إذا كنت مهتمة بالحضور إلى افتتاحنا الكبير هذا الأسبوع...

قضيت ساعات في إرسال الرسائل. لقد وجدت أكثر من مائة شخص على هذه القائمة. كنت سعيدة جدًّا لأن فيتز أظهر لي كيفية «النسخ واللصق»، وإلا كانت هذه العملية ستستغرق اليوم بأكمله؛ ومع ذلك، آلمتني عيوني، وتصلبت رقبتي من الجلوس على الحاسوب لفترة طويلة.

بدأت بالفعل تلقي الردود. بعضهم مزعج قليلًا - «اذهبي بإعلاناتك إلى مكان آخر! هذا ليس المكان المناسب لهذا النوع من الأشياء!» - وبعض الرجال اتخذوا دعوتي فرصة لبدء المغازلة، وهو ما لم يمكنني التعامل معه في ذلك الوقت، لدي أمور أكثر أهمية يجب الانتباه إليها، ولم يكن أحد منهم يضاهي هوارد أو تود، على أي حال. لكن وجدت بالفعل عددًا من الأشخاص الذين اهتموا بنادينا.

قالت نانسي ميلر: «أود أن أشارك»، وسألت مارجريت؛ من هوكستون: «هل ستكون هناك ألعاب؟».

ظهرت ليتيتيا في اللحظة التي نفد فيها صبري من الرد على الرسائل. قالت إنها جاءت لتحضر لي شاي الأعشاب الجديد، الذي تود مني تجربته. دعوتها للدخول لتتناوله معي - على الأغلب أن هذه كانت النية الحقيقية للزيارة - وحدثتها عن خطتي الجديدة للإعلان عن نادينا.

أشارت إلى الحاسوب وقالت: «أتمنى لو كنتُ بارعة في هذا الشيء مثلك».

قلت: «أوه، أنا متأكدة أنك تستطيعين التعلم! اسألي فيتز، وسيوجهك».

عقبت: «إن فيتز رجل رائع. هل وجد شخصًا ليأخذ غرفة مارثا؟ كان قلقًا بشأن ذلك عندما تحدثنا آخر مرة».

ابتسمت. كانت ليتيتيا تحضر في المنطقة المشتركة مرة واحدة على الأقل في اليوم، وتنسِّق مزهريات الزهور، وترتب الوسائد. في هذه الأيام، عندما يمر أحد ما، يتوقف دائمًا

للدردشة. في مساء الاثنين، رأيت أورورا وسالي هناك تلعبان الورق معها. قالت أورورا: «نحن نجرب الطاولات!». ثم فجأة صاحت سالي: «بوم! لقد انتهى أمرك، أنا ربحت!» وضربت بيدها على الطاولة مما جعل ليتيتيا تقفز.

قلت لها، بينما أمد يدي لأتناول البسكويت: «لم يجد أحدًا بعد، أعتقد أنه سيضع إعلانًا على الإنترنت في مكان ما».

«حسنًا، أيًّا من كان سيأتي، سيكون محظوظًا للعيش هنا».

«ليتيتيا... هل فكرتِ يومًا في الانتقال من شقتك؟».

نظرت إليّ مصدومة: «إلى أين؟».

«ليس بعيدًا، هنا، إلى غرفة مارثا القديمة». كانت هذه فكرة ممتازة، إذا جاز لي أن أحكم على أفكاري.

قالت ليتيتيا، مختبئة خلف كوب الشاي: «أوه، لا، لا أستطيع مغادرة شقتي. ماذا عن جميع تُحَفي الجميلة! على أي حال، لا أحد يريد العيش مع عجوز مثلي».

دفعت آخر قطعة بسكويت نحوها، وقلت: «ما تقولينه هراء. على الرغم من أنني أتفهم وجهة نظرك حول قطعك الجميلة». أضفت بسرعة، ملتقطة تعبيرها: «أعني تحفك الجميلة».

قالت ليتيتيا، بشكل أكثر حزمًا هذه المرة: «لن أستطيع مغادرة الشقة»، لذا لم أضغط عليها أكثر من ذلك. إنه لأمر مؤسف، رغم ذلك فهي بحاجة إلى الصحبة، ولا أعرف كيف ستتأقلم عندما لا أكون هنا لأشجعها على القيام بأنشطة، حتى لو نجحنا في تشغيل نادي شورديتش بشكل منتظم.

بعد أن عادت ليتيتيا إلى منزلها، ظللت أمسك كوب الشاي الفارغ بين يدي لفترة طويلة حتى صار الكوب باردًا بين يدي. لم أستطع التوقف عن التفكير في الإيصال الموجود على طاولة المدخل عند إيثان، وفرشاة الأسنان الرطبة في حمامه. كنت ميالة إلى التسرع واستنتاج أن الرجل غير مخلص، وهذا معقول تمامًا في ظل كل ما وجدته، لذا لم ألُم نفسي على الشك، لكنني كنت بحاجة إلى التأكد.

أخذت هاتفي واتصلت برقم بيتسي.

قالت: «مرحبًا، حبيبتي! كيف حال ممثلك الوسيم؟» نطقت كلمة «ممثلك» بطريقة زادتها فخامة.

ابتسمت: «إنه وسيم كما كان دائمًا. هل يمكنني أن أطلب نصيحتك بشأن شيء يا بيتسي؟».

«بالطبع».

«صديق لينا؛ إيثان. لا بد أنكِ التقيت به عندما زار هاملي».

قالت: «نعم، في بعض المرات النادرة».

«هل زار لينا في عطلات نهاية الأسبوع؟».

«مرة أو اثنتين فقط. أعتقد أن جاكسون أخافه».

رمشت متفاجئة: «جاكسون؟ جاكسون جرينوود؟».

«لم يتعامل معه بالكثير من الود والترحاب».

قلت بحزن: «لطالما كنت أعلم أن جاكسون لديه قدرة جيدة على تقييم الأشخاص».

سألت بيتسي: «أوه، إذن إيثان ليس في قائمة الأشخاص المفضلين لديك، أليس كذلك؟».

أخبرتها عن اكتشافاتي من زيارتي شقة إيثان. تنفست بيتسي وهي تكز على أسنانها. إنه الصوت الذي تصدره عندما تتفاوض على سعر شيء في السوق في كنارجيل.

قالت: «قد لا يكون شيئًا مهمًّا، ليس كل الرجال مثل ويد».

«لكن الكثير منهم كذلك».

قالت بيتسي: «مممم، حسنًا».

كنت على وشك أن أسألها عن كليف، لكنها بدأت مرة أخرى قبل أن أتمكن من ذلك: «قبل أن أعلم أن لينا لديها حبيب، كنت سأقول إنها معجبة بجاكسون».

كم هو مثير للاهتمام. «ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟».

«لقد قضت نصف وقتها هنا تتشاجر معه، والنصف الآخر تداعب شعرها عندما يكون في محيطها. في الاجتماع الأخير للجنة عيد مايو، أزاحت عينيها عنه بصعوبة. أوه، وبمناسبة عيد مايو، لقد حصلت لينا على ممول».

هذا تقريبًا الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن تقوله بيتسي لتشتيت انتباهي عن حديث لينا، التي تغمر جاكسون بنظراتها. قلت: «ممول لعيد مايو؟».

«إحدى شركات المحاماة الكبيرة، فاخرة جدًّا. هم يدفعون تقريبًا لكل شيء، وقد ابتكرت الكثير من الأنشطة لجمع التبرعات، مثل أكشاك بيع الحلوى وصيد الكنوز واليانصيب».

ابتسمت. «إنها رائعة، أليس كذلك؟».

قالت بيتسي: «حسنًا، إنها تنجز الأمور ببراعة، سأعترف لك بذلك».

# 25 لينا

لأول مرة، عندما أمرُّ بنيكولا لآخذها بالسيارة، وأسألها إلى أين نذهب، تقول: «هل يمكننا الذهاب إلى منزلك؟»

شعرت بتقدير مفرط، نيكولا واحدة من هؤلاء الأشخاص الذين قد تحتاج إلى بذل مجهود كبير لكسب صداقتهم، شعرت بأنني من المحظوظين. عندما وصلنا إلى كوخ كليرووتر، وجدت أرنولد ينظف الحديقة الأمامية.

قلت له بينما أساعد نيكولا في الخروج من السيارة: «ألم أقل لك إنني سأنظفها بنفسي!».

قال وهو يلوح بزهرة طرخشقون في وجهي: «لكنك لم تنظفيها! مرحبًا يا نيكولا، كيف حالكِ؟».

فتحتُ الباب وأدخلتهما. سألت: «شاي؟».

أثناء انتظار غليان الشاي، خطر ببالي مدى غرابة أنني لا أجد هذا الوضع غريبًا. غالبًا ما يخبرني الناس كم أنني «ناضجة» مقارنة بعمري وأنا في التاسعة والعشرين (مشاهدة أختك تموت ستفعل ذلك بك أنت أيضًا، دائمًا ما أردتُ أن أجيب بهذا). لكنني في الحقيقة لم أكن صديقة لأي شخص يزيد عمره على الثلاثين من قبل. والآن لا أتردد دقيقة واحدة حتى، عندما يطرق أرنولد الباب دون موعد - في الواقع، أترقب ذلك - وأيضًا أنا سعيدة تمامًا لأن نيكولا خلصت إلى أنها تحبني بما يكفي لقضاء فترة ما بعد الظهر معي، إنه شعور جميل. أحب كيف غيروا وجهة نظري، ومدى تنوع حياتنا جميعًا. سأفتقد هذا عندما أغادر.. سأفتقدهم.

سمعت طَرقًا على الباب. كانت بيتسي، تبدو مرهقة ومنزعجة. قالت بوجه متجهم: «مرحبًا يا لينا»

قلت: «بيتسي! مرحبًا! تفضلي بالدخول! نحن نشرب الشاي. دعيني أحضر لك كوبًا! ناوليني معطفك».

أخذت معطفها وعلقته، بينما أفكر. ألم تكرهني بيتسي منذ أول يوم زارتني فيه عندما ردَّدتُ كل الأشياء الخاطئة. ما الذي جعلها تأتي الآن؟

قالت بيتسي: «لن أبقى، أنا هنا فقط للحصول على المفتاح الاحتياطي. تحتفظ إيلين بمفتاح شقتي في مكان ما».

«أوه، بالتأكيد»، أجبت وأنا أنظر حولي، كما لو أن المفتاح قد يكون موجودًا على طاولة الطعام. «هل أغلقت الباب وأنت بالخارج؟».

قالت: «نعم».

حاولت أن ألتقي بنظراتها، لكنها ظلت تنظر بعيدًا. أحسست بأنها تكذب بخصوص شيء.

نقل أرنولد نظره ذهابًا وإيابًا بيننا للحظة، ثم وقف، وقال: «نيكولا، يجب أن أريِك زهور الهيدرانجيا في حديقة إيلين».

سألتْ نيكولا: «عفوًا، ما اسمها؟ لا أعتقد أنني...»، لكنه كان قد بدأ بالفعل مساعدتها على النهوض.

تذمرتْ: «أوف، حسنًا».

أومأتُ إلى أرنولد شاكرة، فأجابني بابتسامة صغيرة. عندما أصبحنا وحدنا، عدت إلى بيتسي، التي ظلت تفتح وتغلق الأدراج في الخزانة.

سألتها بلطف: «هل يمكن أن نطلب من كليف إدخالك؟».

لم تلتفت بيتسي، وظلت صامتة، ثم: «كليف هو من أغلق الباب وتركني بالخارج»

تنفست بعمق، وقلت بأكبر قدر من الحيادية: «حسنًا، هذا حقًّا تصرف سيئ منه، هل تودين البقاء معي هنا، الليلة؟».

نظرت حولها: «البقاء هنا؟».

«نعم، يمكنك أن تأخذي غرفة جدتي».

بدت كأنها تائهة لا تعلم ماذا تقول للحظة، ثم قالت: «أوه، أنا... شكرًا. هذا لطيف جدًّا منك، لكنني أود فقط أن أجد المفتاح».

قلت، بينما عاد أرنولد ونيكولا مرة أخرى من الحديقة: «سنقوم بالبحث عن المفتاح، نحن الأربعة».

وجدت أشياء شتى في أثناء بحثي عن المفتاح: حقيبة مدرستي القديمة (كيف انتهى بها الأمر هنا؟)؛ صورة لوالدتي عندما كانت حاملًا بي، بدت كنجمة سينمائية رائعة؛ ووصفة لكعكة شيكولاتة بخط كارلا، مما جعل عيني تَدمع. تظل كارلا حاضرة في كل مكان هنا في هاملي. قد لا تكون عاشت في هذه القرية لفترة طويلة، لكنها تشكل جزءًا لا يتجزأ من نسيج ذلك المكان. ربما كان هذا هو السبب في أنني تحسنت أخيرًا قليلًا بينما أنا هنا... أو بالأحرى، التوقف عن محاولات تخطيها كأنها لم تكن. التقدم هو ما أجيده، أما السكون فهو ما لا أجيده.

طويت الوصفة بعناية وأعدتها إلى حيث وجدتها. ربما في يوم من الأيام، عندما أجد كنزًا مثل هذا، لن يجعلني أبكي، بل سيجعلني أبتسم.

في النهاية، وجدت نيكولا المفتاح، وورقة مكتوبًا فيها بعناية بخط جدتي العنكبوتي - مفتاح احتياطي لبيت بيتسي - وموجود في الجزء الخلفي من درج في طاولة المدخل، إلى جانب مجموعة كاملة من مفاتيح المنازل التي عشنا بها من قبل، ثم غادرناها منذ فترة طويلة، شقة كارلا في بيثنال جرين، وبيتنا القديم في ليدز، ومما أثار استيائي، مفتاح قفل الدراجة الذي اعتقدت أنني فقدته منذ حوالي عشر سنوات. وأيضًا مفتاح احتياطي لمنزل والدتي، والذي أخذته لأستخدمه لبقية وقتي هنا، كنت أستخدم مفتاح جدتي، لكنه دائمًا ما يظل عالقًا في القفل.

رافقت بيتسي إلى منزلها. لم أعطها مجالًا للاعتراض على فكرة مرافقتها، لكنني رغم ذلك فوجئت بأنها تركتني أفعل ذلك. حاولت أن أفكر فيما كانت جدتي ستقوله في ظرف مثل هذا، وقررت أنها لن تقول الكثير على الإطلاق، بل ستترك لبيتسي الحرية للتحدث. لذا بينما قطعنا طريقنا ببطء في شارع لين الأوسط تحت المطر، أمسكت المظلة وانتظرت حتى تشعر بيتسي بأنها مستعدة للحديث.

قالت في النهاية، وهي تنظر مباشرة إلي: «أفترض أنك تظنين أنكِ تعرفين كل شيء عن وضعي الآن».

«لا، إطلاقًا».

«جيد. لأن الأمر معقد».

«أنا متأكدة من ذلك».

عضضت على شفتي. كانت جدتي ستبقى صامتة، وتترك الأمر عند هذا الحد. لكن...

«ينبغي أن يعيش كل فرد آمنًا في منزله غير خائف. وإذا كنت تريدين تركه يا بيتسي، فالجميع هنا في هذه القرية سيساندونك. كل واحد منهم». وصلنا إلى منزل بيتسي. وقفت

أمام البوابة... كان من الواضح أنني يجب أن أغادر، لكنني قررت البقاء حتى أطمئن أنها آمنة داخل المنزل.

قالت بيتسي، وهي تعبث بالمفتاح: «لقد هدأ الآن، انطلقي أنتِ يا لينا، لا يمكنك أن تظلّي هنا».

قلت مع ابتسامة صغيرة: «أنتِ تستحقين أفضل من ذلك. ولن أتوقف عن قول ذلك لكِ، بغض النظر عن عدد المرات التي تطردينني فيها أو تخبرينني بالتوقف عن التواجد هنا، سأظل هنا دائمًا».

علقت بيتسي: «لأقل من أسبوع مقبل».

«أوه، نعم». لقد نسيت حقًّا لوهلة أنني سأغادر هاملي، وكأنني كنت سأبقى للأبد. قلت مبتسمة، لكن معدتي منقبضة بشيء من الحزن: «حسنًا، بعد ذلك ستعودين للعيش مع إيلين كوتون الحقيقية في كوخ كليرووتر مرة أخرى، حتى إن ذلك سيكون أفضل».

# 26 إيلين

بو-بو-بو-بو-بو، رن هاتف لينا المحمول على طاولة المقهى.

قالت بي وهي تمسك صدرها: «أوه اللعنة، في كل مرة تتلقين فيها رسالة نصية أشعر كأنني سأصاب بنوبة قلبية، صوته عالٍ جدًّا».

سألت بي: «من المرسل، هذه المرة؟ فتى الريف العجوز أم ممثلك الجذاب؟».

قلت وأنا أهز رأسي: «إنه جاري من هاملي، لقد اكتشف فجأة فيديوهات للقطط وظل يرسلها لي منذ أسابيع».

سألت بي: «أوه، هل أرسلتِ له الفيديو الذي يدفع فيه القطُّ الطفلَ إلى حمام السباحة؟ أنا وجيمي شاهدناه حوالي ستمائة مرة».

قلت: «أرى أن ابنتك تشاركك ميلك إلى الكوميديا السوداء». ثم وضعت هاتفي فوق الطاولة مرة أخرى، يمكن لأرنولد أن ينتظر، أحتاج إلى معرفة ما حدث مع بي أولًا، قلت: «حسنًا كيف كان لقاؤك الثالث مع مايك؟».

هزت بي رأسها بعدم تصديق: «كان جيدًا، إيلين. إنه ... حسنًا، إنه لا يجيد الرقص إطلاقًا، كما أنه بالتأكيد أغنى وأكثر نجاحًا مني، ولا يعيش حتى في لندن، لذا فهو لا يتوافق تقريبًا مع أيٍّ من معاييري».

«وماذا قال عندما أخبرته عن جايمي؟».

لان وجهها. أوه، أعرف تلك النظرة.

«قال أخبرني بكل شيء عنها، تحدثنا عن جايمي لمدة خمس وأربعين دقيقة متواصلة. لم يجفل أو يفزع أو يتشتت انتباهه، بل أصغى».

ابتسمتُ. «الآن، عرفنا أنه مستمع جيد، قد لا تكون تلك الصفة على قائمتك، لكنها كانت على قائمتي».

«أفادني كثيرًا بشأن تأسيس شركتي أيضًا. وجدت لديه الكثير من الأفكار، لكن من دون فوقية، تفهمين ما أقصد؟».

«لا أفهم بشأن أعمالك حقًّا، لكن هذا جيد. هل تحدثتِ مع لينا عن هذه الأفكار الجديدة؟».

تجهمت بي: «لا أريد أن أضغط عليها - في آخر مرة تحدثنا فيها عن خطط بي آند إل قالت إن ثقتها بنفسها تلقت ضربة كبيرة بعد وفاة كارلا، ولم تستطع حقًّا التفكير في الأمر. أفهم ذلك، ليس لدي أي مشكلة بالانتظار حتى تكون جاهزة».

«مممم... ».

أحضر النادل قهوتنا.

رفعت بي حاجبيها: «هيا، قولي! ماذا الذي لا تستطيعين قوله؟».

«أنت عادةً لستِ من النوع الذي ينتظر».

حركت بي الرغوة على سطح قهوتها، وقالت بهدوء: «أستطيع أن أصبح كذلك إذا كان هذا ما تحتاج إليه لينا».

قلت: «هذا لطيف جدًّا منكِ، لكن حتى لينا تحتاج إلى دفعة بين الحين والآخر. في الواقع، إنها بحاجة للدفعة الآن أكثر من أي وقت مضى. لم أرها قط سعيدة هكذا إلا عندما تتحدث

عن كل تلك الخطط التي لديكم، وكان من المحزن عدم سماعها تذكر الأمر لفترة طويلة. ربما هذا هو الشيء الذي تحتاج إليه لتستمر».

قالت بي بحماس: «ربما! ربما سأقوم فقط... بإعطائها دفعة صغيرة مرة أخرى. لا أريدنا أن نفقد الزخم. أحيانًا أقلق من أننا سننتهي بأن نظل سيلماونتيين للأبد».

«لا تقولي إنكم تسمون أنفسكم بذلك؟ يبدو كأنه عنوان لرواية فاضحة».

قالت بي: «أوه، يا إلهي، أتمنى لو لم تقولي ذلك، الآن سأفكر في وصفك في كل مرة يقول فيها المدير التنفيذي سيلماونتى. سيلماونتى. أوه، اللعنة، أنتِ محقة، يبدو كذلك بالفعل...».

تلك الليلة جلست بجانب فيتز عند طاولة الإفطار، وفرزت الردود التي تلقيتها بشأن نادي شورديتش الاجتماعي. حتى الآن، طلب خمسة أشخاص وسيلة نقل للمجيء إلى الافتتاح الكبير، وهناك سبعة آخرون قالوا إنهم سيؤكدون حضورهم من عدمه عندما يقترب اليوم، بالإضافة إلى عدد قليل بدا أنهم مهتمون. حاولت ألا أرفع آمالي، لكن الأمر بدا مثيرًا نوعًا ما.

كنت أتحقق من حين لآخر مما إذا كان هوارد متاحًا على صفحة الدردشة. أفكاره لموقعنا الإلكتروني بدت رائعة، خطته الكبرى هي أن نستخدمه لجمع التبرعات. أبقيت الأمر مفاجأة مؤقتًا، لكنني بالفعل لا أستطيع الانتظار حتى أقدمه لفيتز عندما يكون جاهزًا. الجانب السلبي الوحيد هو أن هوارد قال إنه يحتاج إلى بعض المال لبدء الأمور. قال إنه من المحتمل أن يتضاعف هذا المبلغ من خلال جمع التبرعات في غضون أسبوع، لذا سأستعيده وأكثر في وقت قصير، وبالتأكيد لا يزال يبدو أن الموقع الإلكتروني يستحق التنفيذ. أنا فقط أنتظر معرفة حجم المال الذي يحتاج إليه.

بينما عملت على مراجعة جميع رسائلي، وصلت إلى محادثتي مع أرنولد، سلسلة من مقاطع الفيديو للقطط ممزوجة ببعض الأحاديث عن هاملي والحديقة. توقفت عند اسمه، ثم بدافع

عفوي نقرت للذهاب إلى ملفه الشخصي. وجدت بعض السطور الجديدة، بالإضافة إلى الصورة.

في صفحة المعلومات الشخصية، كُتب: «اسمي أرنولد ماكنتاير، وأنا أبدأ صفحة جديدة في حياتي، هل هناك أحد يفعل الشيء نفسه؟ أحب الدردشة مع أشخاص ذوي فكر مُشابه».

فركت رقبتي أتساءل عما إذا كان هناك من أجاب أرنولد بخصوص هذا السؤال. وهل هناك سيدة ذات فكر مشابه، تدردش معه عن بدء صفحة جديدة؟ لم يخطر ببالي حقًّا أنه إذا كان أرنولد يتحدث معي عبر هذا الموقع، فمن المحتمل أنه يتحدث مع أشخاص آخرين أيضًا. توقفت عند زر الرسائل، وجدت نقطة خضراء بجانب اسم أرنولد. أضحك عندما أتخيله هناك في هاملي، جالسًا وراء حاسوبه.

إيلين كوتون *79*: مرحبًا، أرنولد، أريد أن أسألك. ماذا تعني بقولك إنك تبدأ صفحة جديدة؟»

أرنولد *1234*: حسنًا، كتبت الجملة ببعض الإلهام منك، في الواقع.

إيلين كوتون *79*: مني؟؟؟

أرنولد *1234*: لقد عدتِ لعيش حياتك بجرأة مرة أخرى. وأنا كنت قد توقفت عن فعل ذلك منذ فترة طويلة جدًّا. لذا بدأت الآن من جديد.

حدقت في الشاشة لفترة، ثم بدأ أرنولد الكتابة ثانية.

أرنولد *1234*: أذهب إلى تمارين البيلاتس، الآن.

صحت: ماذا؟!

التفت فيتز بعيدًا عن شاشة حاسوبه ونظر إليّ، رافعًا حاجبيه.

ابتسمت بتردد وقلت بسرعة: «لا شيء يثير الاهتمام»، ثم أدرت حاسوب لينا المحمول قليلًا.

إيلين كوتون *79*: ماذا أيضًا؟؟

أرنولد *1234*: علمتني لينا كيفية طبخ طبق الوسادة التايلندية للعشاء.

إيلين كوتون *79*: لكن لينا طباخة سيئة جدًّا!

أرنولد *1234*: حسنًا، لقد عرفت ذلك بالتأكيد بمجرد أن علمتني، أليس كذلك؟

ضحكتُ مرة أخرى.

إيلين كوتون *79*: وبيتسي أخبرتني أنك في لجنة عيد مايو الآن أيضًا.

أرنولد *1234*: نعم. رغم أن حفيدتك ترفض طهي أطباقك الخاصة بعيد مايو، لذا أشك أن اليوم سيكون جيدًا.

ابتسمتُ. كل عام في عيد مايو، أصنع تفاح الكراميل لبيعه في كشك خارج بوابة منزلي الأمامية. دائمًا ما يشتري أرنولد ثلاثة منها، بعد أن يتذمر بشأن السعر حتى أضطر لتقديم خصم له على مضض، ثم يحكي ويتباهى بذلك طوال المساء، بينما الكراميل عالق في أسنانه.

حامت أصابعي فوق المفاتيح.

إيلين كوتون *79*: حسنًا، ماذا لو وعدتك بأن أصنع لك بعض تفاح الكراميل عندما أعود؟

استغرق رده وقتًا طويلًا للوصول.

أرنولد *1234*: سعر بخصم خاص؟

ضحكتُ، وأنا أدير عيني.

إيلين كوتون *79*: مجانًا، لأنك اعتنيت بلينا أثناء غيابي، وكشكر لك على فيديوهات القطط. لقد أبقتني مبتسمة حقًّا.

أرنولد *1234*: حسنًا، كيف يمكنني رفض ذلك؟.

ابتسمتُ.

أرنولد *1234*: وماذا عن نادي شورديتش الاجتماعي؟ كيف يسير؟

كنت قد نسيت أنني ذكرت ذلك له من الأساس - كان لطيفًا منه أن يتذكر.

إيلين كوتون *79*: الافتتاح الكبير هذا الأسبوع.

أرنولد *1234*: أتمنى لو أستطيع أن أكون هناك.

ثم، بينما كنت أستوعب تلك الجملة المفاجئة.

أرنولد *1234*: ... إذا كنت مدعوًّا.

إيلين كوتون *79*: بالطبع ستكون مدعوًّا يا أرنولد، لا تكن سخيفًا.

أرنولد *1234*: لم أحصل على دعوة حتى إلى منزلك، لذا لا أود أن أفترض مسبقًا...

عبستُ ودفعتُ نظارتي إلى أسفل أنفي.

إيلين كوتون *79*: بالتأكيد لا تقصد أنني لم أدعُك من قبل... مطلقًا؟

أرنولد *1234*: مطلقًا... لم تدعيني إلى منزلك ولو مرة واحدة.

إيلين كوتون *79*: أعتقد أنني دعوتك مرة واحدة بالفعل.

أرنولد *1234*: نعم، حسنًا، لم تدعيني ولو لمرة بعد تلك المرة الأولى إذن.

عضضتُ شفتي، ثم مسحت حولها تلقائيًا لإصلاح أحمر الشفاه.

خطر لي، بما أنني بعيدة الآن، ربما ... لم أكن سخية جدًا في تعاملي عندما كان الأمر يتعلق بأرنولد.

انتظرت لفترة، غير متأكدة ماذا أقول. بعد لحظة، أرسل لي أرنولد فيديو لقطةٍ تركب على مكنسة كهربائية.

ضحكتُ.

أرنولد *1234*: فكرتُ في تلطيف الأجواء.

إيلين كوتون *79*: حسنًا يا أرنولد، أنا آسفة. عندما أعود إلى المنزل، أود بشدة أن أدعوك لتناول الشاي وتفاح الكراميل.

أرنولد *1234*: وأنا أود ذلك أيضًا.

أرنولد *1234*: حظًّا موفقًا في الافتتاح الكبير يا إيلين. نحن جميعًا نتطلع لعودتك إلى هاملي مرة أخرى.

وبعد ذلك، اختفت النقطة الخضراء التي تعني أنه لا يزال متصلًا.

كانت الليلة هي آخر ليلة لي مع تود. ما زال أمامي حتى يوم الاثنين لأعود إلى هاملي، لكنني أردت أن أخصص عطلة نهاية الأسبوع لتوديع أصدقائي الجدد.

لم أشعر حقًّا بالحزن لوداع تود، بالنظر إلى كوننا نعلم منذ اليوم الأول أن هذا سيحدث، وأن الفراق آتٍ. لهذا السبب شعرت بالدهشة عندما جلس بجانبي على أريكته البيضاء الفاخرة وقال: «إيلين، لست مستعدًّا لأودعك».

فوجئت لدرجة أنني اضطررت إلى الصمت وانتظار الكلمات الصحيحة أن تأتي إلى رأسي، استغرق صمتي وقتًا طويلًا لدرجة أن وجه تود علاه التجهم.

قلت، وأنا أمد يدي بشكل تلقائي نحو يده: «أوه، أنا آسفة، أنا فقط متفاجئة. لقد قلنا دائمًا...».

ضغط يدي إلى شفتيه، وهو يقول: «أعلم». بدا شعره الرمادي الفضي مجعدًا وفوضويًّا؛ فأرجعته إلى الوراء وصففته على النحو الذي يحبه، مرفوعًا إلى الوراء مثل دونالد ساذرلاند. ثم أكمل: «لقد كانت تجربة استثنائية حقًّا. لا توجد طريقة أخرى لوصفها. أنت حقًّا امرأة فريدة يا إيلين كوتون».

ابتسمت وقلت: «قلنا إن اليوم هو يوم الوداع».

«حسنًا، يمكن أن نجعله غدًا، أو بعد غد، أو يومًا بعيدًا جدًّا في المستقبل». ابتسم لي بمرح، مشبكًا أصابعه مع أصابعي، وأكمل: «هيا دعيني أحاول إقناعك. تعالي إلى حفلة الممثلين غدًا، إنها حفلة شواء على سطح في كينجز كروس. طعام جيد، حديث جيد، ونجوم من ويست إند بين الحين والآخر...»

رددت بشكل عفوي: «لا تذهب إلى الحفلة، وتعال إلى افتتاح نادي شورديتشر الاجتماعي»، طبعتُ قُبلة على خده: «سيكون من الرائع أن تكون هناك».

سكت، ثم قال: «حسنًا، أعتقد أنني... أستطيع».

ابتسمت. لقد كان هذا المشروع أهم ما أنجزته هنا في لندن، بدا من الصواب أن يكون تود هناك لافتتاحه الكبير. ولعل ما يقوله صحيح. ربما لا يتعين أن ينتهي الأمر، لمجرد أنني سأعود إلى هاملي. بعد كل شيء، إنها مجرد ساعتين بالقطار.

فور مغادرتي منزله أدركت أن هوارد قال إنه سيكون في الافتتاح الكبير أيضًا. أوه، يا إلهي، أعتقد أنه هنا يصبح اللقاء العاطفي معقدًا.

# 27 لينا

قلت بحزم: «بالطبع لا».

تذمرت بينيلوبي: «لكن فيرا لديها إسهال!».

كنت مشغولة لدرجة أنني لم أملك حتى الوقت للضحك على ذلك.

قلت: «بينيلوبي، يجب أن أكون هناك في الخارج للتأكد من أن كل شيء يسير بسلاسة! بالتأكيد هناك شابة في هذه القرية يمكن إقناعها أو رشوتها لتكون هي ملكة مايو».

«أعتقد... هناك أورسولا...».

أورسولا فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، ويمتلك والداها بقالة القرية. عادةً ما تُشاهَد هناك جالسة تقرأ كتابًا، بجوار الخضراوات الطازجة. لم أرها قط تتبادل كلمة مع أي شخص.

عقبت: «اختيار رائع، سأترك الأمر لكِ يا بينيلوبي، أعرف أنك تستطيعين تولي ذلك»، وعدت إلى الأكاليل الجميلة التي تُعلَّق حاليًا بين أعمدة الإنارة في شارع بيويت. كان صباحًا باردًا؛ حيث ألقت الأكاليل ظلالًا فضية فوق برك المياه على الرصيف، والأعلام التي ثبّتناها على نصب الحرب في نهاية الشارع كانت ترفرف بشكل جميل في الرياح.

قال رولاند: «تلك الزينة مائلة».

أغلقت عيني وتنفست بعمق: «شكرًا لك يا رولاند».

قال بلطف، وهو ينطلق خلف بينيلوبي: «على الرحب والسعة».

أتى صوت جاكسون: «إنه، كما تعلمين..».

استدرت لأراه. في النهاية، كنت قد ترفقت به في اختيار زي ملك مايو ولم أحاول أن أجعل منه أضحوكة. كان يرتدي بنطال أخضر مدسوسًا في حذاء بني طويل، وقميصًا أبيض فضفاضًا مربوطًا عند الخصر، إنه زي روبن هود كما تخيلته تمامًا، لكن عندما ارتداه جاكسون بدا كأنه لاعب رجبي ضخم بدلًا من أن يكون رجلًا ماكرًا يعيش في الغابة. وإكليل عيد مايو موجود بالفعل حول عنقه. كان الإكليل جميلًا، وقد نسجته كاثلين من الزهور البرية والأوراق التي وجدتها في جوانب الطرق.

لكن القطعة الرئيسية في الإكليل كانت القرون. كبيرة وخضراء، مقوسة مثل قرون الكبش، وطولها كطول آذان أرنب عيد الربيع الذي ارتديته من قبل.

نعم، ترفقت به، لكنني لم أكن لأدع الرجل يهرب بفعلته معي دون قطعة سخيفة للرأس.

كبحت ابتسامتي بمجرد أن استدرت، فقال: «للتذكرة، لم أضحك عليكِ عندما كنتِ تبدين مثل الأرنب روجر».

ضغطت شفتي معًا وزيفت أكثر تعبير جدي استطعت التوصل إليه، وقلت: «مهيب جدًّا». عندما استدرت مرة أخرى لأتأمل الزخارف، شعرت بشيء يهبط حول عنقي. نظرت لأسفل؛ إكليل ملكة مايو، كالذي كان يرتديه جاكسون، لكن مع بعض الزهور الوردية بين البيضاء.

درت على كعبي للنظر إليه مرة أخرى. قلت، وأنا أخلع الإكليل: «أوه، لا، لا تفعل ذلك».

أمسك جاكسون معصمي، ليمنعني من خلعه، وقال: «أنتِ تعرفين أن أورسولا لن تفعل ذلك أبدًا. بالله عليك! أين الروح المجتمعية؟».

اعترضت: «لا أستطيع أن أكون في العرض، يجب أن أنظم كل شيء من وراء الكواليس! وعوامة ملك وملكة مايو المخصصة للعرض قد تعفنت حتى منتصفها، وأحتاج إلى إيجاد

نجار بارع أو عوامة أخرى - و ...».

قال جاكسون بينما ظهرت إحدى غمازتيه: «اتركي الأمر لي، كوني فقط ملكة مايو وسأدبر لكِ طريقة أنيقة للظهور، حسنًا؟».

ضيقت عيني، وقلت: «إذا كنت تتساءل، فهذا هو وجهي المتشكك».

قال جاكسون: «لقد اعتدت هذا الوجه، في الواقع». كانت يده ما زالت على معصمي، تساءلت عما إن كان بإمكانه أن يشعر بنبض قلبي الذي ظل يرتعش. قال مرة أخرى: «اتركي الأمر لي»، وعندما ترك ذراعي، ظل إحساس أصابعه على بشرتي يسيطر عليّ، دافئًا مثل ضوء الشمس.

شعرت بأنني بحاجة إلى إيثان أن يأتي. كان قد مر وقت طويل جدًّا منذ أن رأيته آخر مرة. وأصبحت أشعر بأنني أتصرف بغباء وأتشتت بسبب هذا - هذا الأمر الغريب، هذا الإعجاب بجاكسون. هذا الأسبوع، وجدت نفسي أفكر فيه دون أي سبب، فرحت أتذكر محادثاتنا بينما وقفت أعد العشاء، وتخيلت ما قد يكون فكر فيه أثناء كل محادثة. تذكرت النمش الرملي تحت عينيه الزرقاوين الثابتتين.

تحققت من هاتفي، كنت أنتظر رسالة من إيثان ليخبرني متى سيصل لكن لم أجد إشارة، كالمعتاد. تململت، وعدت إلى ترتيب الزينة، وذهني يمر عبر قائمة المهام المتبقية: التحقق من وصول المراحيض المتنقلة، التعامل مع المياه المسربة في المكان المخصص كمنطقة لانتظار السيارات، الاتصال بالرجل بشأن توصيل الثلج، مراجعة بيتسي بشأن أكشاك الطعام....

عادت بينيلوبي معلنة: «قالت أورسولا إنها تفضل أن يخلع أحد تلك الصقور عينيها على أن تكون ملكة مايو».

قلت: «يا إلهي، هذا... تشبيه فج جدًّا». لقد أسأت قراءة شخصية أورسولا بوضوح. أكملت: «حسنًا، سأفكر في شخص آخر بمجرد أن أكون قد نظمت أمر أكشاك الطعام والثلج والمياه والمراحيض المتنقلة».

قالت بينيلوبي ضاغطة يدها على كتفي: «رويدك يا عزيزتي، لقد فعلتِ الكثير بالفعل! أنا متأكدة أن بيتسي لن تمانع إذا أخذتِ استراحة صغيرة».

قلت وأنا أمسك يدها بهدوء: «بينيلوبي، تنظيم هذا الحدث هو الشيء الأكثر متعة الذي قمت به منذ... يا إلهي، لا أعلم، منذ زمن طويل. من فضلك لا تجعليني أسترح».

حدقت إلى بعينيها التي تشبه عيني البومة، وقالت: «أنت غريبة يا عزيزتي».

ابتسمت لها وتحققت من هاتفي مرة أخرى: ثلاث شارات من إشارة شبكة الهاتف، إنها معجزة رغم أنه لا توجد أي رسائل من إيثان. نفضت عن ذهني إيثان واتصلت ببيتسي من قائمة الاتصال السريع (ليس مزاحًا: هاتف جدتي لا يزال يحتوي على خاصية الاتصال السريع).

قلت: «عذرًا لأنني فاتتني مكالمتك الأخيرة!». نظرت نحو اليسار أتحقق من الرجال الذين يقومون بتركيب الزينة (روب وتيري؟ أظن أنهما روب وتيري نعم؟ أم هل هما من استعنت بهما ليحجبا حركة المرور إلى شارع لين السفلي؟).

«لينا، أكشاك الطعام، إنها لن تأتي».

«ماذا؟ لماذا لا؟».

بدت بيتسي تقريبًا كأنها على وشك البكاء، وهي تقول: «لا أعلم!».

«لا تقلقي، سأقوم بحل الأمر». أنهيت المكالمة وبحثت عن رقم أحد أكشاك الطعام. جميعها يديرها أشخاص مختلفون، ومعظمهم محليون من المنطقة، رقم بائع ساندويتشات الجبن

كان أول ما وجدت.

قال: «آسف، فيرس بلاندون عرضوا علينا ضِعف السعر».

«فيرس بلاندون؟ لماذا يريدونك في ذلك اليوم بالتحديد!». هل تلك هي القرية التي دائمًا ما تشكو منها لجنة مراقبة الحي؟

أجاب الرجل: «يبدو أنهم يقيمون مهرجان يوم مايو أيضًا. لديهم لافتة بجانب لافتتك على الطريق، توجه الناس نحوهم. لافتة أكبر من لافتتك، في الواقع».

قلت: «لا تفعلوا هذا! أنا في طريقي بالفعل إلى فيرس بلاندون» ركضت أبحث عن أجاثا بسرعة. أكملت: «وسأعيدكم جميعًا إلى «هاملي إن هاركسديل» كما تم الاتفاق، ولكن سيكون الأمر فوضويًا، ويمكنني أن أقسم لك، سيكون الأمر ألطف بكثير إذا عدتم بأنفسكم ووفّيتم بالتزاماتكم التعاقدية هنا في هاملي».

حلَّ صمت غير مريح، ثم قال الرجل: «لم أوقع أي شيء!».

تبًّا، تبًّا، تبًّا. لا، بالفعل لم يوقع! اللعنة! لقد تواصلنا فقط مع الأكشاك الغذائية التي تأتي كل عام، وطلبنا منهم أن يقوموا بتنظيم أكشاكهم لتناسب طابع العصور الوسطى هذه المرة، وقالوا جميعًا: «أوه، بالتأكيد، سنكون هناك!» ربما كان هناك عقد في وقتٍ ما عندما تم تنظيم عيد مايو لأول مرة، لكن لا أحد يعلم أين هو.

رددت ببرود: «ما زلتم ملزمين ببنود قانونية»، رغم أنني لم أكن أعرف إن كان هذا صحيحًا أم لا.

قال: «حسنًا... آسف يا لينا. ليس هناك الكثير من المال في حدثكم، على أي حال... آسف مرة أخرى»، ثم أنهى المكالمة.

فتحت السيارة. ظهرت بينيلوبي بجانبي، وعيناها العملاقتان متسعتان بالقلق.

قالت، وهي تمسك ذراعي: «ألن توجد أكشاك طعام؟!».

صرخ باسيل، وهو يقترب ببطء لكن بغرض واضح: «إنها كارثة! اللعنة على فيرس بلاندون! كان يجب أن أعرف أنهم يخططون لشيء!».

«هل كل شيء على ما يرام يا لينا؟» كان ذلك أرنولد ينادي من الجانب الآخر من الطريق، حيث كان يقوم بفحص المصابيح في الفوانيس المعلقة.

قلت مشيرة إلى السيارة: «هيا، ليصعد الجميع إلى السيارة».

رميت المفاتيح إلى بينيلوبي، التي أمسكت بها، ثم بدت متفاجئة تمامًا لأنها استطاعت الإمساك بها.

قلت: «ستقودين أنت».

سأل باسيل: «أوه، لكن ماذا سيقول الدكتور بيوتر؟ لقد قال إن بينيلوبي ينبغي ألا -».

لمعت عينا بينيلوبي، وقالت وهي تفتح باب السائق: «لا تبال بالدكتور بيوتر، الأمر مشوق!».

لا أقول إنني شعرت بالأمان مع بينيلوبي أمام عجلة القيادة. لكننا بالتأكيد كنا نحقق تقدمًا.

قال أرنولد برفق: «كانت تلك إشارة حمراء»، كنا بالفعل قد تجاوزناها.

قالت بينيلوبي، وقد وضعت قدمها على دواسة البنزين: «كانت ستصبح خضراء بعد لحظة».

بينما، أنا ملتصقة بهاتفي أحاول بكل الطرق، سألت: «من المسئول في فيرس بلاندون؟ هل هناك عمدة أو شيء من هذا القبيل؟».

قال أرنولد: «ماذا؟ لا. أعتقد أنه يوجد على الأرجح رئيس لمجلس الرعية».

قالت بينيلوبي: «قد يكون هناك رئيس لمجلس الرعية، لكنه على الأغلب ليس هو المسئول!».

رفعت رأسي عن هاتفي وقلت: «عفوًا؟».

قالت بينيلوبي وهي تأخذ منعطفًا حادًّا بسرعة ستين كيلومترًا: «إيلين نظريًّا هي رئيسة لجنة مراقبة الحي في هاملي، لكننا جميعًا نعلم أن بيتسي هي من تدير الأمور فعليًّا، أليس كذلك؟»

«رويد... رويدك، كانت تلك لافتة: السرعة القصوى ثلاثون!».

قالت بينيلوبي: «حسنًا، لم أرها».

فتحت نافذتي بينما دخلنا فيرس بلاندون. الزينة في كل مكان!

ومصابيح! يا لهم من أوغاد!

سألت أحد الرجال الذين يعلقون الزينة: «عذرًا، من المسئول هنا؟».

«خذني إلى المسئول عنك!» كان ذلك باسيل يصيح بصوت غريب من المقعد الخلفي، مما يجعله يضحك على نفسه.

«مسئول؟».

«نعم».

«حسنًا، رئيس مجلس الرعية هو...».

لوحت له ليتوقف، وقلت: «لكن حقًّا، عندما يترك أحدهم سيارته بالقرب من تقاطع أو يبدأ التاجر رفع أسعار السمك والبطاطس المقلية، من الذي يتدخل ليعيد الأمور إلى نصابها؟».

قال الرجل: «أوه، تقصدين ديريك، إنه هناك، ينصب أكشاك الطعام في أماكنها».

قلت: «آه، شكرًا»، ثم ندَّت عني صرخة صغيرة عندما ضغطت بينيلوبي على دواسة البنزين مرة أخرى.

قالت بينيلوبي بطريقة غامضة: «لا أثق أبدًا في الرجال الذين يُدعون ديريك». أصبح الآن الشارع الرئيسي في فيرس بلاندون في مرمى بصرنا، والذي صار ممتلئًا بجميع أكشاك الطعام التي كان من المفترض أن تكون لنا.

قلت، وأنا أفتح باب السيارة: «أنتم اركنوا السيارة، وأنا سأدخل».

لم أجد صعوبة في العثور على ديريك. كان رجلًا في أواخر الستينيات، يرتدي خوذة صفراء ساطعة وغير ضرورية تمامًا ويستخدم مكبر صوت.

صرخ في المكبر: «يمين قليلًا! يسار قليلًا! لا، يسار قليلًا! لا يسارا».

قلت بلطف: «ديريك؟».

قال دون أن ينظر إلي: «نعم؟».

قلت وأنا أضع يدي أمامه: «لينا كوتون، أنا هنا بصفتي ممثلة عن ’هاملي إن هاركسديل‘».

جذب ذلك انتباهه. قال: «لم يستغرق مجيئك وقتًا طويلًا»، وعَلَت وجهه ابتسامة صغيرة جعلت دمي يغلي.

قلت: «لدي سائق بارع. هل هناك مكان يمكننا التحدث فيه؟».

قال ديريك: «أنا مشغول الآن بتنظيم مهرجان يوم مايو، وما إلى ذلك. أنا متأكد أنه بوسعك تخيل حجم أعمال ذلك اليوم».

قلت مبتسمة: «بالطبع، كنت فقط أريد أن أتمنى لك حظًّا سعيدًا».

رمش وهو يقول: «شكرًا يا عزيزتي»، وقد ازدادت ابتسامته اتساعًا. «لكننا لا نحتاج إلى حظ. لدينا أفضل طعام في يوركشاير هنا اليوم».

«أوه، لا أعني حظًّا سعيدًا لليوم، أعني حظًّا سعيدًا مع طلبات إعادة التخطيط العمراني».

تجمد ديريك، وصاح: «ماذا؟».

«لديكم في فيرس بلاندون خطط عمرانية طموحة جدًّا! هذا المركز المجتمعي الموجود على حافة القرية، ذلك الذي يمكن رؤيته من عدة منازل بشارع بيويت في هاملي؟ يمكن أن يكون إضافة رائعة للمنطقة، أو، بالطبع - اعتمادًا على وجهة نظر المرء - قد يكون بقعة قبيحة تؤثر سلبًا على المناظر الطبيعية الأيقونية بين التلال».

وبهذا حصلت على انتباه ديريك بالكامل.

قلت: «أوه، بينيلوبي، باسيل، أرنولد! تعالوا وسلموا على ديريك. سنتواصل معه كثيرًا الفترة المقبلة؛ لأنه سيكون لنا دور أكبر قريبًا في مقترحات التخطيط العمراني التالية من فيرس بلاندون». التفتت لديريك مبتسمة في هدوء وأكملت: «باسيل وبينيلوبي وأرنولد لديهم آراء مؤثرة جدًّا في القضايا المحلية. أليس كذلك يا أصدقاء؟».

قال باسيل بغرور: «بالطبع! مؤثرة جدًّا».

قال أرلوند: «نعم، لطالما كنت مهتمًّا بشئون القرية».

قالت بينيلوبي، بنظرتها المثبتة على ديريك: «ما أريد قوله هو أن هناك شيئًا ليس مريحًا في اسم ديريك. لم ألتق قط بأي ديريك أحببته».

ابتسمت بفرح وأخذت الميكروفون من يد ديريك المستسلمة.

صرخت في الميكروفون: «اجمعوا أكشاككم يا جماعة! سنعود إلى «هاملي إن هاركسديل»».

عادت أكشاك الطعام إلى هاملي على عجلات عرباتها تجر وراءها ذيول الخيبة. قادت بينيلوبي طريق العودة بخفة بالغة كفتاة في السابعة عشرة من عمرها، ونجحت بطريقةٍ ما في الوصول إلى القرية في الوقت الذي وصلت فيه أكشاك الطعام رغم أنها أخذتنا عبر كنارجيل لأخذ نيكولا في الطريق. عندما مررنا أمام لافتة يوم مايو لفيرس بلاندون، انحرفت السيارة بنا، صرخت متشبثة بمقبض الباب، بينما صدمت بينيلوبي السيارة بحافة اللوحة وأسقطتها على وجهها.

قالت بينيلوبي: «أوووه، عذرًا».

قالت نيكولا، مشيرة إلى لافتة لمتجر مزرعة في الأمام: «هيا اصدمى تلك أيضًا!».

بينما اقتربنا من هاملي، اكتشفت أنه سيكون لدي وقت للتحقق من وصول المراحيض المتنقلة قبل وصول شركة الصرف الصحي للتعامل مع التسريبات. لكن عندما توقفنا عند حافة المنطقة المخصصة لأكشاك الطعام، وجدنا حشدًا صغيرًا متجمعًا حول المدخل، مما حجب رؤيتنا. رحنا نتبادل النظرات انا وبينيلوبي بدهشة، ثم توقفت على حافة الطريق وخرجنا من السيارة. توجهت لمساعدة نيكولا، لكنني وجدت باسيل هناك بالفعل، يمد لها ذراعه برومانسية فرسان العصور الوسطى. ربت أرنولد على أجاثا محييًا عندما نزل، لقد أصبح مرتبطًا جدًّا بسيارتي منذ أن أنقذها من سياج جدتي.

سأل أرنولد، وهو يشير برأسه نحو التجمهر: «ما كل هذا؟».

«ليس لدي أدنى فكرة» تحققت من هاتفي بينما اتجهنا نحو الحشد، فوجدت رسالة من بي جعلت قلبي ينبض بشدة:

لينا، هيا لنقم بذلك! بي آند إل للاستشارات. كنت أتحدث عن الأمر مع جدتك وأنا متحمسة جدًّا. إذا كنت بحاجة إلى مزيد من الوقت، فأنتِ تعرفين أنني سأدعمك، لكن ما أقوله هو: دعينا لا نتوقف عن ذلك. دعيني أحمل عنك العبء إذا لم تكن لديكِ طاقة ذهنية لذلك. لكن دعينا لا نحد عن حلمنا يا صديقتي! سنكون الرؤساء! قُبلاتي.

ورسالة أخرى من إيثان جعلت قلبي ينكمش:

آسف يا عزيزتي... الأمور أصبحت بشعة هنا. سأحتاج إلى قضاء المزيد من الساعات أمام مكتبي. ألا توجد أي فرصة لتأتي أنتِ إلى هنا بدلًا من مجيئي إلى هاملي؟ قُبلاتي...

ابتلعت ريقي وكتبت ردًّا بينما نعبر العشب.

إيثان، أنت تعرف أنه لا يمكنني ترك هاملي اليوم، إنه عيد مايو. آمل أن تتمكن من إنجاز كل شيء كما ينبغي. دعنا نحاول التحدث عبر الهاتف على الأقل. قُبلاتي.

سأل أرنولد بهدوء: «ألن يأتي إيثان؟».

نظرت له بتساؤل.

شرح: «تعلو وجهك أقصى درجات العبوس».

دسست هاتفي في جيب السترة، وقلت: «ليس ذنبه، إنه العمل، كما تعلم».

نظر لي أرنولد مطولًا، ثم قال: «لينا، أعلم أنه كان بجانبك عندما كنت بحاجة إليه. لكن لا يمكنك أن تظلي مع شخص من باب الامتنان. لا تسير الأمور بهذه الطريقة».

صرخت: «أنا لست مع إيثان من باب الامتنان!».

ربت أرنولد على كتفي، وقال: «حسنًا، حسنًا اهدئي. أنا فقط أرى أنك تستحقين رجلًا يعاملك بشكل أفضل، هذا كل شيء».

ضيقت عيني وقلت: «أظن أنني كنت أُفضل شخصيتك الصامتة أكثر!». ابتسم، ثم اختفت ابتسامته. لقد سمع كلانا الشيء نفسه.

«كيف تجرئين على فعل ذلك؟!».

كان صوت كليف. دفعت نفسي عبر الحشد، إلى داخل الحشد، حيث تَواجه بيتسي وكليف مثل رعاة بقر على أهبة الاستعداد للاشتباك معًا. في الواقع، كانت بيتسي بالفعل، لكن ليس في يدها مسدس، بل جهاز التحكم عن بُعد للتلفاز.

قالت: «لقد سئمت من ذلك، هل تسمعني؟! لقد سئمت من ذلك» أمسكت جهاز التحكم بكلتا يديها كما لو كانت على وشك كسره إلى نصفين، بينما وقف كليف يزأر في غضب.

بدا كليف تمامًا كما تخيلته. وجهه محمر، بدين، كان يرتدي جوربًا رياضيًا وسروالًا قصيرًا، وسويت شيرت متسخًا مشدودًا على بطنه المتدلي، ما يجعله النقيض الآخر لبيتسي الضئيلة المهندمة النظيفة، التي كانت ترتدي وشاحًا وسترة وردية قصيرة. فقط، من بين الاثنين، وفي تلك اللحظة شعرت بأن بيتسي بدت الأقوى حقًّا.

قالت بصوت هادئ وقاتل: «كليف هاريس! أنا... أستحق... الأفضل».

وما استنتجته هو أن ثمة قوة خارقة خرجت من امرأة تَحَمَلت الكثير من المعاناة لفترة طويلة جدًّا؛ إذ كسرت بيتسي جهاز التحكم عن بُعد إلى نصفين.

اقترب كليف منها بعد ذلك، لكن أنا وأرنولد ركضنا إليه، وكنا أسرع منه فأمسكنا به من ذراعيه قبل أن يتمكن من الوصول إلى بيتسي.

نادت بيتسي عبر الحقل: «أريدك خارج المنزل بنهاية الأسبوع، هل تسمعني؟».

صرخ كليف مرددًا ألفاظًا مشينة، قال أشياء فظيعة، لدرجة أنني شهقت.سحب أرنولد كليف إلى الوراء، وأشار إلى باسيل ليأتي للمساعدة.

أخبرنا أرنولد: «سوف نتعامل نحن مع هذا». أومأت له، أنا بالفعل مطلوبة في مكان آخر.

انهارت بيتسي بين ذراعي بمجرد أن وصلت إليها. قلت أقودها بعيدًا: «اهدئي يا حبيبتي، هيا، لقد فعلتِ اللازم وكنتِ رائعة». وألقيتُ نظرات غاضبة على الحشد حول مدخل الحقل فتناثر المتفرجون في خجل، مما أتاح لنا المرور.

حاولت أن تدور، وهي تقول: «أوه، أنا... أنا...».

أمسكت ذراعها، وأكملت: «الآن كل ما نحتاج إليه هو أن نجد لك مكانًا للإقامة، حسنًا؟». عضضت شفتي، وأكملت: «انظري! كوخ كليرووتر قريب جدًّا، وأنتِ تحتاجين إلى الابتعاد لأسبوع، إلى أن نخرج كليف من بيتك».

كانت بينيلوبي ونيكولا تنتظران بجانب السيارة. اتسعت أعينهما عندما أقبلنا عليهما أنا وبيتسي معًا، ذراعًا بذراع. ساعدت بيتسي في الدخول إلى المقعد الأمامي، وبمجرد أن استقرت وربطت حزام الأمان، تشكلت فكرة في رأسي.

قلت بهدوء، بمجرد أن أغلقت باب السيارة: «نيكولا، لقد أعطت بيتسي زوجها مهلة أسبوعًا للعثور على مكان آخر للعيش».

لانت ملامح نيكولا في تعاطف. ألقت نظرة على بيتسي، الصامتة في المقعد الأمامي. كانت لا تزال تحمل قطعتي جهاز التحكم عن بُعد في يديها؛ وقد شدت قبضتيها عليهما بإحكام.

«آه يا إلهي، هل فعلت ذلك حقًّا؟».

«هل بإمكاني أن أطلب منكِ أن...؟».

قالت نيكولا: «يمكنها البقاء معي بقدر ما تشاء».

«هل أنت متأكدة؟ أعلم أن هذا طلب كبير».

«إذا كانت المرأة بحاجة إلى مكان للإقامة، وأنا لدي سرير شاغر بالفعل، فليكن إذن».

فتحت نيكولا باب المقعد الخلفي، فتحركت لمساعدتها على الدخول تلقائيًا كأنني مغيبة.

قالت نيكولا لبيتسي بمجرد أن دخلت: «دعينا نذهب إلى منزلي، حسنًا يا عزيزتي؟ وسنضع الغلاية لنتناول كوبًا من الشاي الساخن اللطيف، ثم سأعد لنا فطيرة السمك للعشاء».

تطلَّب الأمر كل جهدي لئلا أبكي. أخذت المفاتيح من بينيلوبي التي بدت قلقة جدًّا وجلست في مقعد السائق. هؤلاء الناس، لديهم شجاعة كبيرة، ولطف لا يُوصف. عندما جئت إلى هنا، ظننت أن حياتهم محدودة وسخيفة، لكنني كنت مخطئة. إنهم من أعظم الأشخاص الذين عرفتهم في حياتي.

# 28 إيلين

وقفت وسط المساحة المشتركة التي أصبحت تعج بالنشاط. انحنى فيتز بالضبط عندما ألقت مارثا كومة من المناديل على أورورا. التقط روبرت طَرَف غطاء الطاولة، الذي ألقته ليتيتيا في الوقت المناسب لفرده. ووقفت ياز توقع على تسلُّم الطعام بيد واحدة بينما تحمل فانيزا بالأخرى.

كنا نأمل في تقديم وجبات دسمة وساخنة لمجموعة سيلفر شودريتشرز، لكن الأمور أصبحت معقدة جدًّا عندما حددنا الأشخاص الذين لديهم حساسية من الطعام وما شابه، لذا في الوقت الحالي جهزنا فقط وجبات خفيفة على هيئة مقصف. ولحسن الحظ، تمكنت من مراجعة طلب السوبر ماركت قبل أن يضغط فيتز على زر «شراء»؛ لأن معظم الأشياء التي وجدتها بسلة الشراء، كانت ستشكل تحديًا كبيرًا لأي شخص لديه أسنان ناقصة أو طقم أسنان جديد. وبذلك أصبحت لدينا كميات أصغر من عيدان الجزر والشيبس، وكميات أكبر من النقانق الطرية ومربعات الكيش.

أخرجت هاتفي المحمول، كنت أنتظر وصول تود في أي لحظة مع حافلته لإحضار أعضاء نادي شورديتشرز الجدد، قال إنه سيتصل بي عندما يتحرك. وقال هوارد إنه سيصل هنا في الوقت المحدد، لذا لم يكن بعيدًا أيضًا. تحسست شعري بقلق، مارثا ربطته لي، وبدا أنيقًا جدًّا، لكنني ظللت أخشى أن يظهر بشكل مبالغ فيه.

وجدت رسالتين. الأولى كانت من بي:

أنا عالقة هنا مع عميل، وسأضطر إلى تفويت حفل الافتتاح. أنا آسفة جدًّا، مستاءة تمامًا. هل يمكنك أن تأتي لأودعك قبل مغادرتك غدًا في الصباح إذا كان ذلك ممكنًا؟ سأكون في سيلماونت، وليس لدي أي اجتماعات، صباح الغد. مكتب سيلماونت في طريقك، أليس كذلك، إذا كنت ذاهبة إلى كينجز كروس؟

كتبت ردي:

مرحبًا، بي. لا داعي للجزع يا عزيزتي. ماذا عن الساعة 9 صباحًا غدًا؟ ربما إذا كان لديك وقت، يمكننا تناول آخر قهوة ومافن معًا. ليس هناك مشكلة إذا لم تستطيعي، بالطبع. مع حبي، إيلين.

أتى ردها على الفور:

رائع، اتفقنا! آسفة مرة أخرى يا إيلين، قُبلاتي...

أما الرسالة الأخرى فكانت من هوارد

فتى الريف العجوز: أنا سعيد لأنك موافقة بشأن مبلغ الـ *300* جنيه إسترليني لنطلق الموقع. أَعِدك، سيكون لدينا ضِعف ذلك من التبرعات خلال أسبوع! قبلاتي.

إيلين كوتون *79*: سأعطيك الشيك عندما أراك. لا أستطيع الانتظار لرؤية موقعنا على الويب قريبًا.

ظهرت النقاط الثلاث مما يعني أنه يكتب شيئًا.

فتى الريف العجوز: أنا آسف جدًا، إيلين، لكن لا أعتقد أنني سأستطيع حضور حفلة الافتتاح. لدي الكثير من العمل لأقوم به من أجل الموقع الإلكتروني! هل يمكنك تحويل المال عبر الإنترنت؟

انكمش قلبي. كنت أظن... كنت حقًا... حسنًا، لا بأس. لم تكن هذه الفعالية تتعلق بهوارد وليست نهاية العالم إذا لم يستطع الحضور.

إيلين كوتون *79*: للأسف، لا أعرف كيفية إجراء معاملات مالية عبر الحاسوب. لكن يمكنني إرسال الشيك لك بالبريد، أرسل لي فقط العنوان. مع أطيب تمنياتي، وقبلاتي.

نادى صوت مألوف: «إيلين»

نظرت لأعلى، لأجد تود - الرائع والوسيم تود. انتعش قلبي مرة أخرى. أظن أن هذا هو السبب في أنه من المفيد أن يكون لديكِ عدة رجال في آن واحد.

«أنتَ هنا أخيرًا»، وقفت على أصابع قدميّ لأقبل خده. بدا أنيقًا جدًّا في قميص بفتحة عنق وبنطال تشينو. وقف يتفحص خلية النشاط من حوله، وبدا مرتبكًا بعض الشيء من كل ذلك.

سأل: «هل قمت بكل هذا؟»

أجبت مبتسمة: «نعم! حسنًا، لقد ساعد الجميع، بإمكانك أن تقول، فعلنا ذلك»

قال فيتز الذي يظهر بجانبنا فجأة: «أوه، مرحبًا، هل هذا تود؟» مد يده ليصافح تود، وهو يكمل: «من الرائع مقابلتك. أنوي أن أكون مثلك عندما أكبر».

سأل تود: «ممثل؟»

صحح فيتز: «عاشق بارع حتى في السبعينيات من عمري». ثم قال: «يا إلهي، لا، هذه ليست مزهرية، إنه من أجل عصي المشي!».

كانت الجملة الثانية موجهة ليتيتيا. نظرت باعتذار إلى تود، الذي من حسن الحظ بدا أنه مستمتع جدًّا.

قلت: «آسفة للفوضى»، كان تود قد تكلم في اللحظة نفسها لكنه قال: «لدي بعض الأخبار السيئة».

«ما الأخبار السيئة؟».

«حافلة الجولة. للأسف، فريق المسرح بحاجة إليها».

قبضت على صدري: «ماذا؟ لم تحضرها؟ ليس لدينا أي وسيلة نقل؟».

بدا القلق على تود: «أوه يا عزيزتي، هل كانت مهمة جدًّا؟».

لوحت بهاتفي المحمول تجاهه. «بالطبع كانت مهمة! لقد وعدنا بأننا سنأخذ الناس!».

سأل غير مدرك: «هل يمكننا طلب سيارات أجرة لهم؟».

ضيقت عيني: «حتى الآن، الأشخاص اللطفاء في هذا المبنى هم من يمولون هذا النادي من جيوبهم الخاصة. لا يمكنهم دفع تكلفة سيارات أجرة لا نعلم حتى عددها».

«أوه، صحيح». لبعض الوقت، ظننت أن تود قد يعرض الدفع، لكنه لم يفعل، مما جعلني أقلق أكثر. قلت بفتور: «عذرًا، من الأفضل أن أذهب وأحل هذا الأمر».

الرجال... دائمًا يخيبون آمالنا، أليس كذلك؟!

أعلم أن سالي ليست متحمسة لفكرة نادي شودريتشرز، وأراهن أنها تخطط لقضاء فترة بعد الظهر حبيسة شقتها، لكن ليس لدينا أحد آخر لنطلب منه ذلك. انتظرت بقلق خارج بابها، وقد أخذت وقتًا طويلًا للرد، ولم يكن لدي أي فكرة ماذا كنا سنفعل إذا كانت خارج المنزل. في النهاية، فتحت سالي الأقفال الثلاثة على بابها، وألقت نظرة واحدة عليّ، ثم عادت إلى الداخل.

ناديت، في حيرة: «مرحبًا؟».

ظهرت مرة أخرى، هذه المرة وهي تحمل مفاتيح سيارتها. ثم قالت وهي تخرج وتغلق الباب خلفها مرة أخرى: «ما الأمر الطارئ هذه المرة؟».

ظلت تتذمر وتتنهد طوال طريقنا للخروج من المبنى، لكنني لم أكن مقتنعة بأنها منزعجة، أعتقد أن سالي تحب أن تكون البطلة.

بمجرد أن انطلقت هي وفيتز، ومعهما قائمة الأسماء والعناوين، انشغلتُ بوضع الدومينو والأوراق على الطاولات، مع نظرات خاطفة نحو الباب. أيضًا كنت أُلاعب شعري كثيرًا حتى إنني خشيت أن أفسد تصفيفتي الجديدة الجميلة. لم أستطع التوقف عن القلق والتململ.

وبمجرد أن أنهيت الأعمال التنظيمية المتبقية، أعلن هاتفي وصول رسالة جديدة، وكانت من أرنولد:

عزيزتي إيلين، ظننت أنك سترغبين في معرفة أن بيتسي طردت كليف اليوم. لقد أمنّا لها مكانًا لتقيم فيه لفترة، مع نيكولا من كنارجيل. ونحن تولينا أمر كليف وعنفناه حتى وعد بالانتقال للعيش مع شقيقه في شيفيلد بحلول عطلة نهاية الأسبوع المقبل، وبذلك ستتمكن بيتسي أخيرًا من العودة إلى منزلها.

عذرًا إذا كنت أقاطع افتتاحك الكبير، أعلم أنه يوم مهم. لكنني ظننت أنك سترغبين في معرفة ذلك. أرنولد.

ضممت الهاتف إلى صدري. أول ما خطر لي هو الاتصال ببيتسي، لكنني تذكرتُ كيف شعرتُ بعد مغادرة ويد؛ الإحراج، والخزي. ولم أكن أريد التحدث إلى أي شخص، على الأقل في البداية. لذا بدلًا من ذلك، أرسلت لها رسالة نصية.

كتبت:

أنتِ ببالي...، ثم، من وحي اللحظة أكملت: أنتِ صديقة شُجاعة ورائعة. أرسل لكِ الكثير من الحب، إيلين.

فتحتُ رسالة أرنولد مرة أخرى، لكنني لم أكن متأكدة كيف أرد بالضبط. كان من الرائع منه أن يرسل لي أخبارًا عن بيتسي. والغريب أنني شعرت بأن أرنولد مصدر راحة لي، طوال الأسابيع القليلة الماضية، بمقاطع الفيديو السخيفة عن قططه وأخباره من هاملي.

نادى فيتز: «إيلين، إنهم هنا!».

أدرت رأسي نحو الباب، فرأيتهم، أعضاء نادي شورديتش قادمون، بعضهم يستخدمون المشايات لتساعدهم على المشي، وبعضهم يمشون بخطى سريعة، لكن جميعهم يتلفتون بأعينهم اللامعة والمستكشفة إلى المنطقة المشتركة الجديدة بينما تساعدهم سالي وفيتز في الدخول من الباب. التفتُّ أنا أيضًا لأرى منطقتنا المشتركة مجددًا من خلال أعينهم، الجدران باللون الأخضر المريمي، والأرضيات الخشبية الجميلة العارية، وشعرت بالفخر.

قلت، وقد فردت ذراعيّ: «أهلًا وسهلًا، تفضلوا، ادخلوا!».

عندما التقيت لأول مرة بليتيتيا، سألت نفسي كم عدد الأشخاص الرائعين الآخرين، الذين قد يكونون مختبئين في شقق صغيرة في لندن، دون أن يقولوا كلمة لأي شخص.

والآن ها أنا في غرفة مليئة بأشباه ليتيتيا، جميعهم مختلفون جدًّا، وجميعهم مثيرون للاهتمام بشكل استثنائي. هناك نانسي، التي كانت تعزف على الفلوت في أوركسترا لندن. وهناك كلايف، الذي قضى حياته كلها يقود الشاحنات في الليل، والآن لا يستطيع النوم دون الضوء حوله. وهناك آيفي، التي تتفوق على الجميع في لعبة سكرابل وتأكل لفائف السجق في لقمتين. ثم تعترف بشيء من الذنب بأنها، من الناحية الفنية، عبقرية، وربما ينبغي ألا يسمح لها بالمشاركة في ألعاب الطاولة.

قدم روبرت دورة فنية لنصف ساعة، كانت لديه البصيرة الكافية لوضع قماش مشمع على الأرض، وكم كان قرارًا حكيمًا؛ لأن أغلب الطلاء بدا أنه يذهب إلى الأرض بدلًا من اللوحات.

ثم هناك الطعام، والآن الموسيقى، والتي كانت فكرة فيتز. حتى آيفي ونانسي نهضتا للرقص. كانت أجواء رائعة، لم أشأ أن تنقضي.

قالت مارثا، التي قبلتني على خدي وهي تمر بجانبي: «يا له من شيء رائع قمتِ به هنا يا إيلين».

استرحت على الأريكة، أراقب نانسي وآيفي وهما تجربان رقصة الفوكستروت البطيئة، متجنبتين الطاولات أثناء تحركهما. جلس تود إلى جانبي، شعرت بالدهشة لرؤيته، فقد قضى معظم فترة الظهيرة في شقة لينا، يتلقى المكالمات.

قالت مارثا بدبلوماسية عندما تذمرتُ من عدم اندماجه مع المجموعة: «أعتقد أن هذه ليست حقًّا المجموعة المناسبة له».

بدا من المنطقي ألا يشعر بأن وجوده مناسب هنا، فنانسي وآيفي وكلايف، جميعهم أشخاص عاديون، مثلي. أدركت أن كل الوقت الذي قضيناه أنا وتود معًا كان في عالمه الخاص: منزله الضخم، والمقاهي المفضلة لديه.

هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها عالمي، واتضح فجأة أنه ليس مكانًا يريد أن يكون فيه.

لكن تود أخذ يدي وراح يمرر إبهامه ذهابًا وإيابًا على معصمي، كما فعل في موعدنا الأول بالمقهى، وفجأة، قفز قلبي.

قال: «اليوم هو يوم الوداع، أليس كذلك؟». جاء صوته عميقًا وسلسًا، لقد منحني هذا الصوت قشعريرة أكثر من عدد المرات التي أستطيع عدها خلال الشهرين الماضيين.

قلت: «نعم، إنه يوم الوداع»، إذا لم أكن متأكدة من ذلك من قبل، فقد تأكدت منه اليوم.

لا أريد أن أقضي بقية حياتي مع رجل مثل تود، أريد أن أقضيها مع شخص يفهم الأشياء التي تهمني، شخص عاش حياة بها صعوبات، مثل حياتي. لم أستطع تخيل تود وهو يزرع الحدائق معي أو يقرأ بجوار موقد الحطب في كوخ كليرووتر أو يساعد في أعمال لجنة مراقبة الحي. كان تود جزءًا من مغامرتي في لندن، ولندن هي المكان الذي ينتمي إليه.

قال تود، بصوت منخفض جدًّا لدرجة أنني بالكاد استطعت التقاط الكلمات: «يجب أن أعود إلى المسرح، لكن يمكنني العودة، الليلة. ليلة أخيرة، من أجل ذكرياتنا».

ازدادت حرارة تلك المشاعر الدافئة، وأصبح ملمس إبهامه على جلد معصمي أكثر تشتيتًا من أي وقت مضى.

حسنًا. هل تكون المغامرة مغامرة إذا لم تتخذ على الأقل قرارًا واحدًا غير حكيم؟!

# 29 لينا

أحب التعامل مع الأزمات، لكن عندما غادرت منزل نيكولا، شعرت ببعض القلق بشأن ما تركته دون رقابة أثناء غيابي. أعني، مهرجان مايو كان قد افتتح رسميًا، ولم أكن متأكدة مما إذا كان قد تم التحقق من وجود المراحيض المتنقلة.

لكن عندما أوقفت السيارة في شارع بيويت، استطعت سماع الأصوات من المزاد الخيري، وشم رائحة اللحم المشوي، ورؤية الصياد الذي يعد طيوره. بدا الأمر مذهلًا. لقد تمكنوا من إعداد عمود مايو أيضًا أثناء غيابي، بدا مستقيمًا إلى حد ما، وكل شيء كان بخير. لقد حالفَنا الحظ أيضًا في الطقس: ذلك الضوء الليموني الباهت الذي يخضب الأجواء عندما يحل الربيع بدفئه، وصوت الدردشات وضحكات الأطفال التي تختلط بالنسيم الخفيف.

توجهت مباشرة إلى المنطقة المخصصة للمراحيض المتنقلة، وشعرت بسعادة عندما اكتشفت أنها موجودة بالفعل. وخلاف ذلك، كنت سأضطر إلى إخبار جميع الجيران بالجوار بترك أبوابهم مفتوحة للسماح للزوار بالدخول إذا احتاجوا إلى التبول، وكان لدي شعور بأن إقناع القرويين سيكون صعبًا.

قالت أمي من خلفي: «أوه، جيد، توجد مراحيض».

درت، متفاجئة. بدت بخير، كانت ترتدي تنورة طويلة وبلوزة بأكمام واسعة، وعندما انحنت لتقبِّلني في ترحيب، شعرت بشيء غريب. استغرق الأمر لحظة لأدرك أنه لم تغمرني موجة من العواطف الجارفة، ولا نوبة ذعر محتملة، ولم أشعر بالتوتر، كنت فقط سعيدة لرؤيتها، وهذا كل شيء.

أخرجت قائمة من جيب تنورتها، كانت قائمتي لتنظيم المهرجان. فتشت في جيوبي الخاصة، كما لو كنت سأعثر عليها هناك، على الرغم من أنني أراها بوضوح في يدها.

«باسيل وجدها بعد شجار بيتسي مع كليف، لقد كنت أعمل على تنفيذها بأفضل ما أستطيع. آسفة لأن عمود مايو مائل، لم أستطع إقناع رولاند بأنه ليس مستقيمًا تمامًا، ثم استسلمت».

قلت: «أنت... أوه يا أمي، شكرًا لك».

ابتسمت لي. كانت قد جمعت شعرها في هيئة كعكة، وبدت عيناها أكثر إشراقًا. غمرني امتنان شديد لانتهاء شعوري بالغضب تجاهها، وسروري البالغ لرؤيتها وإحساسي تجاهها بالحب لا شيء آخر، لذا احتضنتها في عناق عفوي.

ضحكت، وقالت: «أوه، هذا جميل».

قبَّلتها على خدها.. سمعنا من خلفنا شخصًا يطرق على باب المرحاض من الداخل، ثم أتى صوت عرفت أنه صوت باسيل، يصرخ: «مرحبًا؟ أنا عالق!»

تغيرت تعبيرات وجهي وقلت: «لقد عدنا إلى العمل، أليس كذلك؟» هل ستحضرين العرض؟».

قالت وقد رفعت حاجبيها: «سمعت أنهم لم يجدوا بُعد ملكة مايو».

«أوه يا إلهي، سأضطر إلى القيام بذلك، أليس كذلك؟»، نظرت إليها بحماسة مفاجئة وسألتها: «ما لم تريدي أنتِ أن تفعلي ذلك؟».

نظرت أمي إليَّ بحنان بالغ، نظرة تقول: محاولة جيدة يا لينا. ثم قالت: «لإنقاذ اليوم مرة أخرى كما فعلت، هذا الصباح، أليس كذلك؟... تاج ملكة مايو ينتمي إليك يا لينا. الآن، هل ستُخرجين باسيل من المرحاض، أم أنا من يجب عليه ذلك؟».

الآن بعد أن أصبحت بالفعل في منتصف الحدث، بدا أن زي عيد مايو هذا أقل شبهًا بالملكة جيونيفير، وأصبح يشبه... فساتين الزفاف.

قمت بتعديل الصدرية بتوتر، وأنا أتسكع في مدخل كوخ كليرووتر. الفستان عالٍ عند الخصر، ينزل من أسفل الصدر بشيفون أبيض ناعم، وقد ساعدتني بينيلوبي في تثبيت الزهور في شعري، حول تاج ملكة مايو. شعرت قليلًا بأنني من عالم آخر. كان هذا جديدًا جدًّا بالنسبة لي. لم أكن قط ذات نزوع روحاني ورومانسي وحالم هكذا.

مددت يدي إلى حقيبتي لأخرج هاتف جدتي وأرسل رسالة نصية سريعة إلى بيتسي لأخبرها أن كل شيء يسير على ما يرام. أرنولد أخذ كليف إلى المنزل في الوقت الحالي، بعد أوامر صارمة بعدم العودة إلى المهرجان، لذا فكرت أننا قد نتمكن من إعادة بيتسي للمشاركة في العرض. لكن عندما اتصلت لتقول إنها استقرت عند نيكولا، بدا صوتها مضطربًا جدًّا لدرجة أنني لم أقترح عليها ذلك. كان من السهل أن ننسى أن بيتسي ليست جدتي: فهي أكبر بست سنوات، ولديها عزيمة فولاذية، لكنها لا تملك طاقة جدتي. في الواقع، لست متأكدة أن أي شخص آخر يمتلك تلك الطاقة. لقد ذكرتني الأشهر الأخيرة بمدى روعة جدتي حقًّا.

مسحت فستاني بكفين متعرقتين. في الخارج، في شارع لين الأوسط، كان موكب عيد مايو ينتظرني. كان حضور موكب عيد مايو متاحًا للجميع، فكان يحضر جميع من هم ليسوا مشغولين بأشياء أخرى، وأيضًا جميع من كانوا يخشون أن تنبذهم بيتسي إذا لم يحضروا الحفل. وقفت والدتي هناك، تضحك على شيء تقوله كاثلين. أيضًا أعضاء لجنة مراقبة الحي: رأس الدكتور بيوتر الأملس مائل ويتحدث إلى رولاند، وبينيلوبي تلف خيطًا من الزهور حول عنقها ونزولًا على ذراعيها مثل شال من الريش.

ثم هناك الأطفال. الثلاثة والثلاثون طفلًا الذين يرتادون مدرسة «هاملي إن هاركسديل» الابتدائية موجودون، وهم مجتمعون حول جاكسون في دائرة، وجوههم مرفوعة إليه. يحملون أكياسًا من نِثار الورود، مستعدين لرمي بتلات الورد على الحشود. كانوا يرتدون الأبيض، مثلي، على الرغم من أن معظم ملابسهم بدت مصنوعة بالتأكيد من ملاءات الأسرّة.

حسنًا، جميعهم ما عدا واحدة. فتاة صغيرة مميزة جدًّا وقفت ترتدي زي اليوسفي. صاحت سامانثا: «سيدة أرنب عيد الربيع!»، ثم كسرت الصف لتندفع نحوي وتعانق ساقي.
اصطدمت بي ثم صاحت: «أوف!». ارتمت بعيدًا، فأمسكها جاكسون. نظر إليَّ بعد ذلك، وقد فوجئ عندما رأى فستاني الأبيض. انفتح فمه قليلًا، ثم بدأ التحديق، ذلك التحديق العميق، لم يستطع أن يمنع نفسه من التحديق. عضضت على شفتي محاولة ألا أبتسم.

قالت سامنتا: «تبدين ملكة حقيقية!».

«أوه، شكرًا لك!».

قالت: «أو كشبح!».

همم.. ليس جيدًا.

تنحنح جاكسون، وسأل مشيرًا إلى شيء خلفي: «هل أنتِ مستعدة للموكب الأنيق الذي وعدتك به؟».

التفتُّ ورأيت شاحنة جاكسون أمام منزل أرنولد، مزينة بشكل كثيف بالأشرطة والزهور لدرجة أنك ترى أرنولد بصعوبة في مقعد السائق. أنزل نافذة الشاحنة، فقطع زهرة قرنفل في طريقه.

قال: «عربتك في انتظارك!».

أجبته بصوت عال: «هل تشارك حقًّا في موكب يوم مايو؟ لكن يا أرنولد، ماذا عن سمعتك وأنت ناسك قريتنا المتجهم؟».

قال أرنولد: «اركبي قبل أن أغير رأيي».

قبَّل جاكسون سامانثا، وأرسلها للانضمام إلى الأطفال الآخرين، قبل أن يساعدني في الصعود إلى مؤخرة الشاحنة المفتوحة. وقفنا جنبًا إلى جنب يتطلع كل منا إلى الآخر، وشعري يرفرف في الهواء. غمرتني السعادة، في الغالب - سعادة لوجودي في هاملي - سعيدة لأنني اتخذت ذلك القرار المجنون ودخلت حياة جدتي لبعض الوقت، سعيدة لأن جاكسون كان يقف بجانبي مبتسمًا ابتسامة واسعة تظهر فيه غمازتاه. سمعت أحاديث متحمسة من خلفنا بينما استقر الجميع في أماكنهم، ثم طرق جاكسون مرتين على سقف الشاحنة فانطلق أرنولد. تحركنا على طول الطريق المتلألئ أمامنا بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة، وموكب عيد مايو المبهج في أثرنا.

لا أستطيع أن أتذكر متى كانت آخر مرة شربت فيها إلى هذا الحد. هل كان ذلك يوم كنا نودع ماتيو عندما غادر للعمل في «ماكنزي»؟ وحتى في ذلك الحين، كنت متعبة جدًّا لدرجة أنني لم أتمكن من الاستمتاع بالأمر كما ينبغي، شربت فقط كأسين من الشراب ونمت بعدها في قطار الأنفاق، ولا شيء يجعل الإنسان يفيق مثل رحلة طويلة ومكلفة للعودة إلى المنزل من هاي بارنيت.

لكنني الآن أسكرتني الأجواء وأخلت بتوازني تمامًا، كما أن رأسي يدور بسبب الرقص حول عمود مايو كحمقاء، وأنا سعيدة. سعيدة سعيدة سعيدة. على الأغلب جمعنا أكثر من ألف جنيه لصالح الأعمال الخيرية اليوم، وهذا المال سيذهب لمساعدة أشخاص - مثل كارلا - وعائلاتهم، ومقدمي الرعاية لهم. الآن بدا أن هذا أجمل شيء في العالم.

قطعت طريقي نحو النار الكبيرة في الحقل حيث مشيت مع هانك لأول مرة. كانت معظم الأكشاك لا تزال تعمل من حولي، مضاءة بالفوانيس وضوء النار المركزي المتناثر، وأكشاك الكوكتيلات الاستوائية الأكثر شعبية بين جميع الأكشاك، حيث تمتد الطوابير لمسافة طويلة أمام كل واحد منها. أما تلال ديلز فارتفعت قاتمة وجميلة وراء كل هذا. يا إلهي! كم سأفتقد هذا المكان، سأفتقده حقًّا. لم أكن أريد أن تنتهي الليلة.

قال أرنولد: «شخص يبدو مبتهجًا»، رافعًا كأسه لي عندما اقتربت من النار.

كانت النار تتفجر وتفرقع خلفه، تحركت للأمام واقتربت لأشعر بدفئها، وقد مددت يدي نحو الحرارة. اقترب جاكسون ومرر لأرنولد كوبًا تطفو فوقه شريحة بطيخ. وقفا معًا، مرتاحين، مثل أب وابنه. يعجبني أنهما ظلا هكذا، حتى بعد أن تركت والدة جاكسون أرنولد. يمكن أن تكون العائلة معقدة جدًّا، لكن إذا اخترت طريقتك الخاصة في التعامل معها، فيمكنك أن تنتهي بشيء مثالي تمامًا على أي حال.

تأمل جاكسون السماء، وقال: «ستمطر غدًا».

قال أرنولد: «ابني الذي لم أنجبه، إنك تعكر صفو موكبك في يوم مايو. كانت الفتاة تشعر بالسعادة، يا جاكسون! لا تفسد مزاجها الرائق».

سعل جاكسون وقال: «آسف»، ثم مال ليضع كوبه الفارغ وتمايل قليلًا ثم استقام مجددًا.

سألته: «هل أنت منتشٍ؟ أوه، هذا المشهد مُسلٍّ. كيف يكون جاكسون عندما يكون منتشيًا؟»

رد جاكسون وهو يسحب زهورًا متساقطة من إكليله: «في الواقع، جاكسون المنتشي يميل إلى الإفراط في الكلام ومشاركة التفاصيل».

اعتذر أرنولد، ملوحًا بشكل غير محدد نحو حافة الأشجار. ثم اتجهت أنا وجاكسون نحو أحد المقاعد المؤقتة الموضوعة بجانب النار. كان الظلام يحيط بنا، وظهر وجهه رجوليًا بشكل صارخ في ضوء النار، بينما الظلال تتجمع تحت عظام حاجبيه، وأسفل فكه. بدأ قلبي الخفقان بقوة، أعلم أنه ينبغي ألا أكون جالسة معه بمفردي... أفكر في هذا الرجل كثيرًا.

قال وهو يخلع إكليله ويضعه بجانبه: «سامانثا تحبك، على الرغم من أنها بالتأكيد ما زالت تعتقد تمام الاقتناع أنك أرنب عيد الربيع. وفسرت لي أنك لستِ ترتدين زيك الرسمي لأنك في إجازة حتى عيد الربيع التالي».

استرخيت قليلًا، إذا كنا نتحدث عن ابنته، فلا يبدو الأمر خطيرًا جدًّا.

قلت: «زيها جميل. إنها حقًّا طفلة جميلة».

ألقى نظرة جانبية عليَّ، وقال: «هل تعلمين أنها وضعت كريمة في شعرك عندما سمحتِ لها بالجلوس على كتفيك؟».

رفعت يدي إلى شعري وتأوهت: «يا إلهي، ستكون إزالتها أشبه بالكابوس، لماذا لم يخبرني أحد؟».

«أعتقد أن الجميع كان في حالة انتشاء حالت دون أن ينتبهوا، إلا أنا».

رفعت حواجبي: «إلا أنت؟! كنت أظن أنك بالفعل الآن في وضع الإفراط في الكلام والبوح».

نظر إليَّ بعينين متلألئتين في ضوء النار، وقال: «أنا كذلك، لكنني فقط ألاحظك أكثر من المعتاد».

توقف عقلي عن العمل فجأة. سَمِعت دقات قلبي في أذني، وفي حلقي، وفي كل مكان.

«لينا ...».

«يجب أن أعود إلى...».

غطى يدي بيده فوق المقعد بيننا. بمجرد أن لمسني اندفعت بداخلي شحنات ساخنة وأخرى باردة، مثل اللحظة التي يجذبك فيها شخص لعناق طويل. لكن كل ما فعله هو وضع أصابعه فوق أصابعي فاجتاحني الشعور نفسه.

قال: «أعتقد أنك رائعة يا لينا كوتون. أنت طيبة وجميلة، ولا يمكن منعك من تحقيق ما تريدينه، يا إلهي، تلك الحركة التي تقومين بها، عندما تمررين أصابعك في شعرك هكذا، إنها...»، ثم فرك فمه بيده الفارغة، بينما توتر فكّه قبل أن يسترخي.

أنزلت ذراعي، ولم أكن أدرك حتى أن أصابعي تعبث بشعري بينما كنا نتحدث.

قال: «أعتقد أنه يجب أن تعرفي أنني معجب بكِ، هذا النوع من الإعجاب الذي لم يكن ينبغي له أن يكون».

تسارعت أنفاسي وأصبحت متقطعة. أردت أن أمد يدي إليه. أردت أن أدس أصابعي بين أصابعه، وأن أقترب منه وأعانقه بشدة على ضوء النار. كان قريبا جدًا، أقرب مما ينبغي، قريب جدًا حتى استطعت رؤية النمش تحت عينيه، والشعيرات الخفيفة في ذقنه.

قال بصوت هادئ أشبه بالهمس: «لم أعرف ماذا أفعل، لقد فكرت في الأمر لأسابيع. لا أريدك أن تنفصلى عن حبيبك، هذا خطأ. لكنني أيضًا لا أريدك أن تتركي هاملي دون أن تعرفي».

بدأ دماغي بالعمل في اللحظة التي تذكرت فيها إيثان. سحبت يدي بعيدًا وتراجعت، مبتلعة ريقي بصعوبة. أصبح جسدي أبطأ، شعرت بحرارة الرغبة تندفع بداخلي.

«لا ينبغي لي - أنا آسفة يا جاكسون، كان يجب أن أوقفك في اللحظة التي بدأت فيها الكلام. لا أراك بهذه الطريقة. لدي حبيب، وأنت تعرف ذلك». خرجت الكلمات مرتعشة أكثر من اللازم، بينما كنت أحاول أن أبدو حازمة وقاطعة، لكن ذهني كان مشوشًا من الكوكتيلات الاستوائية، ونبضات قلبي كانت لا تزال تتسارع.

سأل جاكسون متجهمًا: «هل يجعلك إيثان سعيدة؟ أنا آسف، أَعِدك بأنني لن أكرر ذلك السؤال».

أخذت نفسًا عميقًا. هل نتحدث عن إيثان، حقًّا! بالطبع أعرف الإجابة على هذا السؤال.
«نعم، يجعلني سعيدة».

نظر جاكسون إلى أسفل، وقال: «حسنًا، هذا جميل. أنا سعيد لأجلك. سعيد لأنه يجعلك سعيدة».

بدا الكلام خارجًا مباشرة من أعماق قلبه، مما جعل قلبي يتألم.

قلت وأنا أبتلع ريقي: «سأغادر الأسبوع المقبل، وأنت ستنسى... كل شيء عني، وسوف تعود حياتك إلى طبيعتها».

نظرنا نحو النار، باتجاه اللهب الذي يمزقه الهواء.

قال جاكسون: «أحتاج إلى توديعك الآن، أقول وداعًا الآن».

لدي تجمع وداعي صغير غدًا في باحة القرية مع فريق مراقبة الحي، ربما حتى تأتي نيكولا وبيتسي إذا تسنى لهما المجيء. لكنني أعتقد أن جاكسون لن يحضر.

قلت: «لا مشكلة بالطبع. يجب أن...» وقفت، فوجدت أن أحد جانبي ساخن من نار الموقد، والآخر بارد من الهواء.

قال جاكسون وقد وقف أيضًا: «أنا آسف، كان يجب أن... اتضح لي الآن أنه لم يكن يجب أن أقول أي شيء».

قلت: «لا، أتفهم ذلك».

من الجيد أنه قال ذلك. الآن أصبحت الحدود واضحة.

قال: «حسنًا، وداعًا».

ترددت، ثم...

«تعال إلى هنا»، قلت ذلك وجذبته إلى حضني. أغلق ذراعيه حولي، بوجنتي على صدره، ويده تقريبًا تحيط بخصري تمامًا. كانت رائحته تحمل عبق النيران والأزهار البرية، ورائحة إكليل الزهور لا تزال عالقة في القماش الناعم لقميصه. سحبت نفسي بعيدًا عندما بدأ نبض قلبي التسارع مرة أخرى.

قال في اللحظة التي ابتعدنا فيها عن بعضنا: «فلتنعمي بحياة سعيدة يا لينا كوتون، و... تأكدي أنها الحياة الصحيحة والمناسبة لك».

# 30 إيلين

تركت تود على الأريكة، وقد غلبه النوم، أحب أن تكون هذه آخر ذكرى لنا معًا، إذ قضينا الكثير من الأوقات الممتعة وتشاركنا الأحاديث وقد كنت جميلة جدًّا، يرجع الفضل في ذلك لمارثا التي وضعت لي مساحيق التجميل.

كانت حقائبي كلها معبأة وتنتظر في ردهة روبرت وأورورا في الأسفل. حملها فيتز إلى الأسفل قبل أن يغادر إلى العمل. لقد أعطيت أورورا وروبرت صبارًا هدية وداع، كانت أورورا شديدة السعادة.

لقد وعدوا بالاستمرار في إقامة نادي شورديتش الاجتماعي وإرسال صور لكل حدث شهري. لكن فيتز كان هو الأكثر حماسة للأمر، حيث قام بوضع خطط كبيرة لتوسيع النادي بالفعل. لقد كان من الممتع رؤية كيف يعمل من كل قلبه على كل ذلك. لقد ذكَّرني قليلًا بنفسي في ذلك العمر. رغم أن بصري كان أقوى من حسي الداخلي، فمن خلال إقامتنا معًا عرفت أنه لا يستطيع أن يتعلم كيف يعتني بنفسه، وأي شيء يتعلق بالأمور المنزلية لا يعنيه. لكنني فعلت ما بوسعي بينما كنت هنا، وكان يتقدم على العموم، وذات يوم، رأيته يطابق جوربيه بعد غسل الملابس.

استدعيت سيارة أجرة سوداء لتأخذني إلى مكتب سيلماونت لتناول قهوة وداع مع بي. وبينما رحنا نقطع ببطء الشوارع، تذكرت كم كان هذا المكان مخيفًا حين وصلت لأول مرة، والآن أصبح بمثابة منزل ثانٍ لي. سأفتقد الرجل من السوق الذي كان يمنحني خصمًا على الكريب لأنه من يوركشاير أيضًا، وبائع بيج إيشو الذي يملك كلبًا من نوع ألزاسي ويرتدي رباط عنق ورديًّا.

توقفنا أمام مكتب سيلماونت، استغرق الأمر مني بعض الوقت للخروج من السيارة، وبمجرد أن أخرجت رأسي منها، نظرت لأعلى وتجمدت.

سأل السائق: «هل أنت بخير هناك، سيدتي؟».

قلت بأعين مثبتة لأعلى: «شش!» ثم عدت إلى السيارة مرة أخرى وأغلقت الباب، وأنا أقول: «أغلق بابك! واتبع تلك السيارة!»

قال متفاجئًا: «عفوًا؟»

«تلك السيارة هناك! السيارة التي بالأمام هناك، السيارة ذات الملصق الإعلاني تلك!»

سأل وهو ينظر لي بحذر في المرآة: «السيارة التي بها الرجل والفتاة الشقراء التي تصعد؟»

قلت: «هذا هو حبيب حفيدتي، وأراهنك أن هذه هي عشيقته السرية».

شغل السائق سيارته بسرعة وقال: «أنتِ على حق، سيدتي. سألتصق بهما كالصمغ». انحرف بسلاسة في حركة المرور بحيث لا يطلق أحد أبواقه. قال: «لا أستطيع تحمل الخائنين».

قلت بتوتر بينما نقف خلفهم مباشرة: «وأنا أيضًا». بصعوبة - لا أريد أن أرفع عيني عن سيارة الأجرة تلك - أرسلت رسالة سريعة إلى بي.

«أتبع إيثان! آسفة جدًّا لتفويت ميعادنا. الكثير من الحب، إيلين»

ردت على الفور.

«أنا متشوقة».

لم يكن لدي وقت لأخبر بي بكل شيء، لذلك تعين عليها الانتظار.

وقفت سيارة إيثان الأجرة، فتوقف سائق سيارتي خلفهم عند محطة حافلات، ونظر بترقب إلى الوراء.

قلت: «حسنًا سأنزل»، على الرغم من أن الأمر بدا تسلقًا أكثر منه نزولًا، قلت: «لقد كنت رائعًا. بمجرد أن أكتشف كيفية التقييم، سأمنحك خمس نجوم».

بدا مذهولًا، لكنه ساعدني على الخروج وأعطاني إشارة ودية كافية ثم بدأت الركض خلف إيثان، وأنا أجر حقيبتي خلفي.

كنت متأكدة أن تلك هي سيسي. شعرها أشقر مستقيم، وساقاها طويلتان، مما يتطابق مع نقطتين من الأشياء التي أعرفها عن المرأة، بالإضافة إلى أن هناك شيئًا بها يوحي بأنها قد تسرق حبيب حفيدتي.

لكنني توترت قليلًا عندما توقفا خارج مبنى شركات. خطر لي أن إيثان وسيسي قد يكونان ذاهبين إلى اجتماع، وفي هذه الحالة، فقد أنفقت الكثير من المال على أجرة السيارة إلى... أين أنا بالضبط؟

ثم تحسست يد إيثان ذراع سيسي، فعلمت أنني على وشك اكتشاف شيء. مال برأسه للتحدث إليها. ثم، بسرعة البرق، بلمح البصر... قبّلها على شفتيها.

للحظةٍ ترددت وتراجعت. لكنني ذكَّرت نفسي بما قلته عندما بدأت أشك في أن إيثان يخون لينا: كارلا لم تكن ستتراجع، ولا ينبغي لي أيضًا. لذا رفعت حقيبتي على ذراعي، وانطلقت أنا وحقيبتي ذات العجلات بخطى سريعة.

لم ينظر إيثان وسيسي حتى إلى الشارع عندما اقتربت منهما. نكزت إيثان على كتفه، فاستدار.

قال، وهو يتراجع خطوة إلى الوراء: «إيلين؟ مرحبًا. ماذا تفعلين هنا؟»

قلت للمرأة: «أنت سيسي، أليس كذلك؟»

رفعت حاجبيها: «عذرًا؟»

أشرت نحو المبنى: «عليك أن تذهبي، يا عزيزتي. نزاعي ليس معك. على الرغم من أنه ينبغي أن تعرفي أن هناك مكانًا خاصًا في الجحيم للنساء اللاتي يتطلعن إلى رجال غيرهن من النساء».

قال إيثان: «انتظري يا إيلين».

«لقد رأيتك تقبّلها».

قالت سيسي: «ما علاقة ذلك بـ...».

قاطعتها: «لم أنتِ هنا؟».

نظرت سيسي إلي بنفور ثم سألت: «إيثان؟».

قال: «سأراك في الاجتماع، هل يمكنك تعطيلهم قليلًا؟»

«دعنا نذهب يا إيثان، من تكون هذه المرأة؟»

قلت: «أنا جدة لينا».

اتسعت عيناها.

قالت: «أووه!»

عقبت: «نعم، أووه!»

قالت لإيثان: «سأراك في الداخل»، ثم أسرعت بعيدًا بكعبها العالي. تذكرني بالمشعوذات. نظرت بعيدًا عنها، لا تستحق حتى أن أفكر فيها.

قلت لإيثان: «حسنًا؟».

مسح جبينه، وقال: «أعتقد أنك تفهمين الأمر بشكل خاطئ يا إيلين».

«لست ساذجة يا إيثان. لا تحاول أن تتعامل معي وكأنني غبية!».

«انظري، أنتِ لا تفهمين. بطريقة لطيفة يا إيلين أعني... العلاقات الحديثة ليست مثل...».

«لا، لا تحاول استخدام تلك الجمل معي».

مرر أصابعه عبر شعره. «حسنًا. لم أقصد أن يحدث شيء بيني وبين سيسي. آخر شيء أريده هو إيذاء لينا، لكن لينا تغيرت تمامًا في الفترة الأخيرة، لا أعرف ما الذي حدث لها. حتى إنني شعرت كأننا لسنا في علاقة من الأساس، لقد أصبحت شخصًا آخر تمامًا، وفجأة أصبحت تريد التحدث عن... عن روابط النقل في شمال إنجلترا الريفية، وصنع الحساء، والتخطيط لحفلات القرية. إنه... إنه مجرد...». امتدت يده فجأة نحو ذراعي، وتوسل: «من فضلك، لا تخبريها».

«آه، نعم. كنت أعرف أننا سنصل إلى ذلك»، أزلت ذراعي من قبضته بتروٍّ.

«من فضلك، سيعكر ذلك كل شيء بيننا. أَعِدكِ بأن أقطع علاقتي بسيسي، سأفعل ذلك الآن بعد اجتماعنا». بدا عليه التوتر، ونظر إلي بعيون يائسة.

«لن أخبر لينا».

تنفس الصعداء.

«سأعطيك مهلة يومين، على الرغم من أنك لا تستحق ذلك».

تركته هناك؛ لأنني لم أستطع التحكم في أعصابي لفترة أطول، ولم أستطع تحمل رؤيته ينسحق نادمًا على ما فعل، ويتعرق في قميصه الغالي. ساعدني سلسلة من الغرباء الطيبين في حمل حقائبي، حتى استقررت في القطار بكينجز كروس، وهو يغادر المحطة في الهواء

الطلق، تحت السماء الواسعة، والرافعات تدور بشكل منتظم ذهابًا وإيابًا، لتوسيعات معمارية وتوسيع لندن أكثر.

سأفتقد هذه المدينة، لكنها ليست موطني. بينما أسرع القطار في طريقه شمالًا، تساءلت عما إذا كان هذا هو الشعور الذي يراود الحمام الزاجل، وهو ينجذب للأمام، وكأن هناك من يسحب الخيوط التي تربطك بالمكان الذي تنتمي إليه.

# 31 لينا

استيقظت في صباح اليوم التالي ليوم مايو بالطريقة المعتادة (قط أمامي مباشرة)، لكن بدلًا من القفز من السرير، عدت إلى النوم لمدة ثلاث ساعات أخرى على الأقل. عند الاستيقاظ الثاني، اكتشفت أن آنت/ديك استقر على أضلعي السفلية، وقد غط في النوم لدرجة أنني شعرت بالسوء لتحريكه. أيضًا، التحرك يبدو فظيعًا. كنت متعبة جدًّا. ومصابة بالصداع من الشرب أيضًا.

هل أوصلتني أمي إلى المنزل، الليلة الماضية؟ أذكر بشكل غامض أنني تحدثت بتفصيل كبير عن خطة عملي مع بي، ثم أخبرتها أنني لا أريد مغادرة يوركشاير، فقالت: لماذا لا تؤسسين شركتك هنا؟ لماذا لندن؟ ما الشيء الرائع في لندن، على أي حال؟ ثم رحت أتحدث عن الوجود في المركز وما إلى ذلك...

رن هاتفى، كان إيثان. فركت عيني وبحثت عن الهاتف على الطاولة بجانب السرير.

«مرحبًا».

قال بصوت مشدود وقلِق: «مرحبًا يا لينا، كيف حالك؟»

«أعاني الصداع، وأنت؟»

«اسمعي يا ملاكي، أنا آسف حقًّا، لكنني بحاجة إلى التحدث معك بشأن شيء. قد يكون مزعجًا بعض الشيء».

جلست مستقيمة مستندة إلى الوسائد: «حسنًا...».

«لقد صادفت جدتك، هذا الصباح. كنت مع سيسي من العمل في طريقنا لاجتماع مع عميل. جدتك... أنا آسف يا لينا. لقد جنت تمامًا. بدأت تصرخ على سي سي وعلي، وقالت أشياء مروعة - قالت إنني أخونك، كان الأمر جنونيًّا يا لينا. لا أعرف ما الذي أصابها».

قلت وأنا أمسك اللحاف: «يا إلهي، ماذا؟!».

«هل تعتقدين أنها بخير يا لينا؟ هل بدت لك غريبة قليلًا مؤخرًا، أو أي شيء؟ في سنها قد يحدث...»

«ماذا، هل تعتقد أنها بدأت تفقد عقلها؟». انتابتني قشعريرة، وسمعت وقع نبضات قلبي.

رد إيثان بسرعة، والقلق يملأ صوته: «لا، لا، أنا متأكد أنها كانت فقط ... تمر بيوم سيئ، أو شيء من هذا القبيل، وقد فرغت مشاعرها فيّ».

«هل قالت إنك تخونني؟».

«نعم». ضحك ضحكة مكتومة، «لينا، أنت تعرفين أنني ما كنت لأفعل ذلك أبدًا...».

قاطعته قبل أن يتمكن من إنهاء الجملة: «بالطبع»، لأنني لا أريد حتى أن أطلب منه أن يقولها.

«أعتقد... هل يمكنك العودة إلى لندن يا لينا؟ أعني اليوم؟» بدا صوته متعبًا جدًّا. أكمل: «أحتاج لرؤيتك. لقد كان... لقد كان صباحًا صعبًا جدًّا».

«اليوم؟ كان من المفترض أن أبقى حتى الغد في وقت الغداء، لأتحدث مع جدتي...»

«صحيح، بالطبع».

«هل تريدني معك؟» مسحت وجهي، كانت عيناي قد دمعتا قليلًا. هذا فظيع. لماذا - كيف يمكن... قلت: «سأعود الآن، إذا كنت بحاجة إلي. وسأتصل بجدتي وأتحدث معها».

«لا تستائي منها. ربما يتعلق الأمر بجَدّك - أعني، لقد تركها من أجل امرأة أخرى، أليس كذلك؟ ربما اختلطت الأمور عليها وكانت فرصة لها لتفرغ كل مشاعرها المكبوتة. ربما كانت هذه الرحلة إلى لندن أكثر من أن تتحملها. من المحتمل أنها تحتاج فقط إلى بعض الراحة».

قلت مرة أخرى: «عليّ أن أتصل بها. أحبك يا إيثان».

«وأنا أحبك أيضًا يا لينا. سأنتظر اتصالك مرة أخرى، حسنًا؟»

عبثت بهاتف جدتي القديم، أخذ وقتًا طويلًا حتى رنَّ الجرس.

«مرحبًا؟».

«جدتي، هل أنت بخير؟».

«نعم، أنا بخير يا عزيزتي، وأنا الآن في القطار في طريقي إليك». بعد صمت قصير، سألت: «هل أنت بخير؟ يبدو أنك... قلقة أو...».

«اتصل بي إيثان للتو».

«آه. لينا، حبي، أنا آسفة جدًّا».

«ماذا حدث لك؟ هل أنت بخير؟ أنت بخير، أليس كذلك؟».

استطعت سماع القطار في الخلفية، صوت الصرير والاندفاع بينما هي عائدة. استندت للأمام، ورفعت ركبتيّ إلى صدري، وحدقت في النقشة الوردية على غطاء اللحاف. ظل قلبي ينبض بسرعة كبيرة، شعرت به إزاء ركبتيّ بينما جلست ملتفة على نفسي.

قالت: «ماذا تقصدين، ماذا حدث لي؟» .

«تصرخين على إيثان. تتهمينه بـ - بـ - مع سيسي، جدتي فيم كنت تفكرين؟».

«لينا، لا أعتقد أن إيثان أخبرك بالقصة كاملة».

«لا، لا تعني ذلك، لا تقولي ذلك! لماذا تقولين هذا يا جدتي؟» مسحت على خدي؛ كنت أبكي حقًّا. «لا أعرف ماذا أتمنى! لا أريدك أن تكوني مجنونة ولا أريدك أن تكوني في حالتك الطبيعية أيضًا، لأنه إذا كنتِ في حالتك الطبيعية فـ...».

«لم أفقد عقلي، لينا - يا إلهي، هل هذا ما قاله لكِ ذلك الوغد؟»

«لا تتحدثي عنه بهذه الطريقة».

«لقد رأيته يقبِّلها يا لينا».

تجمد جسدي.

«قال إن الأمور تغيرت بينكما عندما ابتعدتِ، وأنكِ أصبحتِ شخصًا مختلفًا، و...».

قاطعتها: «لا، لا أصدقك».

«أنا آسفة يا لينا».

«لا أريدك أن تأسفي عليّ؛ أريدك أن تعتذري عن تعنيف إيثان واتهامه زورًا بخيانتي!».

«لينا! لا تصرخي في وجهي، من فضلك. دعينا نتحدث بشكل حضاري عن كل هذا عندما أعو-».

«سأعود إلى لندن الآن. إيثان يحتاج إليَّ».

«لينا. لا تفعلي. ابقي في هاملي ويمكننا التحدث».

ضغطت عيني بشدة لدرجة أنها آلمتني: «أحتاج إلى العودة. لم أكن... لقد خذلت إيثان. أنا لست لينا التي يعرفها، هنا في هاملي. لا أعرف حتى من أكون. أحتاج إلى العودة إلى ذاتي الحقيقية. العمل، وإيثان، وحياتي في لندن. ينبغي ألا أبقى هنا أكثر من ذلك».

«أنتِ لا تفكرين بذهن صاف يا حبيبتي».

قلت وأصبعي بالفعل يطفو فوق زر الهاتف الأحمر: «لا. هذا - هذا التبادل كان قرارًا غبيًّا» - تحدثت بغلظة - «كان من المفترض أن يساعد، لكن الآن لقد أفسد الشيء الوحيد، الشيء الإيجابي الوحيد، و...» بدأت البكاء: «لقد تعبت يا جدتي. لقد تعبت من كل هذا».

# 32 إيلين

وصلت إلى منزلي في هاملي، أخيرًا، بعدما بدا كأنه دهر. حتى إعداد كوب من الشاي شعرت بأنه يفوق طاقتي. لم يكن لزامًا أن أسهر حتى وقت متأخر، الليلة الماضية، كان ينبغي أن أكون أكثر حكمة. والآن، بعد الرحلة الطويلة، والوداعات الصعبة، وتلك المكالمة الهاتفية الرهيبة مع لينا... أصبحت أشعر بثقل وبطء، كما لو كنت أحمل صخرة فوق رأسى.

أصبحت هناك مسافة جديدة بيني وبين لينا. لو كنا نتحدث أكثر عن تجاربنا خلال الشهرين الماضيين، ربما كانت ستصدقني بشأن إيثان. كنت أظن أننا أصبحنا أقرب، بما أن كلًّا منا بات يعيش حياة الآخر، لكن اتضح أن الأمر عكس ذلك تمامًا. شعرت بأن رائحة عطرها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من رائحة المنزل، وهذا غريب.

رن جرس الباب. رفعت جسدي من الكرسي ذى الذراعين بصعوبة، أتلوى من الألم العميق في ظهري والألم الغامض في أطرافي.

كنت آمل أن تكون ماريان، لكنني وجدت أرنولد. بدا مختلفًا، لكن لم أستطع تحديد السبب - ربما قبعة جديدة؟ قميص جديد؟

قال بصراحته المعتادة: «هل أنت بخير؟ رأيتك تتعثرين خارج المنزل، وتساءلت...».

شعرت بالانزعاج لمعرفة أنه رآني. «أنا بخير تمامًا، شكرًا لك».

بدا عليه الانزعاج هو الآخر. وقف كل منا منزعجًا من الآخر، وكأنها الأيام الخوالي.

ثم أرخى كتفيه، وقال فجأة: «لقد اشتقت إليكِ».

أجبته مذهولة، ممسكة إطار الباب لأحافظ على توازني: «عفوًا».

عبس، ثم قال: «أنتِ لست بخير، تحتاجين إلى الجلوس. هيا. دعيني أدخل، وسأعد لكِ كوبًا من الشاي».

قلت، وأنا ما زلت مصدومة بعض الشيء من تصريح أرنولد الأخير، «حسنًا. أعتقد أنك جئت من الباب الأمامي هذه المرة».

أمسك مرفقي ونحن نسير ببطء نحو غرفة المعيشة، أبطأ مما كنت أرغب. شعرت براحة لرؤيته، أو كنت كذلك حتى قال إنه اشتاق إلي. بدا ذلك غير مريح بعض الشيء.

قال أرنولد، وهو يطرد ديك من فوق الأريكة: «ذلك القط اللعين. هيا، اجلسي».

بالكاد منعت نفسي من تذكيره بأن هذا منزلي، ويجب أن أكون أنا من أدعوه للجلوس. إنه يتصرف وكأنه قريب جدًّا. في الواقع، إنه قريب فعلًا، إذ يقطن في المنزل المجاور.

سألته فجأة: «هل هذه قبعة جديدة؟».

رفع يده إلى رأسه تلقائيًّا: «ماذا؟ أوه، نعم. هل أعجبتك؟».

«نعم، أعجبتني».

«لا داعي لأن تكوني متفاجئة هكذا. لقد أخبرتك أنني قررت أن أبدأ حياة جديدة. لقد اشتريت ثلاث قبعات جديدة». انطلق بالفعل إلى المطبخ؛ سمعت صوت الماء يجري، والغلاية تعمل. سأل: «حليب، ودون سكر؟»

صححت: «ملعقة سكر واحدة».

صرخ من المطبخ: «سيُفسد أسنانك!

«مثل تفاح الكراميل».

قال: «لكن هذه فاكهة، أليس كذلك؟»

أغمضت عينيّ وملت برأسي على ظهر الأريكة. شعرت بتحسن قال، كما لو أن الحياة بدأت تعود إلى أطرافي، وشعرت بوخز في أصابع قدمي ويديّ، كما لو كنت قد عدت للتو من جو بارد.

عاد أرنولد إلى الغرفة ومعه كوبان كبيران من الشاي الساخن، وهو يقول: «هل تعلمين يا إيلين، خزائنك في حالة سيئة، هناك علبة فاصوليا عريضة من عام 1994».

قلت وأنا آخذ كوب الشاي: «كان 1994 عامًا سعيدًا».

ابتسم أرنولد، وسأل: «كيف كانت؟ المدينة الكبيرة؟»، ثم نظر إليّ بدهاء، وأكمل: «هل وجدتِ حبك الحقيقي؟»

«أوه، اصمت».

«ماذا؟ لم تحضري رجلًا معك إذن؟» نظر حوله كما لو كان يتفقد الزوايا بحثًا عن روميو.

قلت، وأنا ألكز ذراعه: «أنت تعلم أنني لم أحضر أحدًا، ومع ذلك، لقد خضت علاقة عاطفية إلى حد ما».

نظر إليَّ بسرعة شديدة، وسأل: «عاطفية؟»

رفعت كتفي: «حسنًا، أعتقد ذلك. لم أكن متأكدة تمامًا من مسمى العلاقة. كان ممثلًا من ويست إند. علاقة كُتبت نهايتها قبل أن تبدأ، لكنها كانت ممتعة».

وفجأة بدا وجه أرنولد جادًا جدًّا. حاولت كتم ابتسامتي، لقد اشتقت إلى مضايقة أرنولد.

سأل: «لكنها انتهت الآن، أليس كذلك؟ ولم يكن هناك أحد آخر؟».

قلت بخجل: «حسنًا، كان هناك رجل آخر. لكنني كنت فقط أتحدث معه عبر الإنترنت».

جلس أرنولد بشكل مستقيم قليلًا وبدأ يبتسم. قال: «أوه، حقًّا؟».

«إنه رجل رائع، وحساس جدًّا. لم تكن حياته سهلة، ولديه مشاكله، لكنه لطيف وعقلاني جدًّا».

قال أرنولد وهو يرفع حاجبيه: «مممم حساس، أليس كذلك؟».

«لقد كان يقرأ لأجاثا كريستي لأنه يعلم أنها كاتبتي المفضلة». ابتسمت، وأنا أتخيل هوارد في شقته، يقترب من نهاية رواية مقتل روجر أكرويد.

سأل أرنولد وهو لا يزال مبتسمًا: «أوه، هل فعل ذلك حقًّا؟ كيف عرفتِ ذلك؟ هل أخبركِ أحد؟»

ملت برأسي نحوه، وقلت: «لقد أخبرني بنفسه».

تراجعت ابتسامة أرنولد قليلًا، وقال: «كيف؟».

«دائمًا ما نتحدث عن الكتب. يخبرني عندما ينتهي من كل كتاب. ويخبرني عندما تذكِّره بعض السطور بي، و...».

نهض أرنولد فجأة لدرجة أنه سكب الشاي على قميصه. صاح: «تبًّا» وحاول تنظيفه بكُمه.

قلت وأنا أتحرك للوقوف: «لا تمسح بكُمك، أنت تجعل الأمر أسوأ! سأحضر لك...».

قال بخشونة: «لا تزعجي نفسك، من الأفضل أن أغادر». وضع كوب الشاي الذي لم يشرب منه نصفه واتجه خارج غرفة المعيشة... بعد لحظة سمعت باب المنزل يُغلق بقوة.

حسنًا! ما الذي أصاب أرنولد؟!

بمجرد أن استجمعت طاقتي، نهضت وارتديت حذائي ومشيت ببطء أكثر من المعتاد إلى منزل ماريان. كانت هذه هي أجمل لحظة في العودة إلى المنزل، معرفة أنني سأراها مرة أخرى. على الأقل، كنت آمل أن تكون لحظة جميلة. لكن بقي جزء صغير مني يخشى أن أجدها أسوأ حالًا، وليس أفضل، وسأدرك أنه لم يكن يجب أن أغادر هاملي من الأساس.

كانت تعلم أنني سأعود اليوم، لكن عندما طرقت بابها، لم يُجب أحد. ابتلعت قلقي وحاولت الاتصال بها، لكنها لم ترد. ربما خرجت بسرعة، سأرى إن كانت في متجر القرية.

أدرت ظهري لباب ماريان ثم توقفت، ناظرة إلى الهاتف المحمول في يدي. لم يكن هاتفي، بل هاتف لينا، كنا من المفترض أن نستبدله بمجرد أن أعود إلى المنزل، لكنها غادرت إلى لندن.

بالطبع، أخبرنا كل من نتواصل معهم بانتظام، بأننا بدلنا أرقام هواتفنا، لكنني أعلم يقينًا أن لينا لم تخبر سيسي.

إذا حصلت لينا على دليل على أن إيثان كان يخونها... فبالتأكيد ستصدقني حينها. ويمكنني الحصول على الدليل. عليَّ فقط أن أتظاهر بأنني لينا، فقط لرسالة نصية واحدة صغيرة.

ما أنا على وشك فعله هو بالتأكيد خطأ، إنه من أسوأ أنواع التدخل والتطفل. لكن إذا تعلمت شيئًا خلال الشهرين الماضيين، فهو أنه أحيانًا يكون من الأفضل للجميع أن تتحدث وتتدخل.

مرحبًا، يا سيسي. لقد أخبرني إيثان بكل شيء. كيف جرؤتِ على ذلك؟

# 33 لينا

بدت رحلة العودة إلى لندن ضبابية، كما لو أن أذنيَّ انسدتا وكل شيء بدا مكتومًا قليلًا. سلكت طريقي إلى شقتي بصورة تلقائية، فقط عندما خطوت داخل المبنى بدأت الارتباط حقًّا بالمكان الذي أنا فيه. وجدت كل شيء مختلفًا، كان الطابق السفلي بأكمله جميلًا: الأرضيات المكشوفة، منطقة الجلوس، طاولة الطعام التي دُفعت إلى الحائط. بالتأكيد جدتي هي من فعلت هذا. كانت هناك لوحات مبهجة، لكنها غير احترافية، ملتصقة بالجدران، وكومة من الأوعية في زاوية من طاولة الطعام، بدا المكان جميلًا ونابضًا بالحياة.

لكن بمجرد أن وصلت إلى الشقة، نسيت كل شيء عن منطقة الطابق السفلي. من اللحظة التي فتحت فيها بابنا وشممت رائحة المنزل، لم أستطع رؤية شيء سوى حياتي مع إيثان. كنا نطبخ في ذلك المطبخ، ونتكوم على تلك الأريكة، نقضي أوقاتًا ممتعة في هذا المدخل، نتحاب ونتبادل القُبل ونمزح ونرقص. شعرت كأنني أراه أمامي، مثل الخطوط الخافتة التي تتركها في الصفحة التالية لدفتر ملاحظات، عندما تضغط بشدة أثناء الكتابة.

لم يكن ليؤذيني مطلقًا. لن يفعل ذلك. لن أصدق هذا.

عاد فيتز إلى المنزل بعد نصف ساعة ليجدني أبكي على الأرض، وظهري مستند إلى الأريكة. نزل إلى جانبي في لحظة وسحبني نحو كتفه وبكيت في سترته الكشميرية، ولم يوبخني حتى على جعل سترته، التي يجب ألا يمسها الماء، مبللة.

قلت من بين نشيجي: «كل شيء في حالة من فوضى».

نظر إليَّ فيتز في قلق وقال: «ماذا حدث؟».

«إيثان... جدتي... إنه... إنها...».

«أعتقد أنني بحاجة لبعض الكلمات التي تربط بين الجمل هنا يا لينا. كنت دائمًا سيئًا في لعبة ماد ليبس».

لم أستطع أن أحمل نفسي على إخباره. كان هناك شيء معين قالته جدتي ظل يتردد في ذهني، يتكرر مرارًا، يختلط مع إعلانات القطار، عازف الساكسفون في محطة كينجز كروس، وبين أحاديث المارة، بينما كنت في طريقي إلى هنا، قالت إن إيثان شخص مختلف.

لا أصدق جدتي، أنا أثق في إيثان. أحبه كثيرًا، إنه مأمني وسكني، كأنه بطانيتي المريحة، لن يؤذيني أبدًا بهذه الطريقة... إنه إيثان.

ربما لا يهم... ربما إذا كان ما قالته صحيحًا يمكنني فقط أن أغفر له، ونعود إلى ما كنا عليه من قبل. لقد أعجبني جاكسون، أليس كذلك؟ لا يعني ذلك شيئًا، لا يعني أنني يجب أن أتوقف عن كوني لينا حبيبة إيثان، لكن حتى أثناء تفكيري في ذلك، أعلم أنني مخطئة إذا كان إيثان - إذا كان - مع سيسي الآن...

قال فيتز، جاذبًا إياي إليه بقوة: «يا إلهي، لينا حبيبتي، توقفي، إذا استمررتِ في البكاء هكذا فسيصيبك الجفاف، تحدثي إليّ... ماذا حدث؟».

قلت بصعوبة: «لا أستطيع التحدث عن ذلك، لا أستطيع... من فضلك شتت تفكيري بأي شيء آخر».

تنهد فيتز، وقال: «لا يا لينا، لا تفعلي ذلك. دعينا نتحدث عن الأمر، هيا. هل فعل إيثان شيئًا سيئًا؟»

قلت بثقة أكبر، هذه المرة، مبتعدة: «لا أستطيع». مسحت وجهي بكمّي، بينما أنفاسي تتصارع لتخرج بعد توقف الدموع. حاولت أن أضبط تنفسي بأفضل ما يمكن. قلت مشيرة إلى الحاسوب المحمول على طاولة القهوة تحت كومة من مجلات التصميم الداخلي القديمة لمارثا: «هل ذلك حاسوبي المحمول؟».

قال فيتز: «نعم». قالها بنبرة تعني سأجاريكِ في رغبتك بتغيير الموضوع، لكن لا تظني أن حوارنا بخصوص إيثان انتهى، ثم سأل: «كيف تشعرين بالعودة لحاسوبك؟ لن أستطيع العيش شهرين دون حاسوبي أو هاتفي الذكي».

تبًّا... هاتفي، لم أتمكن من تبديله مع جدتي. هززت رأسي، ليس لدي طاقة للقلق بشأن ذلك الآن. أسحب الحاسوب المحمول إلى ركبتي، شعرت بأن وزنه مألوف بدرجة مطمئنة.

قال فيتز، وهو يداعب شعري: «ما رأيك أن أعد لكِ عصيرًا؟» .

تنفست بعمق، ومسحت خديّ، وسألت: «هل سيكون بنيًا؟».

«بالتأكيد. لم أتمكن من تغيير ذلك في غيابك. دائمًا ما يخرج بنيًّا، حتى عندما يكون كل ما أضعه أخضر».

شعرت بأن ما قاله مريح نوعًا ما، على الأقل هناك شيء لم يتغير. قلت: «إذن، لا، شكرًا. أريد شايًا فقط».

أعلم أن هذه فكرة سيئة، لكنني كنت بحاجة إلى النظر إلى فيسبوك إيثان. كان قادمًا بالفعل، لكن ليس قبل ساعة، واحتجت فقط إلى طمأنة نفسي أن... أن... لا أدري، إنه لا يزال إيثان. وربما لا أجد أي صور له مع سيسي.

فتحت الحاسوب المحمول، فوجدت صفحة الدردشة على موقع اللقاءات العاطفية الخاصة بجدتي مفتوحة على الشاشة.

فتى الريف العجوز: مرحبًا يا إيلين. أردت فقط أن أتأكد مما إذا كنت قد أرسلت لي المال؟ أنا متحمس لبدء الموقع! قُبلاتي.

تمتمت: «تبًّا!»

انتهت صلاحية تسجيل الصفحة، حاولت تسجيل الدخول مرة أخرى. وبعد عدة محاولات فاشلة، محاولة تذكُّر اسم المستخدم وكلمة المرور التي أعددتها لجدتي، نجحت.

قال فيتز بينما يضع كوب الشاي بجانبي: «ألا يعد هذا... انتحالًا للهوية؟».

قلت وأنا أتصفح رسائلها: «اسمي إيلين كوتون، أليس كذلك؟». قرأت المحادثة سريعًا أثناء تنقلي. تبًّا، كان ينبغي أن أحذر جدتي من السرقات الإلكترونية، لم يكن يجب أن أتركها تتجول على هذا الموقع - بما كنت أفكر؟

مددت يدي نحو هاتفي، فلاحظت أنه يرن بالفعل عندما اهتز بين أصابعي حين أمسكته.

كانت جدتي تتصل.

سألت بمجرد أن فتحت المكالمة: «جدتي، هل حولتِ المال إلى رجل تعرفت إليه على الإنترنت؟». راح قلبي يخفق بسرعة في انتظار إجابتها.

«ماذا؟ لينا، لينا - يجب أن تعودي إلى هنا. عودي إلى هاملي».

«ماذا يحدث؟ اهدئي يا جدتي». دفعت حاسوبي المحمول إلى الأرض، وارتعشت قدماي في توتر. لم أسمع هذه النبرة في صوت جدتي منذ أن كانت كارلا مريضة، وهذا جعلني أشعر بالغثيان فورًا.

«ماريان، إنها ليست موجودة!».

«ماذا؟!».

«إنها لا تفتح الباب، وليست في أي مكان بالقرية، ولم يرها أحد. تمامًا مثل المرة السابقة يا لينا، بالتأكيد هي بالبيت لكنها لا تَدَعني أدخل. ولا أستطيع العثور على مفتاحي أو المفتاح الاحتياطي في أي مكان للدخول والتحقق من أنها... ماذا لو آذت نفسها هناك بمفردها؟».

حسنًا، الخطوة الأولى: إبقاء جدتي هادئة.

«اهدئي يا جدتي. أمي لن تؤذي نفسها».

أعدت سحب حاسوبي المحمول إلى ركبتيّ مرة أخرى.

الخطوة الثانية: التحقق من القطارات. لأنني تذكرت للتو أنني أملك كلا المفتاحين لمنزل أمي في حقيبتي.

قلت: «حسنًا، سأكون هناك بحلول الساعة السابعة، ومعي المفاتيح، أنا آسفة جدًّا لأنني أخذتها معي. هل أنتِ متأكدة أن أمي لم تذهب للسباحة في ديريديل أو شيء من هذا القبيل؟»

قالت جدتي بصوت يعلن أنها على وشك البكاء: «لقد اتصلت بإدارة حمام السباحة بالفعل، وقالوا إنها لم تذهب منذ الأسبوع الماضي».

الخطوة الثالثة: الحفاظ على هدوئي. كانت أمي تتقدم بشكل جيد جدًّا عندما تركتها في هاملي، كانت الأدوية المضادة للاكتئاب فعالة، وتحدثنا كثيرًا عن كارلا، وبدا كل شيء بخير وأفضل حالًا. أنا متأكدة من أن هناك تفسيرًا معقولًا تمامًا لكل هذا.

لكن... تسلل الشك إليّ، فبعد كل شيء، سبق لي أن قللت من شأن مدى سوء حالتها في المرة الأخيرة، أليس كذلك؟ لم أكن أعلم حتى عن نوبات الاكتئاب هذه حتى أخبرتني جدتي.

ماذا لو كانت حقًّا هناك، بمفردها؟ هل قلت شيئًا فظيعًا في عيد مايو، عندما أوصلتني إلى المنزل وأنا مرهقة؟ هل كان يجب أن أقوم بالمزيد لدعمها في الشهرين الماضيين، كما قالت جدتي من البداية؟ أتمنى لو لم أترك هاملي، أتمنى لو تركت مفتاحًا على الأقل. إذا كانت حقًّا محبوسة في ذلك المنزل وتعاني انهيارًا ما، ولا يمكنني فعل أي شيء، ولا يوجد وقت كافٍ و-

لا، هيا. الخطوة الرابعة: التعرف على مقدار الوقت المتاح أمامي، وما يمكن فعله في ذلك الوقت. تذكرت ندوة إدارة التحولات حيث أخبرَنا المُحاضر أن الأطباء الذين يتعاملون مع الطوارئ - حيث كل ثانية مهمة - يتحركون ببطء أكثر من الأطباء في أي قسم آخر، إذ يعرفون السعة الحقيقية لكل دقيقة، ومقدار ما يمكنك إنجازه فيها، وكم تتسع أكثر عندما تكون هادئًا.

«لا بأس يا جدتي. سنتحدث عن كل شيء عندما أصل. ابقي فقط عند منزلها واستمري في طَرق الباب إذا كانت بالداخل، وإذا سمعت أي شيء يجعلك تظنين أنها ربما تكون في خطر، اذهبي إلى الدكتور بيوتر، اتفقنا؟».

قالت جدتي وصوتها يرتعش: «حسنًا».

حاولت التنفس، وقلت بهدوء: «حسنًا يا جدتي، هل أرسلتِ لهذا الرجل تحويلًا مصرفيًّا؟»

«أرسلت شيكًا. لماذا تسألين عن كل هذا يا لينا؟ هل أنتِ - لماذا يهمك هذا، ألم تسمعي ما قلته؟ ماريان تعاني انهيارًا مجددًا، لقد اختفت، أو أنها مختبئة، لا تسمح لي بالدخول، إنها -».

«أعرف. لكن لدي عشرين دقيقة لا أستطيع فيها فعل أي شيء حيال ذلك. ويمكنني استخدام ذلك الوقت لوقف عملية الاحتيال، ركزي على أمي، وسأكون عندك بأسرع ما يمكن».

«ماذا تعنين بـ ’احتيال‘؟».

قلت باختصار: «سأشرح لكِ لاحقًا»، وأغلقت الهاتف.

وجدت رقم حساب جدتي البنكي على شاشة حاسوبي المحمول.

أمسكت هاتفي فورًا.

قلت عندما رد أحدهم: «مرحبًا، اسمي إيلين كوتون، رقم الحساب 4599871. أود إلغاء شيك».

«حسنًا. أحتاج فقط لسؤالك بعض الأسئلة الأمنية قبل أن نتمكن من إتمام ذلك. ما تاريخ ميلادك، من فضلك؟».

قلت بكل الثقة التي استطعت جمعها: «الثامن عشر من أكتوبر، 1939.

قال فيتز: «الآن، هذا بالتأكيد انتحال هوية».

أخيرًا، ركبت القطار إلى الشمال. وعبر الممر في القطار، جلست عائلة تلعب لعبة سكرابل، شعرت بوخزة مريرة من الحنين إلى الوقت الذي كانت فيه عائلتي تبدو هكذا، سعيدة تجهل كل ما هو قادم.

ارتجفت أرجلي، تشتاق للركض. لكنها كانت محاصَرة معي على ذلك القطار، نتقدم إلى يوركشاير ببطء أكثر بكثير مما أردت.

حاولت السيطرة على نفسي. أبطأ... أبطأ... حسنًا. نعم، أنا عالقة على هذا القطار، لكن هذا يعني أن لدي ساعتين لأفكر في الأمر. كان علي أن أصل للسكينة بحلول محطة جرانثام. أمي بخير. أمي بخير. أمي بخير.

ظهرت رسالة بريد إلكتروني جديدة في صندوق الوارد الخاص بي، كان حاسوبي المحمول مفتوحًا أمامي. كان ذلك من باب الاعتياد أكثر من كونه احتياجًا للقيام بأي شيء عليه. أرسلت ريبيكا تطلب مني الحضور لتناول القهوة معها يوم الجمعة، للحديث عن عودتي إلى العمل. وذكرت سيسي في الرسالة، ارتعشت عندما رأيت اسمها، رغم أنني لم أصدق جدتي، بالطبع لا أصدقها!

اللعنة، لحظة. إيثان. نسيت أن أخبره أنني غادرت لندن. أرسلت له رسالة سريعة.

لقد رحلت - عائدة إلى هاملي - سأخبرك بكل شيء لاحقًّا... مع حبي.

أتت إجابته تقريبًا في اللحظة نفسها.

لينا؟ ماذا يحدث؟ هل عدتِ إلى استخدام هذا الهاتف؟

ثم، بعد لحظة أرسل ثانية:

ألا يمكننا التحدث؟

رددت على الفور.

لا أستطيع التحدث الآن، أنا على القطار، يجب أن أعود إلى هاملي، أنا آسفة. لا أستطيع الدخول في التفاصيل الآن - الأمر يتعلق بوالدتي. قُبلاتي.

لماذا أرسلتِ تلك الرسالة إلى سيسي؟ كنت أعتقد أنك تصدقينني.

شعرت بالبرودة فجأة.

لم أرسل...

حذفت الكلمات وتوقفت. شعرت بأن قلبي ارتفع فجأة داخل صدري، كما لو أنه استقر في قاع حلقي ومنع الهواء من المرور، أصبح تنفسي ضحلًا.

فتحت صندوق الرسائل بيني وبين جدتي. لم نتبادل الرسائل كثيرًا في الأسابيع القليلة الماضية، ولم أدرك كم كانت الرسائل قليلة إلا عندما تأملتها في تلك اللحظة.

جدتي، هل أرسلت رسالة إلى سيسي من هاتفي؟

انتظرت الرد. وصل القطار إلى ويكفيلد، خرجت الأسرة وركب بدلًا منها بعض كبار السن يقرأون صحفهم في صمت مريح. كان الجميع يتحركون بشكل طبيعي تمامًا، يتجهون جانبًا للمرور، يرفعون أذرعهم لأخذ حقائبهم من الرف العلوي، لكنني شعرت كأنني في موقع تصوير فيلم. جميع هؤلاء الأشخاص ممثلون إضافيون، وشخص ما على وشك أن يصرخ: «كاااات».

جاء رد من جدتي.

أنا آسفة يا لينا. أردت منك أن تري الدليل. أعلم أنه سيؤلمك، لكن الألم سيكون أكبر لاحقًا إذا لم تكتشفي الآن.

التقطت أنفاسي بصعوبة، بصوت أجش ومزعج جعل كل من في العربة يلتفت ناحيتي. ترنحت خارجة من خلف الطاولة إلى المدخل، ثم نظرت إلى هاتفي مرة أخرى برؤية غير واضحة، وحاولت الكتابة.

أرسلي لي ما قالته لكِ - أحتاج أن أرى.

استغرق الرد وقتًا طويلًا. تخيلت جدتي وهي تحاول معرفة كيفية إعادة إرسال رسالة نصية على هاتفي، وكنت على وشك إرسال تعليمات لها قبل أن تستجيب أخيرًا برسالة مكتوبة من سيسي.

لينا، أنا آسفة جدًّا. لم أخطط لحدوث هذا. كل ما يمكنني قوله أن الأمر كان ضربًا من الجنون. لم أستطع كبح جماحي إزاء إيثان.

تنهدت مرة أخرى بأنفاس متقطعة... استغرق مني الأمر لحظة لأدرك أن الأنفاس خرجت من فمي.

أعلم أنكِ بالتأكيد محطمة القلب الآن. عندما حدث ذلك أول مرة أخبرته أنه لا يمكننا تكرار ذلك مرة أخرى، لكن - حسنًا، لا أريد تقديم أعذار. مع حبي.

لا تريد تقديم أعذار، لكن هذا كل ما تفعله بالطبع. أوه، وتلك الـ «مع حبي» في نهاية الرسالة، أوحت لي كما لو كنا نناقش خطط عطلة نهاية الأسبوع. يا إلهي، أكرهها، أكرهها أكرهها أكرهها، حتى إنني شعرت بطعم كراهيتها في فمي، وشعرت بها تعتصر معدتي. فهمت الآن لماذا يضرب الرجال الجدران في الأفلام عندما يكونون غاضبين. الجبن والخوف من الألم هما ما منعني. وبدلًا من أشرع في ضرب الجدران، اعتصرت الهاتف القديم في راحة يدي اليسرى حتى آلمني - ليس بقدر ألم المفاصل، ولكن بقدر كافٍ. بدأ تنفسي يهدأ أخيرًا.

عندما أعدت الهاتف إلى جانبي، كانت كف يدي قد أصبحت تقريبًا بنفسجية، ووصلت رسالة جديدة من إيثان.

لينا... تحدثي إليّ.

رحت أغوص وأغوص في مقعدي حتى ارتميت على الأرض، فخدشت السجادة كاحلي. انتظرت أن تعود موجة الانهيار الداخلية مرة أخرى، موجة جديدة، لكنها لم تأتِ. وبدلًا من ذلك، وجدت نوعًا غريبًا من السكينة يتولاني، كما لو كنت أشاهد امرأة أخرى غيري اكتشفت للتو أن الرجل الذي تحبه آذاها بأقسى طريقة.

لقد أعطيته الكثير، أظهرت له أضعف وأصدق جوانبي. وثقت به الثقة التي لم أمنحها أحدًا غيره سوى عائلتي.

لم أستطع أن أصدق... لم أستطع أن أفكر في إيثان كـ... التقطت أنفاسي، بينما بدأت يداي وقدماي التنميل. كنت واثقة به جدًّا... كنت واثقة جدًّا.

لم أكن أكره سيسي كما كنت أظن، لم تكن تلك كراهية، ما شعرت به بعد الرسالة هو ما يسمى كراهية.

# 34 إيلين

حالما رأيت لينا عرفت أنها صدقت حقيقة إيثان. بدت منهكة، ومثقلة تحت وطأة ذلك.

لم أستطع إلا أن أفكر في اليوم الذي تركني فيه ويد. كان نكرة، وكان ينبغي لي أن أطرده منذ سنوات لو كان لدي أدنى قدر من الحكمة، لكن عندما رحل، في البداية على الأقل، آلمتني الإهانة بشدة. كان هذا ما شعرت به... ليس الغضب، بل العار والإهانة.

قلت: «لينا، أنا آسفة جدًّا».

مالت لتقبِّلني على خدي، بينما بقيت عيناها مثبتتين خلفي على باب ماريان، والمفتاح في يدها. وقفنا لحظة، مجرد ثانية أو ثانيتين، نهيئ أنفسنا. دق قلبي بشدة، في الواقع لقد ظل كذلك طوال فترة ما بعد الظهر - أواصل الضغط على صدري وكأنني أحاول إبطاءه. شعرت بالغثيان، لدرجة أنه بدا لي أن المرارة ارتفعت حتى وصلت إلى حلقي.

فتحت لينا الباب. وجدنا المنزل مظلما وهادئًا، فعرفت على الفور أن ماريان ليست بالداخل.

وقفت أحاول استيعاب الوضع بينما تحركت لينا عبر الغرف تشعل الأضواء، ووجهها شاحب وجاد.

ماريان ليست هنا!، دار ذلك في رأسي، مع شعور غريب من الانفصال عن الواقع. كنت متأكدة جدًّا من أنني سأجدها بالداخل، لم أفكر حتى في بدائل، لكنها ليست بالداخل.

إنها...

قالت لينا: «إنها ليست هنا. هل هذا خير أم شر؟ ربما كلاهما؟ أين هي؟».

اتكأت على الجدار، قبل أن أنتفض في مكاني عندما أطلق كل من هاتفي وهاتف لينا سلسلة من التنبيهات. أسرعت لينا تخرج هاتفها من جيبها.

أمي العزيزة، ولينا الغالية..

آسفة لأنني تأخرت قليلًا في إرسال هذه الرسالة. أنا الآن في مطار هيثرو، أمامي ثلاث ساعات حتى موعد رحلتي ووقت كاف للتفكير.

قالت لينا لي شيئًا، الليلة الماضية، لم يفارق بالي عندما استيقظت هذا الصباح. لقد قلت يا لينا (لم أكن لأفهم نفسي إذا لم أصبح شخصًا آخر).

كانت الأسابيع القليلة الماضية من أسعد الأوقات في ذاكرتي الحديثة. لقد أحببت عودتكِ يا لينا، أحببتها أكثر مما قد أستطيع التعبير عنه - لقد كان شعورًا رائعًا أن أتمكن من الاعتناء بابنتي مرة أخرى. ويا أمي لقد افتقدتك، لكن أعتقد أنني كنت بحاجة إلى أن تبتعدي عني لبعض الوقت، حتى أدرك أنني يمكنني الوقوف على قدميّ بمفردي، دون أن تمسكي يدي. غيابك جعلني أقدِّرك أكثر. أنا ممتنة جدًّا لكل ما فعلتِه من أجلي.

لكنني الآن مستعدة لشيء جديد. أصبحت لا أعرف من أنا عندما لا أكون في حالة حزن على كارلا. لا أستطيع أن أكون المرأة التي كنتُ عليها قبل أن تموت ابنتي. لم أستطع، ولن أريد أن أكون. لذا، أحتاج إلى العثور على ذاتي الجديدة.

سأذهب إلى بالي مع حصيرة اليوجا، أحتاج إلى الهدوء، والرمل بين أصابع قدمي. أريد مغامرة، مثل التي خضتماها، ولكن مغامرة تخصني.

أتمنى أن تعتني كلتاكما بالأخرى أثناء غيابي، وتذكرا أنني أحبكما كثيرًا... قبلاتي.

قلت بعد صمت طويل وصدمة واضحة: «بالي!».

بدت لينا شاردة النظر نحو الصورة على جدار الردهة ولم تجبني.

قلت بقلق وأنا أتصفح الرسالة مرة أخرى: «لا أفهم، إنها لا تقوى على أن تذهب بمفردها إلى بلد أجنبي، و...».

قالت لينا، وهي تلتفت إليّ أخيرًا: «إنها ليست كذلك يا جدتي» تنفست بهدوء، ثم أكملت: «كان يجب أن أبقيكِ على اطلاع أكثر، عندها كنتِ ستدركين أنها فعلًا ليست هشة. لقد كانت تقوم بعمل رائع في الشهر الماضي».

لم أستطع تصديق ذلك تمامًا، لكنني أردت أن أصدق.

استرسلت لينا: «بصراحة يا جدتي. أعلم أنكِ تظنين أنني لم أكن أرى مدى سوء الأمور بالنسبة لأمي، و... في الواقع أنت محقة، لفترة طويلة لم أرَ ذلك لأنني لم أكن هنا، وهذا خطئي تمامًا. كان يجب أن أستمع إليكِ عندما قلتِ إنها تعاني بدلًا من أن أظن أنني أعرف الحقيقة. لكن يمكنني أن أخبرك أنه بينما كنت هنا معها، شهدت تقدمها الكبير. لقد كانت تقوم بعمل رائع حقًّا».

قلت بضعف: «لا... لكن... بالي... بمفردها؟».

ابتسمت لينا وعادت برأسها نحو الصورة على الجدار، وقالت: «إنها ذاهبة إلى مكانها المفضل».

حدقت في الصورة. كانت صورة لامرأة تقوم باليوجا أمام ما يشبه المعبد. لم ألاحظها من قبل حقًّا، على الرغم من أنني تذكرت فجأة أنها كانت معلقة في منزلهم القديم في ليدز أيضًا.

«هل تعتقدين حقًّا أنه لا بأس بأن تذهب بمفردها بعيدًا؟»

«أعتقد أنه كان يجب علينا أن نطلب منها القيام بذلك منذ فترة طويلة». اقتربت لينا تحتضن ذراعيّ، وأكملت: «هذه خطوة للأمام يا جدتي، تمامًا مثل مغامرتك في لندن

ومغامرتي في هاملي. إنها بحاجة إلى تغيير».

قرأت الرسالة مرة أخرى: لم أكن لأفهم نفسي إذا لم أصبح شخصًا آخر.

بدت لينا محرجة. قالت: «لا أتذكر أبدًا أنني قلت ذلك. لأكن صادقة، لم أكن في كامل وعيي».

«وأيضًا قلت لي أشياء مشابهة، عندما ظننتِ أنني أكذب بشأن إيثان»، أمسكت يدها لأقطع الطريق على أي محاولات من جانبها للتبرير، وقلت: «لا، لا بأس يا عزيزتي. أعرف أن الأمر كان صادمًا - لقد كنتِ بحاجة إلى وقت. لكنكِ قلت إنكِ لم تكوني على سجيتك التي عهدتِها طيلة الأعوام السابقة وشيء مثل ذلك».

نظرت إلى الأرض: «هل قلتُ ذلك؟».

أمسكت يدها وأنا أقول: «أريدك أن تكوني لينا الحقيقية يا عزيزتي. أنت تستحقين أن تكوني مع شخص يجعلك تقدِّرين نفسك أكثر».

بدأت البكاء، وشعرت بقلبي يعتصر من أجلها. تمنيت لو كنت أستطيع حمايتها من هذا، وأن أجد لها طريقة أخرى لتتخطى ذلك.

قالت مائلة بجبهتها إلى كتفي: «ظننتُ أن ذلك الشخص هو إيثان، لكن خلال الشهرين الماضيين شعرت بأن كل شيء كان مختلفًا» اهتز كتفاها وزاد بكاؤها.

مررت أصابعي في شعرها، وأنا أقول: «أعرف يا عزيزتي. أعتقد أننا جميعًا كنا مغيَّبين قليلًا طيلة العام الماضي، أليس كذلك، دون كارلا، وكنا في حاجة إلى تغيير لرؤية ذلك».

بالي، ظلت تدور في رأسي، وكنت لا أزال في حالة من الصدمة، بينما لينا تبكي على ذراعي. لم أكن على دراية تامة أين بالي تلك، لكن كنت أعلم أنها بعيدة جدًّا. لم تذهب ماريان أبعد من شمال فرنسا من قبل. إنها...

إنها لشجاعة كبيرة جدًّا منها.

سمعنا طَرقًا على الباب. سكتنا أنا ولينا وتطلعنا إلى الباب. جلسنا نبكي في منزل ماريان وكل الأضواء مشتعلة، ومكياجنا منساب على وجوهنا. لا أدري كيف سيرانا الزائر عند الباب.

قلت، وأنا أمسح خدي: «سأفتح».

كانت بيتسي.

أمسكت يدي وهي تقول: «أوه، من الجيد أنك دخلت. أتيت حالما سمعت أن ماريان في مشكلة».

أتى صوت لينا من خلفي: «بيتسي؟ لحظة، كيف... كيف سمعتِ؟»

أمسكتُ يديْ صديقتي العزيزة بين يديّ. بدت رائعة. لا أثر لرباط عنقها المعتاد، وترتدي بلوزة فضفاضة ذات نقاط جعلتها تبدو كبيتسي هاريس التي كنت أعرفها قبل عشرين عامًا. كان لدي الكثير لأقوله. ترددت للحظة، غير متأكدة، حتى ضغطت على يدي وقالت: «أوه، لقد افتقدتك يا إيلين كوتون».

هذه هي الحال مع الأصدقاء القدامى. تفهمون بعضكم بعضًا، حتى عندما لا توجد كلمات كافية لكل ما يجب أن يقال.

رفعت يدي إلى خدها وقلت: «أنا آسفة جدًّا لأنني لم أكن هنا عندما كنت في أمسِّ الحاجة إليّ. اتضح أن ماريان بخير. هيا، تفضلي بالدخول».

قال صوت خلف بيتسي: «لجنة مراقبة الحي!». ظهر باسيل و بينيلوبي في المدخل وتبعا بيتسي. ثم أتى الدكتور بيوتر، وربت بيده تربيتة لطيفة على ذراعي قبل أن يدخل.

فجأة سألت كاثلين: «هل أنتم بخير؟ جئتُ حالما سمعت».

«يا إلهي، هل الجميع هنا؟ آه، نعم، هناك رولاند أيضًا يوقف دراجته بالخارج».

سألت لينا مرة أخرى من خلفي: «كيف سمعتم؟»، بدت في حيرة تامة.

وقفت أراقبهم جميعًا وهم يمرون بجانبها وأخفي ابتسامة. إنهم أعضاء لجنة مراقبة الحي، المعرفة هي وظيفتهم.

أتى صوت مألوف: «هل أنت بخير يا إيلين؟». وقف أرنولد على عتبة الباب بتردد غير معتاد. آخر مرة تحدثنا فيها، غادر غاضبًا، لكن لم أملك الطاقة للاحتفاظ بأي ضغينة بشأن أمر مثل ذلك.

قالت لينا: «أرنولد! تفضل بالدخول».

تحولت عينا أرنولد إلى عينيّ طلبًا للإذن. قلت متنحية جانبًا بسرعة: «نعم، بالطبع، تفضل بالدخول».

راقبته بدهشة يعطي لينا قبلة سريعة على الخد قبل أن يتجاوزها إلى المطبخ. لقد أخبرني بالفعل أنهما كانا يتناولان القهوة معًا من وقت لآخر، لكن بدا غريبًا أن أراهما يتصرفان كأصدقاء قدامى.

سألتني لينا وأنا أغلق الباب: «كيف وصل البقية إلى هنا؟ كانت بيتسي مقيمة في كنارجيل!».

قلت مبتسمة من تعبير لينا: «لا أستغرب أن تكون بيتسى قد تطفلت على إحدى السيارات المارة في الطريق من أجل هذه الحالة الطارئة. هل أنت مرتاحة لهذا يا حبيبتي؟ أعني وجود الجميع هنا؟» مسحت بهدوء على ذراعها... أكملت: «يمكنني أن أطلب منهم الرحيل إذا كنت تحتاجين إلى بعض الوقت لنا وحدنا».

أخذت نفسًا عميقًا واهنًا: «أعتقد أنني بخير، ماذا عنك؟ لا بد من أنكِ لست بخير بسبب قلقك إزاء اختفاء أمي، وذلك المدعو هوارد الذي تبين أنه...».

تشنجت. لقد ظللت أحاول إبعاد تفكيري عن ذلك طوال اليوم.

سألت: «إذن لم يكن... حقيقيًا؟». تحدثت بصوت مخفض حتى لا يسمع أعضاء مجموعة المراقبة. كانوا قد انشغلوا في مطبخ ماريان، حتى إنهم وضعوا الغلاية على النار. من المفترض أنهم فهموا أن ماريان لم تكن بالبيت بعد كل شيء، لكنهم لم يُظهروا أي علامات توحي بأنهم سيغادرون. أكملت: «أعني، كل ما قاله عن مشاعر...».

قالت برفق: «هؤلاء المحتالون، يفعلون ذلك طوال الوقت يا جدتي. يتصرفون بلطف وحب وتتصاعد الأمور معهم بسرعة كبيرة، ويجعلونك تشعرين بأنهم انجذبوا إليك... ثم يطلبون المال، ثم يستمرون في الطلب. لذا نحن محظوظون حقًّا لأننا اكتشفنا الأمر قبل أن يتطور كثيرًا».

ارتجفت مرة أخرى، فأمسكت لينا بيدي.

«في البداية استغربت مشاعره الفياضة ومدى وداعته، لكن بعد ذلك اعتدت ذلك، وشعرت بأنه كان... لطيفًا». تنهدت وأكملت: «حسنًا ليست المرة الأولى التي أخطئ فيها بتقدير رجل، فأنا عجوز ساذجة».

«أنتِ لستِ كذلك! أنا آسفة جدًّا يا جدتي، إنه خطئي. كان يجب أن أجعلكِ مهيأة بشكل أفضل قبل أن أتركك تجولين في الفضاء الإلكتروني. لكن المحتالين مثل هؤلاء يخدعون الجميع».

قلت همسًا: «لقد أعجبني. هل كان حقيقيًا؟ هل اسمه الحقيقي هوارد؟».

«لا أعرف يا جدتي. أنا آسفة. أعلم أنه أمر مروع أن يتم خداعكِ بهذه الطريقة». نظرت إلى المطبخ وهي تكمل: «هل تريدين مني أن أطلب من هؤلاء الخروج حتى نتمكن من الحديث بشكل صحيح عن كل شيء؟».

هززت رأسي، وقلت: «لا، أريدهم هنا. هيا، يجب أن أكون أنا من يعتني بكِ، بعد اليوم العصيب الذي مررتِ به. سأعد لكِ شيكولاتة ساخنة، ثم يمكنك أن تبكي على كتفي».

قالت: «يمكنكِ أنتِ أيضًا البكاء على كتفي، إذا كنتِ بحاجة إلى ذلك يا جدتي. لقد اكتشفت خلال الشهرين الماضيين...». سحبتني نحوها لتعانقني، ثم همست في أذني: «... إنه إذا عانقت شخصًا عناقًا عميقًا، فيمكنك أن تكوني له الكتف التي يبكي عليها، وكتفه هي الكتف التي تبكي عليها أنتِ أيضًا في الوقت نفسه. ما رأيك؟»

شعرت بالابتسام في صوتها؛ كانت تضحك على نفسها وهي تقول ذلك، لكنها قالته بنفسها. لينا التي كانت قبل شهرين ما كانت لتقول شيئًا مثل هذا.

قالت لينا، وهي تضحك وتبكي في الوقت نفسه: «يا إلهي، هذا ما يحدث عندما أمضي وقتًا طويلًا مع والدتي. سينتهي بي الأمر أجمع البلورات اللعينة قريبًا».

نهرتها: «لينا!». ثم سحبتها إليّ بقوة، وفي لحظة اختفت المسافة الغريبة التي نشأت بيننا أثناء فترة تباعدنا، بمجرد أن وضعت خدها على كتفي.

سمعنا طَرقًا آخر على الباب.

تنحنحت لينا قائلة: «أنا سأفتح، وأنتِ ابدئي تحضير الشيكولاتة الساخنة».

ألقيت نظرة إلى الباب وأنا أدخل المطبخ.

قال صوت عميق وثابت الجأش: «لينا، هل أنتِ بخير؟».

# 35 لينا

وقف جاكسون عند عتبة الباب؛ وقد خلع قبّعته يحملها بين يديه. رفعت نظري إليه، إلى وجهه المُطمئِن، وعينيه الوديعتين، وقميصه الباهت والضيق عند كتفيه. أردت أن أرتمي في حضنه وأبكي على صدره، لكنني أشعر بأن ذلك ربما لن يكون حكيمًا.

بدلًا من ذلك، تنحيت جانبًا، وقلت له: «تفضل، القرية بأكملها هنا».

قدته إلى غرفة المعيشة، حيث تجمّع أعضاء لجنة مراقبة الحي، جميعهم في كل مكان على الأرائك والكراسي.

ظل جاكسون واقفًا للحظة، ينظر إلى الغرفة، ثم سأل: «لماذا جميع الكراسي بالغرفة موجهة إلى هذا الاتجاه؟».

تابعت نظراته، فقادتني إلى المساحة الفارغة حيث كان سرير كارلا من قبل. نظرت جدتي أيضًا، ورأيت عينيها تنغلقان، والعاطفة تطغى على ملامحها. ثم نظرت إلى السلة في زاوية الغرفة، وبداخلها لمحت تلك الصورة القديمة البشعة لكارلا. كان يجب أن أدرك حينها مدى توق أمي للتغيير، وكم كانت بحاجة إليه.

استولي عليّ ذلك الإحساس القديم بالرغبة في القيام بشيء، الشعور نفسه الذي جعلني أبدل حياتي مع جدتي في المقام الأول. ربما شيء أقل تطرفًا هذه المرة. شيء من أجل أمي.

قلت: «لنقم بإعادة ترتيب المكان»، خرجت الجملة بصوت عالٍ قليلًا؛ وقد أزالت الغصة في حلقي. ثم أكملت: «بينما تقضي أمي فترة نقاهتها. قالت إنها كانت تحتاج لذلك، منذ فترة.

يمكننا القيام بكل شيء من أجلها، تجديد كامل، ليس - ليس بإزالة أي أثر لكارلا من المنزل، ولكن فقط... خلق مساحة لأمي الجديدة».

ابتسمت إيلين، وقالت: «فكرة رائعة. لقد كنت أعمل على صقل مهاراتي في إعادة ترتيب المنازل أيضًا. علمتني مارثا أشياء كثيرة».

سألت بينيلوبي بصوت خافت: «ماذا كنت تفعلين يا إيلين؟ هل كانت التجربة مثيرة؟».

طوت جدتي يديها في حجرها. وقالت: «حسنًا، لا أدري من أين أبدأ...».

قضيت ليلة أخرى في هاملي، أخطط لإعادة تصميم منزل أمي، وأتسامر مع جدتي عن الفترة الماضية وأساعدها في تفريغ أغراضها من الحقائب... كل شيء ما عدا التفكير في إيثان. في الصباح التالي استيقظت مبكرًا ليتسنى لي الجري عند التلال، كما استعرت زوجًا قديمًا من الأحذية الرياضية من كاثلين. لا شيء يضاهي الجري هنا، إنه مذهل، عندما انحنيت عند المنعطف في مساري المفضل، الذي يمنحني إطلالة بانورامية على هاركسديل، شعرت بوخزة في قلبي. طرأت على بالي فكرة جعلتني أشعر ببعض الخوف؛ لأن الفكرة كانت: أشعر بأن هذا المكان هو موطني.

لكنه ليس موطني. لدي حياة في لندن، بغض النظر عن إيثان، لديَّ مسار وظيفي يجب إنقاذه، وشقة وأصدقاء.

قال صوت ما في ذهني: لديك أصدقاء هنا أيضًا. ومع ذلك، عدت إلى محطة ديريديل، ركبت القطار إلى لندن، وعدت إلى شقتي الفارغة، حيث حياتي الحقيقية؛ لأن هذا هو الأمر العقلاني الذي توجب القيام به.

غمرني البؤس بمجرد وصولي المنزل مرة أخرى، بصورة أسوأ من المرة الأولى، لأن هذه المرة كنت قد أصبحت متأكدة تمامًا من أن الحياة التي عشتها مع إيثان هنا قد انقضت وولت، فتلك الوسادة التي اشتريتها من سوق كامدن معه يوم سبت، وذاك مقعده المعتاد

على منضدة الإفطار، وهناك خدش على الأرض إثر رقصنا معًا على نحو عفوي والبهجة تغمرنا على موسيقى الجاز بعد يوم طويل في العمل، وكل ذلك لم يعد يعني شيئًا الآن. انزلقت إلى الأرض أسفل الباب وتركت نفسي أبكي.

بمجرد أن وصلت إلى تلك الحالة، كانت بي قد وجدت طريقها إليَّ وأتت لزيارتي.

نادت من الخارج: «ليبينا، افتحي الباب، أدخليني!». وسكتت لحظة. «أعرف أنك بالداخل، أسمعك تبكين. افتحي لي، حسنًا؟».

طرقت الباب مرة أخرى.

«افتحي لي يا لينا، أنا أسمعك!».

بدت لي أنها النسخة اللندنية من أرنولد. تحركت إلى الجانب ومددت يدي وفتحت الباب دون أن أقف. دخلت وألقت نظرة واحدة عليّ، ثم سحبت زجاجة شراب من حقيبة السوبر ماركت في يدها.

قالت، جاذبة إياي من ذراعي: «هيا، نحتاج إلى أن نتحدث، وهذا يعني أننا بحاجة إلى بدء الشرب».

نحو الساعة الواحدة صباحًا، أنهينا أنا وبي خطط أعمالنا. جرت هذه المحادثة التي غيرت حياتي على النحو التالي:

«كما تقول أمي، لماذا يجب أن يتمحور الكون دائمًا حول لندن؟، أعني، يا إلهي، أنا حتى لا أحب هذه المدينة، هل تحبين هذه المدينة يا بي؟».

ردت: «لا يوجد رجال هنا»، خرجت إجابتها بصوت مختنق بعض الشيء، إذ كانت جالسة مقلوبة على أريكتي، وقدماها منتصبتان على ظهر الكنبة، وشعرها مبعثر على الأرض.

أكملت: «جميع الرجال الجيدين في ليدز، جميعهم! يا إلهي، هل وصلت جليسة الأطفال أم لا؟» جلست بي فجأة مع صرخة وقبضت على رأسها.

ذكرتها: «جيمي مع والدتك يا بي»، كان ذلك التذكير الخامس أو السادس منذ فتح الزجاجة الثانية من الشراب.

دارت لتعود للوضع الأصلي مرة أخرى وهي تقول: «حسنًا، لا بأس».

شربت جرعة أخرى من الشراب وأنا جالسة على الأرض، ساقاي ممدودتان أمامي، ودماغي يدور في ضباب الانتشاء. سألت: «ما رأيك أن نذهب يا بي؟ ألا نفعلها هكذا دون تخطيط؟ لماذا نحن هنا أصلًا؟».

«تقصدين أن... أن نغادر بالمعنى الفيلوسوفيي؟» ضيقت عينيها وحاولت مرة أخرى: «فلسقي؟» ثم، مع ضحكات مرحة مريبة قالت: «فلوقسيا».

«أعني، لماذا نحن في لندن أصلًا؟ من قال إنه يجب علينا إدارة أعمالنا من هنا؟». فركت وجهي بقوة في محاولة للإفاقة. سيطر عليَّ شعور غامض بأن ما قلته مهم جدًّا، وأيضًا، ربما، أذكى شيء قاله أي شخص في العالم بأسره. أكملت: «في كل الأحوال سنضطر للسفر كثيرًا. وهناك الكثير من الشركات في ليدز، وهال، وشيفيلد... أريد أن أكون في يوركشاير حيث عائلتي. أريد أن أكون مع هانك الكلب وكل الأصدقاء، وتلك التلال، يا إلهي، إنها تجعل قلبي يرقص، بي! يمكننا الحصول على مكتب في ديريديل. حقًّا ستعجبك، بي. بي. بي».

لنكزتها، ورغم ذلك بدا لي أنها في عالم آخر.

سحبت بي ساقيها لأسفل ثم دارت حتى تكومت على الأرض، وهي تقول: «يا إلهي، هذه فكرة رائعة جدًّا. أشعر... أشعر بالغثيان».

ناقشنا التفاصيل بشكل أعمق على مدى اليومين التاليين، ظهرت بعض المشكلات التي يجب التغلب عليها. ليس أقلها التغيير الكبير الذي سيضرب حياة جيمي، لكننا بدأنا حل الأمور تدريجيًّا. وعندما عدت إلى مقر سيلماونت لأول مرة منذ تلك النوبة الرهيبة، دخلت المكتب أحمل طلب استقالة في يدي.

نظرت إليّ ريبيكا نظرة واحدة عندما دخلت مكتبها وتنهدت، ثم قالت: «اللعنة، ستستقيلين، أليس كذلك؟»

«آسفة».

«كان قرارًا ينطوى على مخاطرة كبيرة، إرسالك بعيدًا عن العمل لمدة شهرين». ضيقت عينيها تحاول تركيز نظرها. ريبيكا بحاجة إلى نظارات طبية، لكنها لن تعترف بأي من علامات الضعف البشري التي قد تعتريها بل تفضل التحديق. أكملت: «مع ذلك، يجب أن أعترف، تبدين بحال أفضل. هل هناك شيء يمكنني قوله لتغيير رأيك؟».

ابتسمت: «للأسف، لا».

«أين ذهبتِ إذن، خلال هذين الشهرين من تحقيق الذات؟ بالي؟ يبدو أن بالي خيار شائع، هذه الأيام».

حاولت أن أبتسم، قلت: «في الواقع، ذهبت إلى يوركشاير ديلز حيث تعيش عائلتي، وهذا هو المكان الذي سأذهب إليه عندما أغادر من هنا، سأنتقل للعيش مع جدتي، ربما أنا وبـ-». توقفت قبل أن أذكر خطط بي لشراء منزل في ديريديل لها ولجيمي. لم تكن بي قد قدمت استقالتها بعدُ. في الواقع، على الأغلب كانت تقف خارج الباب، جاهزة للدخول بمجرد أن أخرج.

ضيقت ريبيكا عينيها: «ها... خطوة ذكية».

احمر وجهي خجلًا، فأعطتني نظرة ذات مغزى.

قلت: «شكرًا لكِ، حقًّا. شكرًا على كل شيء».

لوحت لي بيدها. ثم قالت: «قدمي أقصى ما لديك خلال الشهرين المقبلين، إذا كنتِ تريدين تقديم شكر حقيقي... وهناك أيضًا هذا الأمر، قولي لحبيبك السابق أن يتوقف عن التسكع حول مكتبك وأن يركز مع العملاء».

«إيثان؟»

«لقد ظل يتجول حول مكتبك منذ السابعة صباحًا».

تجهمتُ، فابتسمت ريبيكا.

قالت: «لقد أخبرته أنك تعملين على مشروع في ميلتون كينز. أعتقد أنه يحاول الآن العثور على العنوان الصحيح لإرسال علبة شيكولاتة بينما نتحدث الآن».

قلت بإرهاق: «شكرًا. يبدو أنه يحاول أن يصلح بعض الأشياء. إلا أنها... أشياء لا يمكن للشيكولاتة إصلاحها».

سمعت طَرقًا هادئًا على الباب، وأطلت سيسي برأسها من خلفه، تحجرت في مكاني. نظرت كل منا إلى الأخرى، فرأيت الاحمرار يتصاعد من رقبتها إلى وجنتيها.

قالت بصوت متوتر: «أنا سعيدة بعودتك يا لينا، آسفة على الإزعاج. سأعود لاحقًا».

راقبتها وهي تنسحب بعيدًا. نبض قلبي بقوة، نصف نبضاته كراهية، والنصف الآخر أدرينالين. جزء عميق من نفسي أراد أن ينهش وجهها، لكن الآن، وبعدما انسحبت سريعًا، شعرت بالارتياح لأنني لم أتركها ترى مدى كراهيتي لها وغضبي تجاهها. لتبتعد عني فقط خلال الشهرين المقبلين بتلك الأرجل الطويلة السخيفة. إنها لا تستحق لحظة من تفكيري.

علقت ريبيكا وهي تتصفح مجموعة من الأوراق على مكتبها: «مهما فعلت في السابق لكسب احترامها أخيرًا، فقد نجح ذلك الآن بالتأكيد».

قلت: «أعتقد أنها قابلت جدتي، ربما ذلك هو السبب».

# 36 إيلين

لأول مرة منذ أكثر من عقد من الزمان، دخلت منزل بيتسي.

في البداية، سنتعامل مع ترك بيتسي لكليف كما اعتدنا مع مثل هذه الأمور.

سألت: «شاي؟»، ثم أخبرتني أنها جلبت لنا كعكات السكونز للتحلية، وجلسنا نتحدث عن التقدم الذي أحرزناه في تجديد منزل ماريان.

لكن بعد ذلك، تذكرت مارثا وهي تبكي على الأريكة، وتخبرني كم أنها غير مهيأة لتكون أمًّا. ثم فكرت في اعتراف بي، كم أنه من الصعب عليها العثور على رجل. وفكرت في فيتز وهو يتركني أكتب له قوائم المهام وأعلمه الطهي. كم كان أصدقائي الشباب في لندن صادقين ومنفتحين!

قلت: «كيف حالكِ يا بيتسي؟ الآن بعد رحيل كليف؟ لا أستطيع تخيل كيف تشعرين».

بدت مندهشة قليلًا، ونظرت إليّ وهي تخلط الحليب في الشاي، ثم قالت بحذر: «أنا... أتأقلم».

آثرت الصمت، وأخذت صينية الشاي منها وذهبت إلى غرفة المعيشة، لم أستطع أن أدخل منزلها منذ، أوه، أواخر التسعينيات تقريبًا؟ كانت لا تزال تحتفظ بالسجاد المزخرف نفسه، لكنها أحضرت كراسي جديدة، منها كرسيان من اللون الوردي الفاتح. لا يَسَعني أن أتخيل كليف يراهما في منزله.

قالت في النهاية، وهي تستقر جالسة على أحد الكراسي: «أصعب جزء هو الشعور بالذنب، لا أستطيع التخلص من الشعور بأنني كان يجب عليّ أن أعتني به»، ابتسمت قليلًا، وهي

تضع المربى على كعكتها. أكملت: «وأستمر في التفكير في رد فعل أبي وأمي، لو رأياني من السماء وأنا أصرخ على زوجي في الشارع بينما كل المارة يراقبون».

قلت بحرارة: «أنا نفسي كنت أتمنى أن أرى ذلك المشهد. كنت سأشجعك بكل حماسة».

ابتسمت، وقالت: «حسنًا. قامت لينا بجهد مشكور نيابة عنك».

تناولنا كعكاتنا وشربنا شاينا.

قلت: «كان يجب علينا أن نفعل المزيد. أعني من أجلنا نحن الاثنتين، كان ينبغي أن أقدم الكثير لمساعدتك على ترك كليف، وأنا آسفة جدًّا لأنني لم أفعل».

رمشت بيتسي، ثم تركت كعكتها، وقالت: «وأنا كان يجب أن أنصحك بطرد ويد قبل ثلاثين عامًا».

فكرت فيما قالته... ربما كان ذلك سيحدث فرقًا. دائمًا ما ظننت أن بيتسي ستقول إنه يجب عليَّ البقاء مع زوجي في السراء والضراء، كما يُفترض.

قالت بيتسي بعد لحظة: «حسنًا، ربما ليس لدينا إلا بضع سنوات في هذه الحياة، ولتعد كل منا الأخرى بأن تتشارك شئوننا بما نراه مناسبًا من الآن فصاعدًا، هل أنتِ موافقة يا عزيزتي؟».

قلت: «موافقة».

التقطت كعكتها مرة أخرى، وسألت: «شاي آخر؟».

في الأسبوع التالي، التقيت أرنولد في طريقي إلى المنزل بعد الانتهاء من الطلاء في منزل ماريان، أتت لينا إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع، وقد قمنا بطلاء معظم الغرف في الطابق

السفلي، لذا عملت فقط على إنهاء الحواف اليوم. ارتديت ملابس الطلاء القديمة والمهترئة، سروالًا وقميصًا قديمين.

حياني أرنولد بجفاف، قائلًا: «مرحبًا، كيف حالك يا إيلين؟».

أجبته: «بخير، شكرًا لك». منذ عودتي إلى المنزل، ونحن نتعامل بطريقة غريبة. في الواقع لم أره تقريبًا، باستثناء اليوم الذي غادرت فيه ماريان. بعد سنوات من ظهور أرنولد المستمر عند نافذة مطبخي وندائه لي من فوق السياج، لا يَسَعني إلا أن أتساءل عما إذا كان هذا الغياب المفاجئ عن نافذة مطبخي له دلالة.

«عظيم، عظيم. حسنًا، سأتركك الآن».

أمسكت ذراعه وقلت: «أرنولد، أردت أن أشكرك. لينا أخبرتني كم ساعدتها طوال إقامتي في لندن».

قال أرنولد: «آآه، لقد أخبرتك عن السيارة، أليس كذلك؟». نظر إلى يدي على ذراعه. كان يرتدي قميصًا بأكمام قصيرة وشعرت بجلده دافئًا تحت كفي.

«السيارة؟»

«أووه». نظر باتجاه السياج المتضرر، الذي ظللت أتساءل عما حدث له منذ أن عدت. قال بسرعة: «لا شيء. لم يكن هناك أي مشكلة. لينا جميلة، حفيدتك تلك جميلة جدًّا».

علقت مبتسمة: «إنها كذلك، شكرًا جزيلًا».

وبينما راح يتحرك بعيدًا، عائدًا نحو بوابته الأمامية، قال: «إلى لقاء آخر صدفةً». وعبست، لأن ذلك أصبح نادر الحدوث تمامًا.

ناديت وهو يبتعد: «هل تريدي أن تأت إلى منزلي؟ لشرب كوب من الشاي؟».

«ليس اليوم».

لم يُدرِ حتى رأسه، لقد عبر بوابته واختفى قبل أن أتمكن من إدراك أنه رفض دعوتي.

شعرت بأن الأمر مزعج. على الرغم من أنني وأرنولد دائمًا ما كنا نتشاجر، كنت دائمًا أعتقد... لقد كان لدي دائمًا انطباع... حسنًا، لم أكن أدعوه للشاي، لكنني كنت أعلم أنه إذا دعوتُه، فسيأتي.

لكن الآن بدا أن شيئًا تغير.

حدقت في منزله بشك وريبة، من الواضح أنه مهما كان ما يجري، فإن أرنولد لن يفصح لي عنه في أي وقت قريب.

أحيانًا، مع الأشخاص المتعنتين مثل أرنولد، لا يصبح لديك خيار سوى إجبارهم.

وقف أرنولد يصرخ عبر نافذة المطبخ: «ماذا فعلت يا إيلين؟».

وضعت كتابي جانبًا، وتركت علامة الكتاب في مكانها الصحيح بعناية.

صاح مرة أخرى: «إيلين كوتون! تعالي هنا الآن!».

سألت ببراءة، وأنا أدخل المطبخ: «هنا أين؟ لكي تطلب مني المجيء إليك في مكان ما، يجب أن تكون أنت أيضًا موجودًا به، ويبدو لي أنك في الخارج».

أحمر خدا أرنولد غضبًا. لاحظت أيضًا أن نظاراته مائلة بعض الشيء، وتولتني رغبة لا أفهمها في فتح النافذة، وإدخال يدي عبرها، وضبط وضع نظارته.

«لقد اختفى السياج الشجيري!».

أخذت قطعة القماش بجانب الحوض ووقفت أمسح الرف. قلت عابثة: «آه، السياج الذي كان يفصل بين حديقتك وحديقتي؟ نعم، لقد طلبت من ابن أخي باسيل أن يقطع شجيراته».

سأل أرنولد: «متى؟ كان موجودًا بالأمس!».

أجبته: «لقد عمل على إزالته طوال الليل، يقول إنه يعمل أفضل تحت ضوء المصابيح».

قال أرنولد، وأنفه يكاد يلتصق بالزجاج: «أشكُّ في أنه قال شيئًا كهذا، بل أنتِ من جعلته يفعل ذلك في الليل حتى لا أكتشف! بم كنت تفكرين يا إيلين؟ بإلغاء الحدود! أصبحت مجرد... حديقة واحدة كبيرة!».

قلت: «أليس المنظر جميلًا الآن؟». كنت أتصرف بأقصى قدر من اللامبالاة وأنا أمسح جميع الأسطح، لكن لم أستطع أن أقاوم اختلاس نظرات إلى وجهه الأحمر. علقت: «الشمس، اليوم، ساطعة أكثر من المعتاد، أليس كذلك؟».

سأل أرنولد في حيرة: «لماذا فعلتِ ذلكِ؟ كنت تقاتلين بشدة للحفاظ على تلك الشجيرات عندما أردت استبدال حاجز بها».

ابتسمت لأرنولد وقلت وأنا أغسل القماش: «نعم، حسنًا، الوقت غيَّر رأيي. لقد قررت، بما أنك كنت مترددًا في المجيء، أن أجعل الأمر أسهل عليك».

حدق بي أرنولد من خلال الزجاج. ورغم أن المسافة بيننا لم تتعدَّ المتر الواحد، فإنه تسنى لي أن أرى مدى اتساع بؤبؤي عينيه العسليتين.

رد وهو يتراجع إلى الوراء: «يا إلهي! يا إلهي!، لقد فعلتِ كل هذا فقط لإغاظتي، أليس كذلك؟». بدأ يضحك، ثم قال: «أتعلمين يا إيلين كوتون أنت لا تختلفين عن صبي مراهق مغرم. ماذا بعد؟ ستسحبينني من شعري؟».

«عفوًا، ماذا قلت؟!». وعاجزة عن مقاومة الجملة التي خطرت على بالي، أكملت: «لا أريد أن أخاطر بما تبقى في شعر رأسك بسحبه».

«أنتِ امرأة سخيفة!».

«وأنت رجل سخيف. تدخل هنا، وتخبرني أنك تفتقدني، ثم تخرج وتظل صامتًا عني لعدة أيام متتالية؟ ماذا دهاك؟».

«ماذا دهاني؟» تكثفت أنفاسه على الزجاج وقال: «لستُ أنا من قطع شجيرات في منتصف الليل!».

«هل تريد حقًّا أن تعرف لماذا فعلتُ ذلك يا أرنولد؟».

«نعم، أريد حقًّا».

رميت القماش المبلل بعيدًا، وقلت: «ظننت أن الأمر سيكون مضحكًا».

ضيق عينيه، وقال: «مضحك؟».

«نعم. لقد قضينا عقودًا نتشاجر حول من يملك ماذا، وأي الأشجار تحجب الشمس عن زهور من، ومن المسئول عن تقليم أي شجيرة. على مدار السنوات، أصبحت أكثر غضبًا وتذمرًا، أما أنا فصرت أكثر عنادًا وسخرية. لكن أتعلم إلام كنا نرمي بكل تلك الجدالات العبثية يا أرنولد؟ كنا نرمي بشكل غير واع إلى لقائنا الأول».

فتح أرنولد فمه ليتكلم ثم أغلقه.

«لا تقل إنك نسيت... أعلم أنك لم تنس».

أغلق فمه، وردَّ بقوة: «لا، لم أنسَ».

كان أرنولد متزوجًا من ريجينا، والدة جاكسون. امرأة غريبة، ذات أكتاف مربعة كما لو كانت تعيش في الثمانينيات، وشعرها مشدود ومجعد، ويداها عادةً ما تكونان مشدودتين. وكنت أنا متزوجة من ويد.

قال أرنولد: «لم يحدث شيء في لقائنا الأول».

مددت كلتا يديّ، وفردتهما على طاولة تحضير الطعام على جانبي الحوض. بدا لي أرنولد وهو يقف خلف نافذتي الزجاجية، وجزء من كتفه تحت النافذة، كما لو أنه لوحة بورتريه.

أجبته: «بل حدث، لقد كنت أقنع نفسي بأن شعورًا لم يراودني حينها أيضًا. لا جدوى من أن نقف مدى الحياة عند هذا الموقف، وبالتأكيد لا فائدة من الحديث عنه، ما دام كل منا لم يعترف للآخر بما جاش في صدر من مشاعر».

قال أرنولد: «بالضبط».

«ولكنك شعرت بما شعرت به، أليس كذلك يا أرنولد؟». نبض قلبي بسرعة أكثر من اللازم.

رفع أرنولد يده لضبط قبعته، بيديه الخشنتين المتجعدتين، ونظارته التي كانت لا تزال مائلة بعض الشيء. قلت في نفسي: يا إلهي! قل شيئًا، هيا قل! لأنني مثل المراهقين، أشعر بالحرج، خائفة من أن يخبرني أحد أنني كنت أظن شيئًا ليس حقيقيًا.

رد أرنولد أخيرًا: «أتتذكرين ما حدث؟». أغلقت عينيَّ وتنفست بعمق.

كنا هنا في هذا المطبخ، ليس بعيدًا عن المكان الذي أقف فيه الآن. كان قد جاء بفطيرة تفاح صنعتها ريجينا، مع كاسترد في طبق صغير، تحدثنا لفترة طويلة في الردهة حتى بدأت ذراعي تؤلمني من حمل الطبق. كان لطيفًا جدًا، وصاحب شخصية قوية وساحرة.

كنا أنا وويد قد اشترينا للتو منزل كليرووتر. كان المنزل بالكاد مؤثثًا وشبه متداعٍ. دخلت المطبخ مع أرنولد - أتذكر أنني ضحكت كثيرًا وشعرت بسعادة جمة - وفتحت الثلاجة

الجديدة لأضع الكاسترد فيها، وعندما أغلقتها كان قد اقترب جدًّا، على بُعد خطوات قليلة من المكان الذي أقف فيه الآن. وبقينا على هذه الحال. كان قلبي ينبض بسرعة حينها أيضًا. لم أشعر بهذه السعادة منذ فترة طويلة لدرجة أنني اعتقدت أنها اختفت من جعبتي تمامًا، مثل قدرتي على لمس أصابع قدمي.

لم يعترف كل منا للآخر بما راوده من مشاعر.

لكننا تشاركنا الإحساس نفسه.

وكان ذلك كافيًا لكي أرغب في إبقاء أرنولد بعيدًا عن هذا المنزل قدر الإمكان؛ لأنني كنت امرأة متزوجة مخلصة. صحيح أنه اتضح لاحقًّا أن ويد لم يكن مخلصًا لي بقدر ما كنت مخلصة له، لكنني ما كنت لأسمح لنفسي بالاعتراف بأن شعورًا راودني تجاه أحدٍ غيره.

قال أرنولد: «لقد اعتاد كل منا إظهار الكراهية للآخر، أليس كذلك». فتحتُ عيني مجددًا. ابتسم قليلًا، وأكمل: «ولقد أصبحنا بارعين تمامًا في ذلك».

أخذت نفسًا عميقًا، وسألته: «أرنولد، هل تود الدخول؟».

ما شعرت به كان استثنائيًّا. عندما لفقت ذراعيّ حول كتفي أرنولد، وضغطتُ خدي على جلد رقبته الدافئ، واستنشقت رائحة العشب والصابون من شعره وقميصه، راودتني مشاعر غريبة ورائعة، مألوفة وجديدة في آن.

كنا جالسين معًا جنبًا إلى جنب على الأريكة، ونتأمل الفاصل بين حديقتينا، أو ما تبقى منه. ابتسم أرنولد. بدا مشحونًا بالطاقة، وكأن الحياة نُفخت فيه دفعة واحدة - فقد جلس بعمود فقري مستقيم، بيد تحمل يدي، والأخرى حولي كتفيّ.

قال: «يا إلهي، تخيلي ما ستقوله بيتسي وبقية المجموعة»، ثم التفت إليّ وابتسم ابتسامة ماكرة وشيطانية جعلته يبدو كصبي صغير.

قلت بجدية وقد رفعت إصبعي محذرة: «لن تخبرهم بكلمة واحدة بأي مما حدث، ولا كلمة يا أرنولد».

أمسك إصبعي بسرعة حتى إنني صرخت من المفاجأة.

قال: «تلك النبرة لن تنجح معي بعد الآن»، ثم رفع يدي إلى شفتيه ليقبِّلها بقبلة لم تَحُلْ دون ابتسامته للحظة وقال: «الآن عرفت ماذا كانت نياتك عندما كنت تنهرينني».

اعترضت: «ليس كل الوقت، في بعض الأحيان كنت تحتاج إلى التوبيخ حقًّا. مثل حادثة الأرنب».

ضحك أرنولد: «للمرة الأخيرة! لم أسمم أرنبك اللعين».

سألته مرتبكة: «إذن كيف نفق؟».

«إيلين، لقد مرت سبع سنوات. أعتقد أنه فات الأوان لإجراء تحقيق».

«اللعنة. أكره الألغاز التي لم تُحَلَّ».

«كنتِ تظنين حقًّا أنني فعلت ذلك؟».

«لم يخطر على بالي أنه نفق بطريقة أخرى، بصراحة».

عبس أرنولد: «هل ترينني بهذا الشر؟».

مررت إبهامي بلطف على ظهر يده، متتبعة الخطوط بين الآثار التي خلفها العمر على جلده.

قلت: «ربما أردت إقناع نفسي بذلك، حيث يسهل الابتعاد إذا تخيلتك وحشًا»، رفعت عيني وأكملت: «وقد قمت بدور الوحش بشكل جيد جدًّا».

«حسنًا، لقد قدمت دور العجوز الشريرة ببراعة أيضًا».

ارتميت في حضنه، وتركت نفسي لمشاعر الحب والسكينة.

# 37 لينا

سألت وأنا ألهث: «هل أنت متأكدة من هذا؟».

كنا أنا وبي على الدراجات بالنادي الرياضي... لقد أدركت خلال الأسابيع الستة الماضية أن أفضل طريقة للتعامل مع ضغوط العمل في سيلماونت هي ممارسة الرياضة يوميًّا وبشكل مكثف. الجلوس في صالة ألعاب رياضية مكيفة ليس رائعًا، مقارنة بالجري عبر تلال يوركشاير، إذ يشبه إلى حد ما تناول مكملات الفيتامينات بدلًا من الأكل. لكنه كان يكفي.

قالت بي وهي تنظر إليَّ: «لقد تعبت من سؤالك عما إذا كنت متأكدة. ففي الحقيقة، أنا اليوم متأكدة أكثر من أي وقت مضى يا صديقتي».

ابتسمت وأبطأت، ثم جلست لأمسح وجهي بكنزتي. مشينا إلى غرف تغيير الملابس معًا، نتنفس بصعوبة.

سألت متجهة نحو خزانتي: «كيف تشعر جيمي حيال الانتقال؟».

«سعيدة جدًّا. يبدو أن يوركشاير بها الكثير من الحفريات الديناصورية أو شيء من هذا القبيل». قلبت بي عينيها، لكنها لم تنجح في خداعي.

سألت: «هل قابلت مايك؟».

أجابت بي في تجهم: «لا لا لا، هي حتى لا تعرف أن هناك شيئًا في الحياة اسمه مايك».

«الرجل الذي تنتقلين من أجله إلى الشمال، لا تعرف أنه موجود؟».

ضربتني بمنشفتها، فتأوهت.

«صحيح أنني سعيدة لأنك خرجتِ من بئر اليأس المسماة أزمة إيثان، لكنني لا أريدك أن تسخري مني مرة أخرى، هل يمكنك التوقف عن ذلك، من فضلك؟ أنا لم أنوِ الانتقال إلى الشمال من أجل مايك. أعني، في الحقيقة، أنا أنتقل إلى الشمال من أجلكِ أنتِ».

نظرت لها بحب وقلت: «هذا صحيح، أنا آسفة».

اتجهنا نحو الدش.

قلت بسرعة قبل أن أغلق كابينة الدش: «إنها فقط مصادفة سعيدة؛ أن مايك سيكون هناك أيضًا».

صرخت بي من خلف الجدار الفاصل: «أنت شريرة مثل جدتكِ!».

صرخت مبتسمة، في المقابل: «شكرًا!»، بينما رفعت درجة حرارة المياه لتضربني بكل قوة.

عندما عدت إلى الشقة في تلك الليلة، وجدت الشقة مليئة بالصناديق، وسيدة القطط الصلعاء من الشقة المجاورة جالسة أمام التلفاز، تشاهد برنامجًا عن الجريمة على نتفليكس.

توقفت عند الباب. ملت برأسي أنظر إلى فيتز، الذي كان يقف في المطبخ، أمام كومة من الصناديق، ويبحث عن فتاحة الزجاجات.

قال، ردًّا على تعبير الاستفهام على وجهي: «أوه، ليتيتيا؟ نعم، إننا صديقان مقربان، الآن».

«أنت...» التفت مرة أخرى لأحدق في ليتيتيا، ثم قلت متذكرة آداب اللياقة: «آسفة، مرحبًا».

نظرت إليّ، راحت تبتسم لي بلباقة، ثم عادت إلى مشاهدة قصة عن جثة امرأة شابة تقطعت أوصالها. عدت لأنظر إلى فيتز.

سألته، عندما لم يقدم مزيدًا من المعلومات: «والصناديق؟ كنت أظن أنك لم تجد مكانًا للانتقال إليه؟».

ما لبثت هذه المسألة تقض مضجعي على مدار الأسابيع القليلة الماضية، فبما أن فيتز لم يُظهر أي إشارات على أنه يعمل على الحصول على زملاء جدد في السكن، أو العثور على مكان آخر للعيش فيه، مع رحيل مارثا وانتقالي إلى الشمال، كنت أعرف أنه لا توجد أي وسيلة يمكنه بها تغطية الإيجار هنا.

قال فيتز، وهو يفتح زجاجة: «أوه، نعم، تحدثت إلى إيلين عن الأمر بالفعل».

«جدتي إيلين؟».

«نعم؟» نظر إليّ فيتز وكأنني أبدو غبية جدًّا. أكمل: «بالطبع! هي التي اقترحت عليّ الانتقال للعيش مع ليتيتيا. شقتها مذهلة، مليئة بالتحف والأشياء العتيقة. لقد أخذنا كل أثاث نادي شورديتش من هناك».

كانت أول مرة أرى فيها نادي شورديتش الاجتماعي قبل أسبوعين. كان بلا شك أجمل شيء رأيته على الإطلاق، طبعًا إلى جانب رؤية سامانتا جرينوود وهي ترتدي زي اليوسفي. الفنانان البوهيميان من الشقة 11 علما أعضاء النادي الرسم، والمرأة المتحفظة اجتماعيًا من الشقة 6 أصبحت توصل الناس، وفيتز يعمل على تنسيق كل شيء بكفاءة مذهلة. لم أكن أدرك كم يمكن أن يبدو الأمر رائعًا عندما يعمل الإنسان على شيء يشعر بأهميته فعلًا. الأسبوع الماضي، قدم فيتز طلبًا لوظيفة مدير فعاليات في مؤسسة خيرية كبيرة. عندما أخبرت جدتي بذلك، أطلقت صيحة مرحة وبدأت ترقص.

عقبت محاولة استيعاب الأمر: «إذن أنت ستنتقل... إلى الشقة المجاورة؟ مع... ليتيتيا؟».

قال فيتز: «نعم، لقد تأكدت أن السيدات المسنات هن أفضل زملاء سكن قد يحظى بهم المرء، فهن عادةً ما يكُنَّ ماهرات في الطهي، لأن النساء في الخمسينيات كان عليهن القيام

بذلك، وما زلن يحتفظن بكل مهاراتهن. هن دائمًا صريحات ويقلن لي إذا لم يكن مظهري مناسبًا... أو على الأقل المسنات اللاتي قابلتهن كُنَّ كذلك. فضلًا عن أنهن في المنزل طوال اليوم، وهو شيء مثالي إذا كنت تنتظرين طردًا!» رفع زجاجة الشراب في اتجاهي، وأكمل: «شكرًا لك على إرشادي، آنسة كوتون الصغيرة».

قلت وأنا ما زلت أحاول استيعاب الأمر: «على الرحب والسعة».

سأل فيتز: «ماذا سترتدين، الليلة؟».

عبست، وقلت: «عادةً كنت سأطلب من مارثا أن تختار لي شيئًا، لكنها مشغولة بعض الشيء، كما تعلم».

كانت ياز ومارثا تخططان لإقامة حفل كبير احتفالًا بعيد ميلاد مارثا وترحيبًا بطفلتها الجديدة فانيزا.

قال فيتز: «هل تعلمين أن إيثان سيكون هناك؟».

انقبضت معدتي. قلت: «تبًا.. حقًا؟».

مد فيتز يده لي بزجاجة شراب وهو يقول: «آسف. كان ذلك تصرفًا متوقعًا من مارثا. كانت قد أضافته إلى قائمة الدعوات قبل أن تنفصلا، ثم ضغطت على إرسال البريد الإلكتروني، ولا توجد أي طريقة لإقناعه بتفويت الفرصة لرؤيتك».

فركت وجهي بشدة، ثم قلت: «هل يمكنني عدم الذهاب؟».

شهق فيتز شهقة درامية صاخبة. وصاح: «لا تذهبين إلى حفلة عيد ميلاد مارثا والقائم على شرف وليدتها؟! لينا كوتون! حتى جدتك قادمة! من أعماق يوركشايرا!».

«أعرف، أعرف... ممممم، حسنًا، هيا، نحتاج للعثور على زي رائع». قلت ونحن نمر بجانب ليتيتيا: «وداعًا، ليتيتيا! سعدت ...».

قاطعتني وهي تشير إلى التلفاز: «ششششششش».

قال فيتز ونحن نتجه نحو خزانتي: «قلت لك إنهم صريحون».

# 38 إيلين

تحركتُ في طريقى إلى الحفلة. لكنني سأمر لآخذ شخصًا معي.

لقد عرفت العديد من الأمور المفاجئة عن أرنولد خلال الشهرين الماضيين، إذ إنه ينام في بيجاما حريرية بنفسجية تبدو كأنها تعود لكونت من العصر الفيكتوري، ويغضب جدًّا إذا مر وقت طويل دون طعام، ويطبع قبلة على خدي متى ذكّرته، ويحب قراءة تشارلز ديكنز وويلكي كولينز، لكنه لم يكن قد قرأ أي كتب لأجاثا كريستي، حتى بدأ يقرأ لها حين وجدها على قائمة كتابيَّ المفضلين من موقع التعارف. عندما أخبرني بذلك، داخلني السرور.

لكن أكثر حقيقة مثيرة للاهتمام هي أن أرنولد ماكنتاير هو المصدر الرئيسي للنميمة في هاملي. وبفضل معلومة مثيرة جدًّا للاهتمام أخبرني بها، فها أنا ذا أقف على عتبة منزل جاكسون جرينوود، مرتدية ملابسي اللندنية: حذاء جلديًا، وسروالًا واسع لونه أخضر قاتم، وكنزة كِريمية ناعمة اشتراها لي تود هدية وداع.

قال جاكسون عندما فتح الباب: «مرحبًا يا إيلين». لم يبد متفاجئًا لرؤيتي واقفة على عتبة منزله بكل هذه الأناقة، لكن، بعد أن فكرت في الأمر، خلصت إلى أنني لم أرَ جاكسون متفاجئًا من أي شيء من قبل.

قلت: «هل يمكنني الدخول؟»، كان سؤالًا مباشرًا بعض الشيء، لكن سيعذرني فالوقت كان محدودًا.

تنحى جانبًا، وأجاب: «بالطبع تفضلي، هل تودين كوبًا من الشاي؟».

«نعم، من فضلك». توجهت إلى غرفة معيشته، التي وجدتها نظيفة ومنظمة على نحو فاجأني. كما كانت هناك طاولة خشبية في وسط الغرفة، على ما يبدو هي إضافة جديدة،

إذ لم تكن موجودة في آخر مرة زرته فيها، وفوقها وجدت كتابًا مفتوحًا، حمل عنوان التفكير السريع والبطيء. خلف بوابة السلم، وقف هانك يهز ذيله بفرح. مسحت على أذنه من خلف الباب بحذر خشية أن يلمس كنزتي الكريمية الجميلة.

قال جاكسون وهو يضع فنجاني على حامل الفنجان: «حليب وملعقة سكر واحدة». توجهت نحو الأريكة. لم أكن أتوقع أن يكون جاكسون من النوع الذي يستخدم حامل الفنجان في الواقع. مررت إصبعي على خشب الطاولة وفكرت في مدى قلة ما يمكن أن تعرفه عن جيرانك، حتى عندما تكون فضوليًا جدًّا.

قلت بمجرد أن جلست: «إيثان خرج من الصورة».

وقف جاكسون في منتصف الطريق إلى الكرسي. مجرد تردد لثوان معدودة، لكنها كانت كافية لإسالة قطرات الشاي على جانب فنجانه إلى السجادة تحت طاولة القهوة.

جلس. قال: «عفوًا».

«كان على علاقة مع مساعِدة مديرة لينا».

ارتعشت يداه بشكل غير إرادي. هذه المرة، انسكب الشاي على حجره، شتم بصوت منخفض، وقام مرة أخرى ليلتقط قطعة قماش من المطبخ. جلست متأملة أنتظره.

سأل في النهاية من المطبخ: «وهل اكتشفت لينا؟». كان ما زال بعيدًا لا ينظر إليَّ.

نظرت إلى شايي، وأجبت: «نعم اكتشفت. أنا أخبرتها، فأنهت العلاقة على الفور. الخيانة شيء لا تتسامح معه لينا».

نظر إليّ بعد ذلك، نظرة متعاطفة لم أجاريه فيها، فأنا لست هنا لأتحدث عني وعن ويد.

«سأذهب إلى لندن، إلى حفلة، ولينا أيضًا ستكون هناك. فكرت أنك قد ترغب في الحضور».

«أنا؟».

«نعم».

تنهد جاكسون، وقال: «آه، لقد أخبرك أرنولد».

«نعم. رغم أنني من ضغطت على الرجل ليعترف، لذا لا تلمه».

«لا بأس. نصف سكان القرية يعرفون كيف أشعر تجاهها، على أي حال. لكن... ألاحقها إلى لندن؟»، أكمل وهو يحك رأسه: «أليس هذا كثيرًا بعض الشيء؟».

«ذلك يعتمد على ما إذا كانت هناك أشياء تمنيت لو عبرت عنها أم لا».

جلس مرة أخرى، بيديه العملاقتين ملفوفتين حول فنجانه حتى إن كل ما يمكنني رؤيته هو بخار الشاي الصاعد. وقال: «في الواقع أنا... لقد أخبرتها في عيد مايو كيف هو شعوري تجاهها».

لم يخبرني أرنولد بهذا. «حقًا؟ ماذا قالت؟».

«قالت إنها لا تبادلني الشعور، وأنها لا تراني بالطريقة نفسها».

همم. هذا ليس ما قالته بيتسي بناء على تحليلها، وأثق في رؤية بيتسي عندما يتعلق الأمر بعلاقة رومانسية محتملة. الشائعات التي تبدأ ببيتسي نادرًا ما تكون خاطئة.

قال جاكسون: «شعرت بالخجل من نفسي بعد ذلك، إذ كان لديها... كان لديها حبيب».

علقت بسرعة: «نعم، حسنًا، لا داعي للقلق بشأن ذلك بعد الآن، لقد تخلصنا منه بسرعة». مددت يدي وربتُّ على ذراعه. قلت: «إذا كانت لا تراك بهذه الطريقة، فعليك أن تغير الطريقة التي تراك بها. تعالَ إلى لندن. ارتدِ شيئًا أنيقًا كما في الأفلام، هل تعرف عندما

تتزين الفتاة لحضور حفلة وتسير ببطء على السلم، دون نظاراتها، وشعرها مرفوع، وساقها خارج الفستان قليلًا، ويقف الرجل أسفل السلم، فاغرًا فمه إعجابًا بها، غير مصدق أنه لم يرها هكذا من قبل؟».

قال جاكسون: «نعم؟».

«أريدك أن تكون في موضع هذه الفتاة. هيا بنا. هل لديك بدلة؟».

«بدلة؟ أنا... هناك البدلة التي ارتديتها في جنازة ديفي».

«ليس لديك خيار أقل... كآبة؟».

«لا، لدي بنطلون كلاسيكي وقميص».

«سيفي هذا بالغرض. واغسل شعرك، أعتقد أن بداخله حوالي نصف شجرة».

رفع يده إلى رأسه فسحب غصن شجرة. قال: «يا إلهي!».

«هيا استحم، وارتدِ ملابسك، ثم ننطلق. هل يمكنك أن تقودنا إلى محطة ديريديل بشاحنتك تلك؟».

«نعم، يمكنني. سأفعل... لكن... هل هذه فكرة سديدة؟».

أجبته بحزم: «إنها فكرة ممتازة، والآن هيا، أسرع».

قبَّل فـيتز خدي عندما وصلت إلى الحفل، وبدا مندهشًا عندما وقع نظره على جاكسون.

قال ضاربًا صدره: «هل هذا أرنولد؟».

ضحكت. أجبت: «هذا جاكسون، إنه بمثابة ابن لأرنولد». أضفت همسًا: «وهو مغرم بلينا»، على الرغم من أنه على الأغلب قد سمعني، لأنه كان يقف خلف فيتز، قالت مارثا: «أووووه»، وقبل أن أتحدث إليها، كانت قد سحبت جاكسون من ذراعه وبدأت ما بدا أنه محادثة شخصية جدًّا.

كان الحفل مزدحمًا بالحضور، شعرت بالارتياع رغمًا عني بسبب الضوضاء الصاخبة مع تحركنا إلى الداخل. كانت الحفلة في مقهى بجانب محطة واترلو، والصوت يتردد بين جنباته الفسيحة وسقفه المرتفع، وكثير من الشباب العصريين يتجولون حاملين زجاجات الشراب.

همس جاكسون بجانبي، بعد أن نجا من قبضة مارثا: «يا للهول!، هذا...».

قلت وأنا أربت على ذراعه: «لا داعي للقلق»،إذا كنت تشعر بعدم الارتياح، فتخيل كيف أشعر أنا».

نظر إليّ، وقال: «لا أعرف لكن بطريقةٍ ما تبدين كأنك تنتمين إلى هنا أيضًا».

قلت برفق: «أعرف، كنت أحاول فقط أن أجعلك تشعر بتحسن. هيا، لنبحث عن لينا».

كنا نبدو كثنائي غير مألوف ونحن نتنقل بين الحشود، سيدة مسنّة وشاب عملاق يسيران ذراعًا بذراع عبر الزحام. بات جاكسون مع مرور الوقت أكثر هدوءًا، وقد سعدت كثيرًا برؤية ذلك. سار بقميصه مفتوحًا عند الرقبة، والضيق نسبيًّا عند الكتفين، وعلى الرغم من أنه ارتدي حذاء بنيًّا متآكلًا، فإن الانطباع العام الذي تركه كان إيجابيًّا جدًّا، ومع الشعر النظيف والسروال الكلاسيكي، من المؤكد أن هذا سيثير انتباه لينا.

«إيلين؟!».

التفتُّ متفاجئة، لأجد تعبير إيثان كولمان يحاصرني إلى حد ما.

تمتمت له: «ماذا تفعل هنا؟».

بجانبي، شعرت بجاكسون كأنه يتضخم، أصبح فجأة أطول وأعرض، كل ذلك بدا رجوليًا. التفتُ بسرعة آملةً أن تكون لينا في مجال رؤيتي لترى جاكسون، لكن لم يحالفني الحظ.

قال إيثان: «جئت من أجل لينا. إيلين، من فضلك، يجب أن تفهمي...».

قلت بحزم: «لا يجب أن أفهم شيئًا»، شددت على ذراع جاكسون، الذي بدا كأنني أحاول سحب كتلة خرسانية. قلت لجاكسون: «هيا».

قال إيثان لجاكسون: «أنت هنا لتحاول لفت انتباه لينا، أليس كذلك؟! لقد شعرت بذلك عندما التقيت بك لأول مرة. لكنها لا تشبهك يا صديقي. أو بالأحرى، أنت لست نوعها المفضل».

حافظ جاكسون على رباطة جأشه. شددت على ذراعه، لكن مرة أخرى، لا شيء، بدا كما لو أنه ضرب بجذور في الأرضية جعلته ثابتًا لا يتزحزح.

سأل جاكسون إيثان: «ماذا تعني بذلك؟».

رد إيثان وهو يتحرك ليبتعد: «لا تشغل بالك، سأراك لاحقًا».

انطلق ذراع جاكسون فجأة، ليمسك إيثان بهدوء، وقال بثبات: «إذا كان لديك شيء لتقوله، فقله».

حسنًا. هذا المشهد مثير جدًا، كان يجدر بلينا أن تكون هنا الآن.

قال إيثان مضطربًا: «ليس لدي شيء لأقوله لك. ابتعد عن طريقي. سأذهب لأبحث عن لينا».

«ماذا تريد من لينا؟».

رد إيثان بسرعة: «ماذا أريد، برأيك؟».

قال جاكسون: «دعني أخمن، لا تزال تعتقد أن لديك فرصة معها. تظن أن لينا ستعود وتصفح عنك لأنك نقطة ضعفها، أليس كذلك، ويمكنك الإفلات من عواقب فعلتك، غير مدرك أن الأمور تغيرت الآن».

«أنت لا تعرف عم تتحدث».

هز جاكسون كتفيه: «آمل أن تكون محقًّا بشأن ذلك. حظ سعيد لك، لكنني آمل أن ترد عليك حتى». توجه بناظريه إليّ وقال: «إيلين، ألا نذهب؟».

أجبته: «فلنذهب»، ثم تقدمنا عبر الحشد، تاركين إيثان خلفنا.

سألني جاكسون: «إذن، من تعتقدين أنه سيجد لينا أولًا؟».

شهقت وأجبته: «أنا إيلين كوتون وهي أيضًا إيلين كوتون، لقد عشت حياتها وعاشت حياتي»، ثم طرقت على جانب رأسي قبل أن أكمل: «إنها الحاسة السادسة يا جاكسون. لن تفهم هذا».

«لن أفهم هذا؟».

«مهما حاولت، إنه رابط معقد، مثل الرابط بين...».

علق جاكسون: «يبدو أننا نتجه إلى المشرب الآن».

«أين ستذهب إذا اكتشفت للتو أن حبيبها السابق في حفلة قائمة على شرف وليدة صديقتها؟ إما هنا أو كانت لتقف أمام مرآة الحمام، تصلح شعرها - أوه، أليست جميلة!».

التقطت أنفاسي بهدوء عندما رأيت لينا عند المشرب.

كانت ترتدي فستانًا أسود طويلًا يكشف ذراعيها، بسوار فضي لافت على معصمها، لكن هذا كل ما تحتاج إليه من زينة. بدا شعرها مذهلًا، منسدلًا كما ينبغي، مرسلًا وراءها على نحو حر، طويلًا ويشع حيوية.

ألقيت نظرة على جاكسون، فوجدته يحدق في لينا. راقبت تفاحة آدم تصعد وتسقط داخل عنقه. إذا لم تدرك ما يفكر فيه ذلك الرجل بهيئته تلك، فعلى الأغلب أنت أبله».

«لينا!».

كان ذلك إيثان ينادى من يسارنا، وقد شقَّ طريقه عبر الحشد.

أطلقت سلسلة مكتومة من السباب، وهمست: «ذلك الوغد الحقير!».

حاولت دفع جاكسون للأمام، فقلت له: «هيا أسرعْ، قبل أن...».

ظل جاكسون ثابتًا وهز رأسه قائلًا: «ليس بهذه الطريقة».

تنهدت، لكنني بقيت في مكاني. عند المشرب، دفعت لينا إيثان بعيدًا. احمر خداها ثم نهضت محاولة الابتعاد نحونا...

دارت على عقبيها تنظر إلى إيثان، وهي تقول: «انظر يا إيثان، لقد أعطيتك فرصة، أليس كذلك؟ لم أكن أعرف حتى أنني فعلت ذلك، لكنك كنت تعرف. قررت أنك الرجل المناسب لي، وهذا هو كل شيء. حسنًا، يبدو أن هذه الفرصة لها صلاحية، وقد انتهت يا إيثان. وهناك حدود لصبري عليك، وأنت قد تخطيتها».

«لينا، أصغِ إليَّ».

«لا أعرف أيهما أسوأ: خيانتي مع عدوتي اللدودة أم إخباري أن جدتي كاذبة وفقدت عقلها! هل تعرف كم كان ذلك مربكًا لي؟».

توسل إيثان: «لقد ارتبكت عندما رأتني، لم أقصد...».

«أتعرف؟ أتعرف؟ أنا تقريبًا سعيدة لأنك خنتني مع سيسي. كما أقول لك! أنا سعيدة لأنك خدعتني، لأن ذلك أزال الغمامة التي طمست عقلي فيما مضى، لأدرك أنك لم تكن مناسبًا لي على الإطلاق. لست مناسبًا لي الآن، لست مناسبًا للينا الجديدة، ليس بعد الآن. لقد انتهت علاقتنا للأبد».

وعندئذ استدارت لينا لتخرج غاضبة، فاصطدمت بجاكسون.

أمسك ذراعها بمجرد أن تعثرت للخلف. التقت أعينهما. كانت وجنتاها محمرتين، وشفتاه متفرقتين. تحرك الحشد حولنا، مما حجب إيثان عن الأنظار، ليتركنا وسط جزيرة صغيرة هادئة هنا، جزيرة تؤويهما هما الاثنين فقط.

قالت لينا، متفاجئة: «جاكسون؟!». تفحصته من أعلى إلى أسفل. ثم قالت: «أوه، واو، أنت تبدو...».

تنفستُ بعمق، ويدي على صدري. ها هي اللحظة المنتظرة آتية.

أكملت لينا: «غريب».

صرخت: «غريب؟؟؟ يا إلهي ماذا بك يا فتاة!». ثم التفتا إليّ.

«جدتي؟» حركت لينا عينيها بيني وبين جاكسون، ثم ألقت نظرة خلفها كما لو أنها تذكرت إيثان. ضيقت عينيها، ثم سألت: «ما الذي يحدث هنا؟».

أجبت بسرعة: «لا شيء، جاكسون أراد فقط زيارة لندن، ففكرت، أوه، هناك حفلة هذا المساء، و...».

ضيقت عينيها أكثر حتى كادت تغلقهما.

قلت: «أوه، انظري...» خرج أحد موظفي المشرب من غرفة التخزين على الجانب، فأمسكت يدَي لينا وجاكسون وسحبتهما، وأنا أقول: «تعاليا معي لحظة». لحسن الحظ، استجابا فقدتهما إلى غرفة التخزين.

«ماذا... جدتي، أين نحن»....

التقطت نفسي وخرجت ثم أغلقت الباب خلفهما.

مسحت بيدي على سروالي، وقلت: «ها نحن ذا، ليس ثمة كثير من المسنات ممن يمكنهن أن يتمتعن بهذه الرشاقة، إذا جاز لي أن أقول ذلك».

طرقت على كتف أحد الرجال القريبين، وقلت: «عذرًا، هل تمانع أن تتكئ على هذا الباب، من فضلك؟».

نادت لينا من خلف الباب: «جدتي، ماذا تفعلين؟».

صحت بسعادة: «أتدخل! إنه نهجي الجديد!».

# 39 لينا

كان هذا المخزن صغيرًا. كما أن جدرانه مليئة بالرفوف، لذا لم يوجد شيء أتكيء عليه؛ وكنا أنا وجاكسون واقفين على مقربة شديدة من الآخر، لكننا لم نكن متلاصقين، كان الأمر كأننا في قطار الأنفاق .

ما الذي تفعله جدتي؟ نظرت إلى قدمي، محاولة التحرك إلى الوراء، فلمس شعري قميص جاكسون. تنفست بحدة، رفع يده إلى رأسه، فاصطدم مرفقه بكتفي.

«عذرًا». قلناها نحن الاثنان في الوقت نفسه.

ضحكتُ، فتردد صدى الضحكة.

قال جاكسون في النهاية: «إنه خطئي، ما كان ينبغي لي أن أسمح لها بإقناعي بالمجيء». خاطرت بنظرة إلى الأعلى، كنا قريبين جدًّا، لدرجة أنني أُجبرت على رفع عنقي لأتمكن من رؤية وجهه.

«هل... هل جئت لرؤيتي؟».

نظر إلى الأسفل نحو وجهي. كاد أنفانا يتلامسان بسبب ضيق المسافة بيننا. أعتقد أنني لم ألتصق بجسد أحد من قبل مثلما كان الوضع في تلك الخزانة.

قال: «بالطبع جئت لهذا!»، وفجأة، بدأ نبض قلبي يرتفع مجددًا.

هناك شيء في جاكسون. حتى مع شعره المبعثر، ورغوة الحلاقة الجافة خلف أذنه، بدا جذابًا تمامًا. إنها الثقة التي يمتلكها، الثقة التي يُظهرها عن غير عمد، كما لو كانت هذه الثقة جزءًا لا يتجزأ من ذاته، ولا يستطيع أن يتظاهر بغير ذلك حتى لو أراد.

واصل: «لكن، لم أتصور أن يكون لقاؤنا على هذا النحو. تغيرت الخطة في آخر لحظة. أظن أنني تعرضت لـلخداع الإيليني».

لمست يده يدي. تنفست بحدة. تأملت عينيه وهما يتأملان وجهي. لم تكن تلك الزفرة القوية شكلًا من أشكال التعبير عن الضيق، بقدر ما كانت رد فعل تجاه تلك الدفقة المفاجئة من الدفء، التي غمرتني عندما تلامس جلدنا. تركتُ أصابعي تتشابك مع أصابعه، وشعرت كأنني طالبة في المدرسة تقضي سبع دقائق في الجنة، مع الفتى الذي كانت معجبة به طوال العام.

سألت: «كيف كنت ترى لقاءنا؟ ماذا كنت تخطط؟». لمست يدي الأخرى يده.

«حسنًا، لم أكن أعرف كم من الوقت سيتعين عليَّ الانتظار قبل أن تتخلصي من حبيبك السابق ذاك. لكن كنت أعتقد أنك سترين الصواب، في النهاية، وعندما يحدث ذلك، كنت سأنتظر فترة مناسبة...».

قلت: «ستة أسابيع مثلًا؟».

همس جاكسون: «تخيلت أنني قدأتحمل الانتظار لستة أشهر. لكن اتضح في النهاية أنني غير صبور».

«لذا كنت ستنتظر ستة أشهر، ثم...».

حركت أصابعي بين أصابعه، ممسكة به بقوة أكثر، حتى شعرت بالخدوش في كفيه.

قال بنبرة رجولية: «كنت سأوظف دون أي خجل جميع الأدوات المتاحة لديّ؛ كنت سأجعل الأطفال في المدرسة يغنون لك أغنية إد شيران، (Thinking out loud)، وأرسل لك هانك مع باقة من الزهور في فمه، أخبز لك براونيز على شكل قلب وأحرقه، لأنك تحبينه محروقًا».

ضحكتُ، ثم طبع قبلة رقيقة على خدي، بينما أيدينا لا تزال مرتبطة بجانبينا. عندما لم أستطع مقاومة الأمر أكثر، تركت يديه لأمرر ذراعي حول كتفيه العريضتين وعانقته.

نفخ جاكسون، وقال ناظرًا في عيني نظرات حب: «ليست لديك فكرة عن عدد المرات التي تخيلت فيها كيف سيكون شعور الإمساك بك هكذا».

اعترفت: «ربما كنت أفكر في ذلك أيضًا».

شعرت بابتسامته وهو يجيب: «أوه. إذن كنت معجبة بي. كان يمكنك أن تعطيني تلميحًا حتى... لقد قضيت المساء كله مرعوبًا».

ضحكت، وقلت: «كنت جذابًا بشكل لافت، أنا مندهشة لأنك لم تكتشف أنني كنت معجبة بك».

«آه، هل كان ذلك ما يعنيه تضييع كلبى وتحطيم سيارة المدرسة؟».

وضعت قبلة على ذقنه، وشعرت بشعيرات ذقنه تحتكُّ بشفتيّ. قلت: «لا، كان ذلك يعني أنني كنت حمقاء».

قال: «لم تكوني حمقاء قط يا لينا كوتون. لم ألتقِ قط شخصًا أكثر انتباهًا وذكاء منك».

ابتعدت قليلًا لأتطلع إلى وجهه كما ينبغي.

وتابع: «ماذا تظنين الناس يفعلون عندما يفقدون شخصًا؟ فقط... يمضون قدمًا؟». ومد يده يسوي شعري بعيدًا عن وجهي، ثم قال: «كنتِ تتعافين، وما زلتِ في مرحلة التعافي. قد تبقين دائمًا في حالة تعافٍ، ولا بأس بذلك، سيصبح التعافي جزءًا من شخصيتكِ فحسب».

دفنت وجهي في صدره. فقبَّل قمة رأسي. وقال:أخبريني كم أنا ’جذاب بشكل لافت‘ مرة أخرى».

ابتسمت. لا أستطيع شرح كيف يجعلني جاكسون أشعر، مدى التحرر الذي أحسُّ به عندما أكون مع شخص يمثل نفسه تمامًا، دون تظاهر أو خداع.

قلت موجهة وجهي نحوه: «عندما تكون هنا، أكون هنا أيضًا، وهو أمر عظيم؛ لأنني معظم الوقت أشعر كأنني في مكان آخر. أستعيد الماضي أو أتطلع إلى المستقبل، أشعر بالقلق أو أضع خططًا أو...».

وقبل أن أكمل...

- انفتح الباب، فارتمينا للخلف. كل ما منعَنا من السقوط هو ذراع جاكسون الممدودة التي أمسكت إطار الباب - تشبثت به، وشعري فوق وجهي، في الوقت الذي راحت موسيقى الحفل تصدح من حولنا. سمعت الضحك والهتافات، وحتى عندما استعدت توازني على قدميّ، أبقيت وجهي مدفونًا في عنق جاكسون.

سمعت فيتز ينادي: «لينا كوتون! أنت فتاة لعوب وشقية مثل جدتك بالضبط!».

ضحكت، مبتعدة قليلًا والتفتُّ لأنظر إلى الحشد من حولنا. رأيت وجه جدتي، كانت تتألق بابتسامة عريضة، وكأس من الشراب في يدها.

سألتني: «هل ستلقين محاضرة عليّ بسبب ما فعلته؟».

مِلت إلى جاكسون، ويداي ملتفّتان حول خصره. قلت: «هل تعرفين؟ لا أستطيع لومك، هذه المرة، يا جدتي. لو كنت مكانك، لفعلت الشيء نفسه تمامًا».

# الختام: إيلين

لقد مضى ما يقرب من ستة أشهر منذ أن انتقلت لينا إلى هاملي، وثمانية أشهر منذ مغادرة ماريان. واليوم بالتحديد يكون قد مضى عامان على وفاة كارلا.

نحن الآن في مطار ليدز، ننتظر وصول آخر عضو في مجموعتنا. لقد نظمت لينا كل شيء: زينت باحة القرية بزهور الأقحوان القمرية والزنبق، الزهور المفضلة لدى كارلا، وسنتناول فطيرة الراعي ثم البراونيز. لقد دعونا ويد أيضًا، لكن لحسن الحظ تعامل مع الدعوة بالنية التي أرسلناها بها - مجرد لفتة - ورفض.

هنا في مطار ليدز، أتت سامانثا تلهث، وعيونها تبحث في حشد الناس الذين ينتظرون حولنا. ثم لاحظت جاكسون وطارت نحوه، وشعرها الأشقر يتراقص بينما تشق طريقها عبر الحشد وتلقي بنفسها بين ذراعيه المنتظرتين.

صرخت سامانتا: «بابا! بابا!».

جاءت مارجولد تتبع ابنتها بشكل أبطأ. وإحقاقًا للحق، لا أحد يمكنه التحرك بسرعة في ذلك الكعب العالي السخيف.

قالت وهي تميل لتقبيل حفيدتي على الخد: «مرحبًا يا لينا». بدت مارجولد مسترخية، والابتسامة التي أبدتها للينا كانت صادقة.

كل هذا بفضل لينا. ستقضي سامانثا الأسابيع الأربعة المقبلة هنا، ثم تعود إلى أمريكا مع مارجولد بعد رأس السنة. ظلت لينا تقنع مارجولد لأسابيع، بلطف وبهدوء، مهيئة لها الفكرة، قاضية على كل عقبة واحدة تلو الأخرى. كنت حاضرة في تلك اللحظة، منذ شهر، عندما أخبرت جاكسون أن مارجولد وافقت على زيارة أطول في نهاية العام. إذا كان من الممكن

أن يبدو الرجل منكسر الفؤاد وفي أتم عافية في الوقت نفسه، فذلك هو ما بدا عليه جاكسون. عانق سامانثا بشدة لدرجة أنني خشيت أن تختنق بين يديه، ولكن بدلًا من ذلك خرجت حمراء الخدين ومتألقة، موجهة وجهها إليه لتقبيلها. لم أكن يومًا فخورة كما أنا اليوم.

عدنا إلى «هاملي إن هاركسديل» في قافلة، شاحنة جاكسون في المقدمة، وأنا في أجاثا، التي أصبحت الآن - بفضل أرنولد - مزودة بتكييف هواء يعمل. كان هناك ثلج على قمم التلال ويغطي الجدران الحجرية القديمة المتقاطعة عبر الحقول. شعرت بحب شديد وعميق لهذا المكان، الذي كان دائمًا موطني، وراقبت لينا وهي تبتسم تجاه تلال يوركشاير، بينما نمر باللافتة التي تقول (أهلًا بك في هاملي إن هاركسديل). لقد أصبح موطنها الآن أيضًا.

كانت مجموعة مراقبة الحي تقوم بإعداد باحة القرية عندما وصلنا إلى هناك. وقفوا يستقبلون مارجولد وسامانثا كأبطال حرب عائدين، وهذا يُظهر أن الغياب يجعل القلب يزداد حبًّا، لأن باسيل وبيتسي كانا يتحدثان عن مارجولد وكأنها شيطانة قبل أن تنتقل إلى أمريكا.

قالت لينا وهي تقفز من السيارة: «يا رفاق! لقد قمتم بعمل رائع».

وقفت بيتسي ونيكولا وبنيلوبي وورولاند وبيوتر وباسيل وكاثلين، جميعهم التفتوا للينا مبتسمين، وخلفهم مارثا وياز وبي وجيمي الصغيرة ومايك وفيتز يبتسمون أيضًا. كان الجميع هنا حتى ابنة بيتسي، وطليقة الدكتور بيوتر، وحتى السيد روجرز.

دخل أرنولد خلفنا، وذراعاه مملوءتان بمناديل الطاولة التي تنتظر التوزيع على الطاولة الطويلة الممتدة في وسط الباحة. سأل متتبعًا نظري: «نراقب السيد روجرز، أليس كذلك؟ ربما يكون مملًّا في العلاقة الحميمة، هل تتذكرين؟».

ضربت ذراعه. قلت: «أوه، هلا سكتَّ؟ لا أصدق أنني سمحت لك بإقناعي بأن أريك تلك القائمة!».

ضحك أرنولد وعاد إلى توزيع المناديل. راقبته وهو يبتعد، مبتسمة. يكرهني بقدر ما أكرهه، هذا ما كتبته في قائمة أرنولد. حسنًا. اتضح أن ذلك صحيح في النهاية.

سألت لينا، بينما يأخذ الجميع أماكنهم: «جدتي؟ هل تودين قول بضع كلمات قبل الطعام؟».

نظرت نحو الباب. عندما عدت بنظري، رأيت أن تعبير وجه لينا يعكس ما أشعر به - كنا نأمل الشيء نفسه. لكن لا يمكننا أن نجعل الحضور ينتظرون أكثر لتناول الطعام.

تنحنحت وتوجهت إلى رأس الطاولة. جلستُ أنا ولينا في المنتصف، وبيننا كرسي فارغ.

تنحنحت، وقلت: «شكرًا لكم جميعًا على حضوركم، اليوم، لإحياء ذكرى كارلا». كان تطبيق الفكرة وإحياء ذكرى كارلا أصعب مما ظننت. الآن وأنا واقفة، أتحدث عن كارلا، تبين لي مدى صعوبة منع نفسي من البكاء. قلت: «ليس كل من هنا عرفها وتعامل معها، لكن أولئك الذين عرفوها سيتذكرون كم كانت إنسانة رائعة ومفعمة بالحياة، كيف كانت تحب أن تُفاجأ، وكيف كانت تحب أن تُفاجئنا. أعتقد أنها كانت ستندهش لرؤيتنا جميعًا هنا الآن، كما نحن. أنا أحب ذلك».

استنشقت ورمشت بسرعة.

«كارلا تركت... لا أستطيع وصف الفجوة التي تركتها في حياتنا. جرحًا، حفرة، لا أعرف. بدا - بدا من المستحيل تمامًا أن نستمر من دونها». غلبني البكاء، وقدم لي أرنولد منديلًا. أخذت لحظة لأستجمع نفسي. أكملت: «الكثير منكم يعرف أنني ولينا أخذنا إجازة قصيرة من حياتينا في وقت سابق من هذا العام، وتبادلنا الأدوار لبعض الوقت. تلك الفترة أظهرت لي ولِلينا أننا كنا نفتقد جزءًا من أنفسنا. ربما كان ذلك الجزء قد رحل عنا عندما رحلت

كارلا، أو ربما كان مفقودًا قبل ذلك بكثير، لست متأكدة. لكننا كنا بحاجة للعودة إلى بعضنا البعض، ليس فقط لبعضنا البعض، ولكن لتعود كل نفس منا إلى ذاتها».

سمعنا صوتًا عند الباب. تنفست بعمق. التفتت الرءوس. لم أستطع النظر، كان الأمل يؤلم صدري، ولكن عندما سمعت لينا تشهق ثم تضحك ضحكة نصفها دهشة ونصفها سعادة، تأكدت أنها هي.

بدت ماريان مختلفة تمامًا. شعرها قصير ومصبوغ باللون الأبيض الشاحب، وهو لون متباين بشكل صارخ مع سمرتها؛ ترتدي بنطالًا مزخرفًا، ومزينًا عند الكاحلين، ورغم أن عينيها مملوءتان بالدموع، لكنها كانت تبتسم. لم أرَ تلك الابتسامة - تلك الابتسامة الحقيقية - منذ فترة طويلة لدرجة أنني شعرت للحظة كأنني أرى شبحها وليس شخصها. وقفت عند الباب، يدها على الإطار، تنتظر.

قالت لينا: «ادخلي يا أمي، لقد تركنا لكِ مقعدًا».

مددت يدي بشكل عشوائي بحثًا عن يد أرنولد ليناولني منديلًا، بينما تدفقت الدموع بشدة، انحدرت على خدي وغيمت نظارتي بينما جلست ابنتي على المقعد الفارغ بجانبي. كنت أخشى ألا تعود إلى المنزل مرة أخرى، لكن ها هي هنا، وعلى محياها ابتسامة.

أخذت نفسًا متقطعًا وواصلت: «عندما يتحدث الناس عن الفقد، يقولون دائمًا إنك لن تكون كما كنت من قبل، وأنه سيغيرك ويترك فجوة في حياتك»، اختنق صوتي بالدموع. أكملت: «وتلك الأشياء صحيحة بلا شك. لكن عندما تفقد شخصًا تحبه، لا تفقد كل ما أعطاك إياه. فهو يترك شيئًا معك. أحب أن أعتقد أنه عندما توفيت كارلا، أعطت كل فرد من عائلتها قليلًا من شغفها وشجاعتها، وإلا فكيف كنا سنقوم بكل ما قمنا به، هذا العام، لولا ما منحتنا إياه؟!» نظرت إلى لينا وماريان وابتلعت ريقي بصعوبة عبر الدموع، أكملت: «بينما كنا نواصل المضي قدمًا، ونحاول أن نتعلم كيف نعيش من دونها، شعرت بكارلا هنا». وضعت يدي على قلبي ثم أكملت: «لقد أعطتني دفعة عندما كدت أنهار. أخبرتني أنني أستطيع

القيام بذلك. قادتني إلى نفسي. أستطيع أن أقول، الآن، بثقة إنني أفضل نسخة من إيلين كوتون كنت عليها على الإطلاق. وأتمنى - أتمنى...».

نهضت لينا عندئذ، بينما استندتُ للأمام على الطاولة، ودموعي تتدفق على خدي. رفعت كأسها. وقالت: «بصحة أفضل نسخ ممكنة من ذواتنا يمكن أن نصير إليها. وإلى كارلا، دائمًا إلى كارلا».

حولنا، ردد الجميع اسمها. جلست مرة أخرى، ساقاي ترتجفان، والتفتُّ نحو ماريان ولينا. فرأيت تلك العيون الكبيرة الداكنة من عائلة كوتون تنظر إليَّ، ورأيت نفسي في أعينهن، نسخة مصغرة منها، بينما مدت ماريان يديها لتربطنا جميعًا مرة أخرى.

# شكر وتقدير

حان وقت الشكر، وهذا شيء يبعث على السعادة؛ لأنه يعني أنني تمكنت حقًّا من تأليف كتاب ثانٍ! واو. لا تخبروا كويركوس للنشر، لكنني لم أكن متأكدة تمامًا من قدرتي على فعل ذلك.

أولًا، لم يكن بإمكاني تأليف هذه الرواية دون دعم تانيرا سايمونز، وكيلتي، التي تمتلك قدرة مدهشة على تحسين كل شيء بمكالمة هاتفية واحدة. كما لم يكن بالإمكان كتابة الكتاب دون إميلي ياو، كريستين كوبراش، كاسي براون، وإيما كابرو، جميعهم عملوا معي على تحرير الرواية حتى ترى النور، وكل واحد منهم جعلها أفضل. شكر خاص لكاسي، التي تبنت الرواية عندما كانت بالكاد نصف مكتملة وأحبتها من قلبها؛ لقد كنت فعلًا من أكبر الداعمين لي يا كاسي.

يتطلب نشر كتاب فريقًا كبيرًا، ودار كويركوس أشبه بقرية تكاد تنافس «هاملي إن هاركسديل» في جمالها. ما انفكوا يدهشونني بتفانيهم وإبداعهم. أود أن أقدم شكرًا خاصًّا لهانا روبنسون؛ لكونها دائمًا صادقة معي وداعمة لي، ولبيثان فيرجسون؛ لثقتها الكبيرة بما أكتبه. أما بالنسبة لهانا وينتر وإيلا باتيل الرائعتين... فماذا يمكنني أن أقول؟ من دونكما كنت سأضل طريقي. أنتما شخصيتان عظيمتان.

إلى القائمين على جمعية تافيرنرز: شكرًا جزيلًا على ترحيبكم بي، وعلى مساعدتكم في جعل كتابتي أفضل وعلى دعمكم الكبير لي. شكرًا لك يا بيتر على إجابة أسئلتي بلا كلل وبصبر؛ والمدهشة أماندا، وجميع أصدقائي ممن قدموا لي النصح والاستشارة، أعتذر إذا كنت قد أخذت أفكاركم ثم حرفت فيها لتناسب القصة بشكل أفضل. هذه ضريبة أن تكون صديقًا لكاتب...

إلى المتطوعين ورواد نادي ويل بيينج: إنها لبهجة عظيمة أن أراكم كل يوم اثنين. لقد ألهمتموني، سواء فيما يتعلق بهذا الكتاب أم في حياتي بشكل عام. أشعر بأنني محظوظة لمعرفتكم جميعًا.

شكرًا لجدتيّ؛ هيلينا وجنين، على برهنتكما لي على أن النساء يمكن أن يكن شُجاعات وقويات، بغض النظر عن أعمارهن. وشكرًا لبات هودجسون، على تركك الاهتمام بحديقتك من أجل قراءة نسخة مبكرة مليئة بالأخطاء المطبعية، وشكرًا جدتيّ للحماسة التي أظهرتماها تجاه لقاء نسخ منكما (مبنية من منظوري). أنتما مصدر إلهام حقيقي.

أمي وأبي، شكرًا لتذكيري بأن أثق في قريحتي. وسام.. شكرًا لك على جعلي دائمًا سعيدة. أنا محظوظة جدًّا لزواجي من رجل يمكنه الضحك على مشهد مضحك، حتى عندما يكون قد قرأه بالفعل خمس مرات... فضلًا عن المساعدة في الأمور الطبية.

أريد أيضًا أن أشكر مدوني الكتب، والمراجعين، وبائعي الكتب الذين يقومون بالكثير لتجد القصص والحكايات التي يحبونها طريقها إلى سائر القراء. من دونكم، سيعاني الكُتاب كثيرًا، وما كانت كتبهم لتجد طريقها إلى قرائهم. أنا ممتنة جدًّا لدعمكم.

وأخيرًا، شكرًا لك أيها القارئ الجميل لمنحك هذا الكتاب فرصة.

آمل أن تكون قد استمتعت...

# الغلاف الخلفي

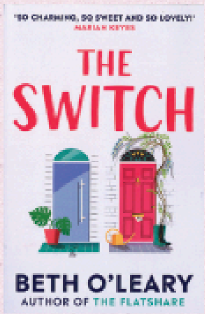


لينا صغيرة جدًّا على أن تشعر بأن فرصها قد تبددت
إيلين كبيرة في السن ولن يمكنها البدء من جديد
ربما آن الأوان لتأخذ كل منهما مكان الأخرى...

تهـرب لينـا إلى منـزل جدتها إيلـين بعد فشـلها في تقديم عـرض تقديمي في عملهـا لتحظى ببعض الراحـة. صارت إيلين عزبـاء مؤخرًا وعلى وشـك أن تبلغ الثمانين مـن عمرها وترغب في فرصـة ثانية في الحـب، ولكـن لا يوجد بقريتهـا الصغيرة في يوركاشير شخص مناسب تختاره شريكًا لحياتها.

يبدو أن تبديل حياة كل منهما بحياة الأخرى هو الحل الأمثل.
ولكـن حين تجـد لينا أنه ليـس أمامها سـوى مجموعة من الكهـول المتقاعدين ومعلم مدرسـة القرية شـديد الوسـامة، تكتشـف أن تبديل الحيوات ليس بالأمر الهـين كـما توقعت. أمـا إيلين الماكثـة في لنـدن، فتندمج مع جيرانهـا وتكون علاقات جديـدة وتدخل مواقـع التعارف عبر الإنترنـت، ولكن ترى هـل كانت تعلم أن شريكها الأنسـب موجود في الأسـاس قـرب قريتهـا التي غادرتهـا بحثًا عن شريك آخر؟

"أداة رائعة للهروب من الواقع".

صحيفة ديلي ميل

"روايـة تشـعرك بالبهجـة، هذا هـو ما نحتـاج إليـه جميعًـا في الوقت الحالي".

مجلة ستايليست

ISBN 628-1072-14-709-9
6 281072 147099
282209454

امسح الكود للنسخة الإلكترونية

QUERCUS
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

1. الغلاف
2. الغلاف الأمامي
3. حقوق الطبع والنشر
4. إشادات بالرواية
5. أيضًا من تأليف بيث أوليري
6. إهداء
7. 1 لينا
8. 2 إيلين
9. 3 لينا
10. 4 إيلين
11. 5 لينا
12. 6 إيلين
13. 7 لينا
14. 8 إيلين
15. 9 لينا
16. 10 إيلين
17. 11 لينا
18. 12 إيلين
19. 13 لينا
20. 14 إيلين
21. 15 لينا
22. 16 إيلين
23. 17 لينا
24. 18 إيلين

25. 19 لينا
26. 20 إيلين
27. 21 لينا
28. 22 إيلين
29. 23 لينا
30. 24 إيلين
31. 25 لينا
32. 26 إيلين
33. 27 لينا
34. 28 إيلين
35. 29 لينا
36. 30 إيلين
37. 31 لينا
38. 32 إيلين
39. 33 لينا
40. 34 إيلين
41. 35 لينا
42. 36 إيلين
43. 37 لينا
44. 38 إيلين
45. 39 لينا
46. الختام: إيلين
47. شكر وتقدير
48. الغلاف الخلفي